مريم

رواية

سوزانه شميدت

ترجمة : سمر منير



دار اكتب للنشر والتوزيع

مريم

مريم

سوزانه شميدت

ترجمة : سمر منير

الطبعة الأولى ، القاهرة 201 م

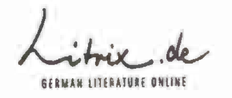
غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع : 2018 / 20178

I.S.B.N: 978-977-488-58 -4







العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

"The translation of this work was supported by the Goethe-Institut, which is funded by the German Ministry of Foreign Affairs, within its programme Litrix.de".

إلى أين تهرب عندما تطاردك الشرطة في جوف الليل بسيارةٍ ينبعث منها ضوء أزرق وأنت لا ترتدي سوى رداء النوم وحذاء منزلي بلاستيكي في قدميك؟

اختبأت مريم في غرف تغيير الملابس الباردة كالثلج والتابعة لملاعب التنس بجوار المدرسة. اكتشف لينوس زميلها في الفصل الدراسي والبالغ من العمر أحد عشر عامًا وجودها هناك. واكتشف بالاشتراك مع صديقته دانا أن والدي مريم قد تعرضا للترحيل. قرر لينوس ودانا مساعدة مريم وجابهتهم في غضون ذلك مواقف محفوفة بالمخاطر، لا سيما بسبب حارس مبنى المدرسة الخبيث ...

1

رفرفت أعلى لينوس الريش الدوّارة. كان لينوس يقف بباب الطائرة المروحية المفتوح. دفعت الريح بشعره في وجهه، غير أنه لم يدع القارب الموجود أسفل منه يغيب عن نظره. أخذ لينوس يصوِّب نظره إلى أسفل عبر عدسة الكاميرا الخاصة. في مؤخرة الطائرة كان يقف شخصان، يرتديان قناعين يحملان صورة نيكو بيليك1 وتوجد بينهما حقيبة من الجلد بنيّة اللون. يحتوي الجزء المنفصل عن الحقيبة على مليون دولار. وكان لينوس يرغب في الحصول عليها. لوهلة تفحّص لينوس مرّة أخرى حزام الحبل المطاطي المستخدم في القفز والمربوط بقدميه، ثم أعطي إشارة البدء لقائد طائرته. أخذ نفسًا عميقًا. سوف يقفز حالًا و ...

لقد هزّه شخص ما من كتفه. من يكون ذلك الأحمق إذًا؟ لابد أن يركز انتباهه، فلو اقترف الآن ثمّة خطأ، سيلقى حتفه منسحقًا على سطح القارب أو منهرسًا بين الريش الدوّارة.

---

[1] شخصية نيكو بيليك: إحدى الشخصيات الشهيرة في سلسلة ألعاب الفيديو "سرقة السيارات الكبرى"، والتي نشأت في المملكة المتحدة وحظيت بشهرة عالمية واسعة، ثم تحوّلت فيما بعد إلى لعبة على أجهزة الكمبيوتر وأجهزة البلاي ستيشن. (المترجمة)

"لينوس، استيقظ!"

يا له من أمرٍ رائعٍ بحق. لقد اختفي القارب، كما لو أن الموج قد ابتلعه.

"لينوس، لقد استغرقنا في النوم أكثر مما ينبغي!"

حاول لينوس أن يفتح عينيه، لكن ربما يكن رجل الرمال2 قد خلط مساء أمس بين الأكياس وألقى في وجه لينوس مادة لاصقة بدلًا من أن يلقي بالرمال.

أراد لينوس أن يتقلّب على الجانب الآخر، لكن والدته نزعت عنه غطاء فراشه، قبل أن يتمكّن من أن يلف نفسه فيه.

"هيا. أسرع!" أطبقت والدته على يده وجذبته، لكي يقف على قدميه، ودفعته أمامها نحو دورة المياه و أخذت تتفادى في غضون ذلك الزجاجات وأكياس القمامة المُخزّنة في الممر.

"ألا يمكنني ببساطة أن أذهب مع بدء الحصة الثانية...؟"

مستحيل. كانت والدته لا تقبل التهاون في كل الأمور المتعلّقة بالمدرسة. انتهى لينوس من تنظيف أسنانه وارتداء ملابسه في عشر دقائق، لكي لا يستثير غضب والدته.

وقفت والدته في المطبخ مرتديّة روب الحمام وجورب من الصوف وأغلقت عُلبة حفظ الشطائر المدهونة بالزبد وناولته مفتاح المنزل.

---

[2] رجل الرمال: شخصية وردت في المورث القصصي الأوروبي بوصفه رجلًا يزور الأطفال مساءاً ويلقي الرمال في أعينهم، لكي يناموا. (المترجمة)

"ماذا وضعتِ في الشطائر؟"

"سلامي. لم يعد لدينا لحم فخذ الخنزير المطهي."

حشر لينوس العُلبة في حقيبة الظهر. إن السلامي ليس أسوأ من سجق الكبده الخشن.

"مع السلامة يا ماما."

أغلق لينوس باب الشقة بعنف عند خروجه وهبط السلم المتهالك فقفز ثلاث قفزاتٍ محسوبة، متجاوزًا في كل خطوة خمس درجات من السلم. انفتح عند بسطة السلم أحد الأبواب على مصراعيه. إنها السيدة مايروكر مرتديّة روب حمام يمتزج فيه اللونين الأسود والذهبي وحذاء منزلي أحمر اللون مصنوع من قماش القطيفة. لابد وأنها كانت تنتظره كعادتها خلف الباب. صاحت السيدة مايروكر بالشكوى قائلّة: "يا لها من ضوضاء! نحن لا نسكن لدي الهوتينتوت[3]!"

كانت السيدة مايروكر تقول في السابق: "لسنا في قرية يسكنها الزنوج."، غير أن أحد من يقطنون في المنزل، هدّدها بالتقدم ببلاغ ضدها بسبب تلفظها بإهانات عنصرية.

"معذرة!" هبط لينوس السلم التالي بسرعةٍ عادية، غير أنه كان يهبط في كل خطوة درجتين من السلم. فتح لينوس قفل دراجته، التي أوقفها بالأمس في ردهة المنزل.

[3] الهوتينتوت: لفظ استخدمه المستوطنون الهولنديون للإشارة إلى قبيلة الخوسيان، التي كانت تقطن مناطق تنتمي الآن لجنوب إفريقيا وناميبيا. (المترجمة)

"لو تركت دراجتك هكذا مرّة أخرى، سوف أخبر حارس العقار."

أغلقت السيدة مايروكر باب شقتها ورائها محدثًة صوتًا عاليًا، لا يقل عن الصوت الذي أحدثه لينوس. لماذا يضج الكبار دائمًا بالشكوى؟ ويفعلون من ثمّ ما يتذمرون منه بالضبط!

***

عندما انعطف لينوس في الشارع المؤدي إلى المدرسة، كانت تسود في الشارع الفوضى المعتادة، التي تنبعث من السيارات القادمة والدراجات البخارية والدراجات والمشاة. لم تكن الحصة قد بدأت بعد. لقد تعجَّل في الذهاب إلى المدرسة بلا جدوى على الإطلاق.

لا زال أمامه متسع من الوقت، وقت يسمح له بألا يجعل الحائط رمادي اللون يظل بنفس لونه.

كان أحد حوائط غرف تغيير الملابس الخاصة بملاعب التنس. يحتاج بحد أقصي لدقيقة للذهاب إلى هناك. أو ربما لدقيقتين.

صوَّب لينوس بصره مرّة أخرى نحو الشارع على سبيل الاحتياط. غير أن الجميع كانوا مشغولين بالذهاب إلى المدرسة.

أخرج لينوس عُلبة رش الرذاذ من حقيبته. رجَّها سريعًا ونظر فيما حوله مرّة أخرى. خرج من العُلبة رذاذ أحمر اللون مصحوبًا بصوت خفيض مثل فحيح الثعابين واستقر على هيئة خط متموج على الحائط رمادي اللون. أتبعه لينوس ببعض الخطوط المتموّجة؛ منها ما اتخذ شكل

نصف دائرة وكذلك نقطتان بدتا كأنهما عينان و أيضًا مثلث صغير اتخذ شكل الأنف.

"ماذا تفعل هنا إذًا أنت أيها المسخ الصغير!" لم يكن لينوس بحاجة على الإطلاق لأن يلتفت إلى الوراء. لقد كان هذا صوت السيد كارله حارس مبنى المدرسة، الذي يماثل طوله طول ديرك نوفيتسكي[4]، بيد أن بطنه كانت تبدو، كما لو أنه ابتلع كرة السلة، بدلًا من أن يقذفها في الشبكة.

ترك لينوس العُلبة تسقط من يده ورفع الدراجة من الأرض بعنف. بعد أربع أو خمس خطوات جلس في مقعد الدراجة ووضع قدميه على دوّاسات الدراجة بدقة واصطدم بأحد المطبات فانزلقت العجلة الخلفية على الأرض الرملية، لكنه استطاع أن يحفظ توازنه مستعينًا بقدمه اليمنى. أخذت تهديدات حارس مبنى المدرسة تلاحق لينوس من الخلف عندما بلغ الشارع. "والداك ... المدير ... تقديم البلاغ" تلك هي جملة التهديدات، التي اعتاد حارس مبنى المدرسة أن يطلقها.

انطلق لينوس مسرعًا في الشارع المنحدر إلى أسفل وقبل أن يبلغ المدرسة كان عليه أن يكبح جماح الدراجة تمامًا، فقد كانت هناك سيارة متوّقفة أمامه مباشرةً. نزلت دانا من تلك السيارة وسحبت حقيبة ظهرها من المقعد الخلفي.

"أهلا يا دانا"

---

[4] ديرك نوفيتسكي: لاعب كرة سلة ألماني شهير. (المترجمة)

مرَّ لينوس بطيئًا كالسلحفاة بسيارة والد دانا، التي كانت من طراز "أودي" ولوَّح بيديه باتجاهها. لم تسمع دانا ما قاله لينوس لها أو أنها تظاهرت بذلك على الأقل.

نقل لينوس ثقل وزنه سريعًا وجذب مقود الدراجة نحوه. جعل لينوس العجلة الأمامية ترتفع إلى أعلى وأخذ يقود الدراجة بالاستعانة بالعجلة الخلفية وحدها، لكن في وجود حقيبة الظهر في المكان المخصص لوضع الحقائب بالدراجة لم يكن من الممكن أن يواصل السير على هذا النحو العفوي سوى لمسافة ثلاثة أمتار. لقد كاد أن ينقلب جسده إلى الخلف ويستلقي على الأسفلت أمام دانا.

لم تعد دانا حينئذ تتظاهر، بأنها لا ترى لينوس، بل أزاغت بصرها.

أوقف لينوس دراجته في أحد أماكن انتظار الدراجات وأخذ يصارع القفل، الذي يصبح دائمًا من الصعب التعامل معه، عندما يكن لينوس في عجلةٍ من أمره.

ظلت دانا واقفةً أمام باب مدخل المدرسة بالقرب من كلتا التوأمتين البلهاتين إيلينا وهيلينا وأخذت تنصت إليهما أثناء شجارهما. كانت إيلينا وهيلينا دائمتي الشجار وكان سبب شجارهما في تلك اللحظة يدور حول إمكانية وضع طلاء أظافر اليد كذلك في أظافر القدم.

"فلتضحك!" كانت ليوني تقف أمام لينوس ممسكةً في يدها هاتفها المحمول الجديد. جذب لينوس شفتيه بإصبعي الإبهام والسبَّابة ليبدو كأنه يضحك وأظهر لها أسنانه، التي نظّفها لتوّه. لم تكترث ليوني لهذا؛ فهي

تلتقط صورًا بالهاتف المحمول للأسنان أيضًا. لقد أهداها أحدهم الهاتف المحمول قبل أسبوع بمناسبة عيد ميلادها. والآن تلتقط به باستمرار الصور، لكي يرى الجميع أنه أحدث هاتف محمول مطروح في الأسواق. أخذ لينوس حقيبة ظهره ودفع ليوني جانبًا. إن ليوني تثير أعصابه حقًا بسلوكها المتفاخر.

***

الحصة الأولى: حصة اللغة الألمانية. جلست دانا أمامه بثلاثة صفوف، بجوار ليوني، وأخرجت واجباتها المنزلية. نظر لينوس بحرية إلى خصلات شعرها، لأن الجميع كانوا منحنين باتجاه حقائبهم بالأسفل.

"لينوس، أطلعني على واجباتك!" كانت السيدة فيشر تقف بجواره.

تبًا! لم ينتهي لينوس من كتابة واجباته المنزلية كاملةً، وعلى وجه الدقة لم يكتب سوى الجملة الأولى. لو كان لينوس قد وضع كراسته على الأقل على الطاولة، ربما لم تكن السيدة فيشر لتلاحظ بتاتًا، أنه لم يؤد الجزء الأكبر من واجبه المنزلي. عليه أن يستعين بشيء ما ليصرف انتباهها عنه. لكن بم يستعين؟ نافذة مكسورة أم مشاجرة مستمرة في فناء المدرسة أم مخلفات الكلاب الموجودة في الممر الأوسط أم قول سخيف معادٍ للأجانب مكتوب على السبورة؟ بيد أنه لم يكن هناك شيء من هذا القبيل. كان لينوس على وشك أن يشرح، أنه لا يتمكّن بشكلٍ أو بآخر من كتابة التلخيصات، لأنه يتعثّر دائمًا في التفاصيل. وإذ به يلاحظ ، أن هناك مقعد شاغر في الصف الأول، أي في مقدمة الفصل تمامًا.

"مريم ليست هنا." قالها لينوس مشيرًا إلى مكانها الخاوي ومضفيًا على صوته نبرّة إنذار بشكلٍ بالغ، لدرجة أن السيدة فيشر رفعت بصرها عن كراسته وأخرجت هاتفها المحمول وراجعت عما إذا كانت سكرتارية المدرسة قد أوردت ما يفيد بتغيّب مريم لسبب مرضي. لم يقل هذا، لأن مريم تثير اهتمامه على نحوٍ خاص، فهي واحدة من الفتيات المملات، اللواتي لا تتحدّثن أبدًا، لكنهن تحرزن باستمرار درجاتٍ مدرسية جيدة. غير أن غيابها قد يسعفه الآن في صرف انتباه السيدة فيشر عن واجباته المنزلية.

أصاب لينوس هدفه؛ فبدلًا منه استدعت السيدة فيشر فين إلى السبورة وكلّفته بأن يكتب عليها مرّة أخرى الأسئلة التي تبدأ بأدوات الاستفهام. "من؟" – أسرة. "أين؟" – على البحيرة. "متى؟" – في صباح يوم أحد. هذا ما يرد في المقدمة. كان لينوس ليستطيع أن يكتب هذا أيضًا. لكن الآن يأتي دور "ماذا؟" وهنا تصبح الإجابة أصعب. بذل لينوس جهدًا جهيدًا في متابعة ما يكتبه فين على السبورة بالطباشير مُحدثًا صوتًا كالصرير. غير أنه سرعان ما عادت خصلات شعر دانا يعيقه عن ذلك من جديد. من يقترب من خصلات شعر دانا، يجد أن رائحة القرفة تفوح منها.

لقد عقد مع فين رهانًا بأنه سيتمكّن من دعوتها لتناول الأيس كريم، قبل أن يغلق محل الأيس كريم أبوابه خلال فصل الشتاء. كان الأمر سيصبح أسهل بكثير لو سألها عن رأيها عبر الهاتف المحمول، غير أنه لا يمتلك هاتف محمول.

ليست والدته من أولئك الآباء والأمهات الرافضين لاستخدام التكنولوجيا. لكنها فقط ليست طبيبة مثل والدة ليوني، بل تعمل في حانة صغيرة، ولذلك لا يتوفّر لديها أبدًا مالًا كافيًا.

إذًا يبقى لينوس بلا هاتف محمول. كتب لدانا قصاصة ورق صغيرة. ربما كان هذا الأمر حتى أفضل، لأنه يستطيع أن يري، عما إذا كانت قرأت القصاصة أم لا.

"لينوس، هلا أتيت من فضلك إلى السبورة!"

لن تتهاون السيدة فيشر اليوم حقًا. لم يكن لديه ثمة دراية، بما ينبغي عليه أن يكتبه حينئذ، لأنه لم يقرأ القصة. إنه لا يعرف سوى أنها تدور حول أسرة، تقضي نزهة على إحدى البحيرات ويقع عندئذ حادث ما.

لكن كانت هذه فرصة سانحة لإعطاء دانا قصاصة الورق الصغيرة. نهض لينوس واقفًا ببطء وتقدّم نحو السبورة، مرورًا بطاولة دانا، وتحسّس موضع حافة الطاولة ودفع القصاصة فوق سطحها الأملس البارد، حتى اصطدمت قصاصة الورق الصغيرة بيدها. وضع أصابع يده للحظة على أصابعها. يا له من ملمسٍ ناعم، كأنه مسح بيده على الجزء الخلفي من قالب من الشوكولاتة.

سحبت دانا يدها.

ظل لينوس واقفًا على الرغم من ذلك.

"لينوس!!!" دفعته السيدة فيشر إلى السبورة صائحَة بصوت مثل هزيم الرعد.

تناول لينوس الطباشير بيده ونظر إلى ما كتبه فين على السبورة: نزهة – الأم تشعر بالسعادة – أنيكا لا ترغب في التتره – الأب لا يريد اصطحاب الكلب معه، لارس لا يريد التتره دون اصطحاب الكلب.

وقف لينوس في موضع، يُمكّنه من مراقبة دانا. لقد تناولت دانا قصاصة الورق في يدها.

هل ستصطحب الأسرة الكلب معها أم لا؟ ماذا يجدر به أن يكتب؟

حقًا، لقد بسطت دانا القصاصة. كيف له إذًا أن يركز انتباهه في قصة بالغة الملل عن خروج الأسرة لقضاء نزهة؟

أخذت دانا تقرأ المكتوب في القصاصة. انحنت ليوني، تلك الغبية الفضولية، باتجاهها وشاركتها القراءة. ولولا خوف ليوني من أن تسلبها السيدة فيشر هاتفها المحمول، لالتقطت على الفور صورة بالهاتف.

"لينوس، من فضلك انجز المطلوب منك!" وضعت السيدة فيشر قبضتي يديها في خاصرتيها. إنها تفعل هذا دائمًا قبيل أن ينتابها الغضب.

أخذ لينوس يكتب على السبورة ببطءٍ قدر استطاعته: "لكنهم يصطحبون الكلب معهم."

أومأت السيدة فيشر برأسها بالإيجاب. لكنها أرادت أن تستفسر منه عما حدث بعد ذلك. لم يكن لينوس يعرف إجابة ذلك.

طرق على الباب. فتح السيد كارله الباب على مصراعيه دون أن ينتظر الإذن له بالدخول. ملأ بجسده فتحة الباب كاملةً. أخذ يتفحص الفصل بنظرةٍ عابسة. طوى لينوس جانب من السبورة بإتجاهه على نحوٍ حرص أن يكون غير لافت للأنظار بقدر الإمكان.

غير أن هذا لم يجدي نفعًا؛ فقد أعاد حارس مبنى المدرسة هذا الجزء من السبورة مكانه مرّة أخرى بحركةٍ فظة.

"اذهب إلى المدير بعد انتهاء الحصة!" قالها بصوتٍ آمرٍ عالٍ واستدار لكي يمضي مرّة أخرى.

غير أن السيدة فيشر لم ترتضي بهذا واعترضت سبيله. "بما إنك قاطعت حصتي، أفلا يحق لي على الأقل أن أعرف ما الأمر؟"

نظر السيد كارله إلى أسفل نحو السيدة فيشر؛ حيث كان طولها يبلغ نصف طوله وربما كان وزنها أيضًا لا يبلغ سوى نصف وزنه. رفع السيد كارله ذراعه، كما لو أنه يود ببساطة أن يزيحها جانبًا. غير أنه لهث بعد ذلك بلطف قائلًا: "لقد رش الرذاذ الملّون في المدرسة! حسنًا سوف يعيد تنظيف ما فعله مرة أخرى!"

نظرت السيدة فيشر إلى لينوس واستفسرت منه قائلةً: "هل فعلت هذا؟"

هزّ كتفيه وحرّك رأسه نافيًا على سبيل التلميح.

"ماذا رشَّ إذًا؟" سألت السيدة فيشر حارس مبنى المدرسة بنبرة الصوت نفسها، التي سبق وأن استفسرت بها من لينوس عما حدث في قصة النزهة العائلية.

توّجه السيد كارله لوهلة نحو السيدة فيشر بنظرةٍ متجهمة ولكنه سرعان ما ثبّت نظره على الفور على لينوس مرّة أخرى.

"ماذا إذًا؟" ألحّت السيدة فيشر في سؤالها بلا هوادة.

توّقف السيد كارله عن النظر بشكلٍ ثابت إلى لينوس.

"ها....؟"

خطت السيدة فيشر خطوة نحوه. "عليك أن تتذكر، ما الذي قام لينوس برشه، إن كنت تعتزم أن تتم إزالته!"

لهث السيد كارله في حيرة وحكّ خلف أذنه.

نظرت إليه السيدة فيشر بصبرٍ نافذ ووضعت قبضتي يديها في خاصرتيها، مثلما فعلت منذ قليل بالقرب من لينوس.

بدا من تعبير البلادة والغباء المرتسم على وجهه أن السيد كارله يحاول حقًا أن يتذكّر ما الذي رشه لينوس، إلا أن هذا الأمر لم يخطر بباله. فعلى الأرجح لم ينظر السيد كارله مطلقًا إلى ما رشه لينوس.

تقلّص طول السيد كارله البالغ مترًا وتسعين سنتيمترًا ليصبح نصف هذا الطول تقريبًا.

مريم

"امم" ظهرت السيدة فيشر بمظهرٍ صارمٍ وكاد الأمر يبدو، كما لو أنها ستدوّن له درجَة مدرسية سيئة.

حكّ السيد كارله أنفه في حرج وغمغم على نحوٍ غير واضح: "كانت على كل حال كتابات عشوائية، لا مجال لرسمها على جدران المدرسة!" وأضاف: "ويجب عليه أن يزيلها!"

انتصبت قامته مرّة أخرى ليعود لطوله الطبيعي وخاطب لينوس بصوتٍ كالنباح قائلًا: "سنلتقي بعد انتهاء اليوم الدراسي عند غرفة تغيير الملابس!"

ثم مضى.

عاد لينوس متمهل الخطوات لمقعده. عندما مر على دانا، همست ليوني قائلَة: "إنه يملك مالًا يكفي على أقصى تقدير لتناول قطعة آيس كريم واحدة أثناء الوقوف. ففي آخر رحلة مدرسية لم يكن لديه مالًا يكفي حتى لرحلة الأتوبيس."

لقد حرصت ليوني بالطبع أن تقول هذا في توقيتٍ دقيقٍ للغاية، بحيث يتمكّن من سماع ما تقول.

لماذا تضطر دانا للجلوس بجوار شخصية ميالّة للتفاخر كهذه؟

ألقى لينوس بجسده على مقعده، كما لو أنه قد لعب مباراة كرة قدم مضاف إليها وقت إضافي كامل. أقسي ما في الأمر، أن ليوني كانت محقة. فلم يكن لديه في جيبه سوى اثنين يورو على أقصي تقدير، لم يكونا

ليكفيان حتى لشراء قطعة واحدة من نوع جيد من الآيس كريم، يتناوله واقفًا.

زحزح لينوس مقعده بعض الشيء باتجاه الممر، بحيث يرى إلى حدٍ ما ظهر دانا دونما عائق. فربما تتمكّن من الالتفات إلى الوراء على نحوٍ خاطف. غير أنها لم تسدي له هذا الصنيع؛ فقد شخصت ببصرها إلى السبورة، بينما كانت ترفع كتفيها وعنقها متصلب، كما لو أنها ستُعاقب على التفاتها إلى الخلف بالطرد من المدرسة.

***

2

جلس لينوس القرفصاء بجوار دلو الألوان الموضوع على الممر الخشبي المتهالك المحيط بغرف تغيير الملابس، وأخذ يراقب، كيف تتشرّب أهداب فرشاة الطلاء بلونٍ رمادي.

وقف السيد كارله خلفه لصيقًا له.

"أسرِع! هل تظن أنني سأظل واقفًا لأنتظرك حتى تصبح ساقاي قصيرة مثل ساقيك؟" تحدث بها مزمجرًا نحو الأسفل.

تناول لينوس فرشاة الطلاء المتشربة باللون الرمادي من الدلو؛ فتساقطت قطرات من اللون الرمادي على الممر الخشبي، قبل حتى أن تبلغ الفرشاة الحائط تقريبًا.

صاح فيه السيد كارله بصوتٍ كالرعد: "امسح الفرشاة!" وأضاف: "يجب عليك أن تمسح الفرشاة! ما السبب، في ظنك، في أن أعطيك هذا الشيء؟"

أشار السيد كارله بمقدمه حذائه إلى شبكة صغيرة مُعَلّق في الدلو. كان حذاء كرة سلة أبيض اللون. حذاء جديد تمامًا، بالضبط مثل ذلك الحذاء،

الذي يود لينوس اقتنائه. حذاء لا يتناسب على الإطلاق مع معطفه الرمادي، الذي يرتديه بوصفه حارس مبنى المدرسة. ووفقًا لما تلقّاه من أوامر أعاد لينوس تحريك الفرشاة بمهارة باتجاه دلو الألوان من جديد. وفي غضون ذلك سقطت قطرة سميكة من الطلاء رمادي اللون على حذاء السيد كارله الجديد وانزلقت إلى أسفل على الخطوط الجانبية للحذاء ذات اللون الأسود.

جال حارس مبنى المدرسة ببصره بين الفرشاة وحذائه ثم نظر إلى لينوس في صمت. وكان في غضون ذلك يستنشق الهواء بقوة، فانتفخ جانبا أنفه في غيظ. كانت نظرة عينه تشير إلى أن شيئًا ما مفزعًا سيحدث، إن لم يسرع لينوس في وضع اللون على الحائط.

انتصبت قامة لينوس حاملًا في تلك المرة فرشاةً ممسوحة. خفض سرعته مرّة أخرى أمام الحائط. كانت خصلات الشعر المرسومة هناك جيدة حقًا. لم تكن وحدها كذلك، بل كانت الأنف المدبّبة الصغيرة مثلها كذلك. لقد نفذ صبر السيد كارله؛ فأطبق على معصم يد لينوس ومرّ بحركاتٍ فظة على الخطوط الحمراء المتموّجة وسحب يد لينوس نحو الدلو ثانيّة وغمس الفرشاة في الطلاء رمادي اللون. وفي غمرة غضبه نسي عندئذ كذلك أن يمسح الفرشاة؛ فسقطت بقع سميكة من الطلاء على الممر الخشبي ولطخته. وفي نهاية المطاف اختفى وجه دانا المرسوم على الحائط. فأصبح حائط كلا غرفتي تغيير الملابس من جديد ذا لونٍ رمادي، مثلما كان حاله في صباح ذلك اليوم. غير أن الممر الخشبي بدا، كما لو أن خنزير بري صغير قد

تمرّغ في دلو الألوان. إلا أنه بدا أن السيد كارله لا يعبأ بهذا. فالمهم أن لون الحائط أصبح رماديًا مرّة أخرى. ناول السيد كارله لينوس الفرشاة والشبكة. "عليك أن تقوم بالتنظيف!" قالها بصورةٍ آمرة وفتح بمفتاح ضخم عتيق باب غرفة تغيير الملابس.

تقدّم لينوس عبر دهليز غرفة تغيير الملابس حاملًا الفرشاة والشبكة بعيدًا عنه، حتى لا ينتهي به الأمر أن يبدو مُلطخًا مثل الممر الخشبي أيضًا. ضغط على باب المرحاض بمرفق يده ليفتحه ووضع كلتا القطعتين في حوض غسيل الأيدي وجعل الماء ينساب عليهما. تتيح نافذة المرحاض إلقاء نظرة على ملاعب التنس، التي تبدو كئيبة نوعًا ما؛ حيث تحوّلت نجيلة أرضيتها حمراء اللون إلى كومة مكدسة في الجانب ونُزِعت شبكتان في الملاعب من مكانهما. ففي فصل الشتاء تُغلَق ملاعب التنس.

استدار لينوس، حيث سمع من خلفه صوت خطوات منخفض. ربما كانت خطوات حيوان، قد انزوى هنا ويحتاج للمساعدة. من الممكن حتى أن يكون كلبًا.

كان باب الغرفة، التي تحتوى على أماكن الاستحمام، مفتوحًا. ظل لينوس لأول وهلة واقفًا. ربما لا يكون صوت الخطوات أيضًا صادرًا عن كلب، بل عن ثعلب أو نمس أو كائن فضائي.

لكن لم يكن هناك أحد في غرفة تغيير الملابس. كان منتصف الغرفة به دكك خشبية بها قضبان ، تتخذ شكلًا عرضيًا وتمتلئ بالمشاجب والأرفف، التي يمكن وضع الحقائب الرياضية عليها. كما توجد على الحوائط دواليب معدنية ضيقة خضراء اللون. ولا أثر لوجود كلب.

انحنى لينوس راكعًا، ليلقي نظرة أسفل الدكك الخشبية. لا يوجد كلب أسفل الدكك كذلك، إلا أنه كان من العجيب وجود حقيبة ظهر مدرسية لونها ليلكي على السيراميك بنيّ اللون وبجوار أحد الدواليب المعدنية. انتابه شعور بأنه قد رأي حقيبة الظهر هذه من قبل. مدّ لينوس يده لكي يفتح الحقيبة. فمن المؤكد أن الكراسات أو الكتب الموجودة بالحقيبة تحمل اسمًا.

"ليس بإمكانك أن تأخذها معك. إنها حقيبتي!"

أتى الصوت من أعلى، فوقه مباشرةً. كان صوتًا خفيضًا وعلى الرغم من ذلك اعترى الفزع لينوس فكاد أن يحبس أنفاسه. استدار ببطء وحاول أن يتعرّف على أي شئ في الغرفة شبه المظلمة. كان هناك من يجلس القرفصاء على الدولاب المعدني وبجوار الباب مرتديًا سترة شتوية قديمة لونها أزرق، يظهر منها شعر طويل أسود اللون. خرجت يد من كم السترة الأزرق وأزاحت الشعر جانبًا.

"مريم؟!"

شعر لينوس بخيبة أمل قليلًا. فبعد أن اعتراه الفزع، كان ينتظر حقًا أن يقع المزيد – كائن فضائي أو جولوم5 أو هوبيت6 أو على الأقل أحد كائنات البوكيمون7. وبدلًا من ذلك وجد فتاة عادية تمامًا.

---

[5] إحدى الشخصيات الخيالية في فيلم سيد الخواتم. (المترجمة)
[6] شخصية أسطورية ظهرت في فيلم سيد الخواتم. (المترجمة)
[7] كائنات ظهرت في إحدى الألعاب الإلكترونية الشهيرة والمحببة للأطفال. (المترجمة)

"ماذا تفعلين هنا؟"

لم تجبه.

أخذ لينوس يتمعّن في النظر إليها. برز من أسفل السترة الزرقاء الثقيلة، التي كانت ترتديها، سروال نوم. كانت مريم كثيرًا ما ترتدي ثيابًا متناقضة بعض الشيء، فكانت ترتدي ثيابًا أكبر من مقاسها بكثير أو ثيابًا لا تتناسق ألوانها مع بعضها البعض. غير أن سترة التزلج تلك كانت تبدو، كما لو أن مريم قد التقطتها من إحدى حاويات الملابس القديمة. ولم يسبق للينوس أيضًا أن رآها قط ترتدي سروال نوم.

"هل هرّبتِ من الذهاب إلى المدرسة؟" كان هذا أول، ما جال بخاطره. لم يسألها لماذا ترتدي سروال نوم.

جذبت مريم السترة الزرقاء حول كتفيها على نحوٍ أكثر إحكامًا، لكنها ما زالت لا تجيبه.

نادى السيد كارله من الخارج. اختفت مريم ثانيةً في سترتها، كم لو أنها عباءة هاري بوتر، التي تخفي من يرتديها عن الأنظار.

صرخ لينوس قائلًا: "سأحضر حالًا!"

كان لينوس يقف عند الباب عندما تفوّهت مريم بشيءٍ ما.

"هل لديك هاتف محمول؟"

كانت ترتجف على الرغم من ارتدائها السترة الشتوية الباعثة على الشعور بالدفء.

"هل تشعرين بالبرد؟"

"هل لديك هاتف محمول؟" كرَّرت مريم سؤالها بصوتٍ منخفض بدلًا من أن تجيبه على سؤاله.

قال لينوس لها: "كلا."

"أرجوك!" ما زالت مريم تتحدث بصوتٍ هامس. "هل يمكنك أن تُحضِر لي هاتف محمول؟ لا احتاجه سوى لخمس دقائق فقط."

ردَّ عليها لينوس بصوتٍ هامس: "سأحاول." كان عليه أن ينصرف الآن وإلا فربما يأتي السيد كارله إلي الداخل. أخذ الفرشاة والمكشاط من حوض الغسيل وأسرع بالخروج.

"لو فعلت هذا مرّة أخرى، سيصل لوالديك إخطار بأنك أتلفت الممتلكات." قالها السيد كارله للينوس بصوتٍ آمرٍ عالٍ موجزًا ما حدث وهو يغلق غرفة تغيير الملابس من الخارج بالمفتاح ويجر ساقيه عبر الممر الخشبي متجهًا نحو غرفة تخزين موجودة على الجانب القصير من المبنى.

فتح السيد كارله بابًا منخفضًا وثنى قامته البالغ طولها مئة وتسعين سنتيمترًا وعلّق المفتاح على أحد المشاجب.

ظل لينوس واقفًا متحيرًا ودار في رأسه، كيف دخلت مريم إلى غرفة تغيير الملابس المُغلقة بالمفتاح.

"لِمَ تقف هنا هكذا؟ فلتنصرف من هنا!" هبط السيد كارله الممر الخشبي محدثًا ضجة وجلبة وبدأ بأداء العمل في سور ملعب التنس.

ركب لينوس دراجته بتردد. ما من فرصة لكي يعود مرّة أخرى إلى غرفة تغيير الملابس. عليه أن يعود في وقتٍ لاحق.

***

أخذت مريم تسمع، كيف أصبحت خطوات لينوس تبتعد شيئًا فشيئًا. لقد فاتها أن تقول له أنه لا يجدر به بأي حال من الأحوال أن يحكي لأحدٍ عن وجودها هنا.

استلقت على بطنها وتشبثت بيديها بالحافة العلوية من الدولاب، وحاولت في تمهل أن تزحزح نفسها من الجانب نحو الأسفل. غير أن ذراعيها كانا في تلك اللحظة واهنين، تمامًا مثل ساقيها. لم تستطع أن تبقى ثابتة وانزلقت من الحافة واصطدمت رأسها في الدولاب. أصابها ألم بالغ، لكنها لم تبكي، بل اكتفت بجذب السترة فوق رأسها. لكنها لم تفلح في فعل شئ حيال الصور والأصوات الدائرة برأسها.

طرق عنيف على باب المنزل.

"افتح، الشرطة!!!"

همس. خطوات في الردهة، ثم صوت والدها. "أني قادم... إني قادم على الفور."

" Kukuth na ka goditur .Kukuth na ka goditur "!

إنه صوت والدتها. كانت تبكي. لا تستطيع مريم أن تتذكّر، أن والدتها سبق وأن بكت. عندما كانت مريم تبكي بسبب أمور مدرسية أو ما شابه

ذلك، كانت والدها دائمًا ما تقول: "إن النحيب لا يُجدي. افعلي شيئًا مجديًا يا مريم."

دقات على الباب من جديد.

كان والدها يرتدي رداء نوم مخطط باللونين الرمادي والأزرق. مدَّ يده إلى المفتاح.

انفتح باب المنزل بالقوة.

دفع شرطيان يرتديان الزي العسكريّ بجسديهما مرورًا به. ومن خلفهما امرأة تحمل ورقة في يدها.

قالت السيدة لوالد مريم: "أمامكم عشرون دقيقة، لكي تحزموا أغراضكم، ثم سنصحبكم إلى المطار. ستنطلق رحلتكم بالطائرة نحو بريشتينا[8] في الساعة التاسعة وعشر دقائق."

" Kukuth na ka goditur .Kukuth na ka goditur"!

لماذا تتحدث والدها باستمرار عن " Kukuth "؟

مرت خطوات بامتداد الممر. تسلّقت مريم على حافة النافذة ومن حافة النافذة إلى الدولاب.

انزوت مريم خلف صندوقين كبيرين.

دفع أحدهم الباب ففتحه.

---

[8] بريشتينا: عاصمة إقليم كوسوفو. (المترجمة)

وقف أحد رجال الشرطة في الغرفة ونظر إلى فراشها الخاوي وإلى غطاء الفراش المُتكوِّر. كانت والدها تقف خلفه. فتح الشرطي الدولاب وسمعت مريم، كيف أخذ الشرطي يفتش وينقب في الملابس الموجودة به. ارتجفت ركبتاها. لم يعثر الشرطي على ثمّة شئ في الدولاب؛ فأراد أن يلقي نظرة بالأعلى. وضع الشرطي قدمه على حافة النافذة. اهتز الدولاب. أغلقت مريم عينيها وحبست أنفاسها. كان الشرطي لا يبعد عنها سوى بمسافة ذراع. لو مدّ الشرطي ذراعه، لاستطاع أن يمسك بها. التفت يد حديدية حول قلبها و اعتصرته. ما زالت تتنفّس بالكاد.

انزلق حذاء الشرطي ذو اللون البني على حافة النافذة، حيث كان لوح النافذة أضيق بكثير من أن يتسع لقدميه الكبيرتين. هزّ الشرطي بغضب الصناديق شبه الخاوية، التي كانت مريم تتمدد خلفها بصورةٍ مُسطَّحة، كأنها سمكة مفلطحة.

خرج الشرطي من الغرفة متقهقرًا وظل واقفًا على نحوٍ مفاجئ. فهناك شئ ما كان يتحرك أسفل غطاء الفراش. تسلّل الشرطي في حذر و ألقى بنفسه على الفراش قافزًا بكامل طوله. سحب هانيبال قط مريم جسده من أسفل غطاء الفراش ونفث في ذعر وفرّ من النافذة المفتوحة.

صرخت والدها قائلَة:

"مريييم!"

وأردفت:

" Kukuth na ka goditur "!

لماذا لم تعد تتحدّث سوى بالألبانية. على الرغم من أنها كانت تفتخر للغاية بمستواها في اللغة الألمانية.

سحبت مريم القلنسوة إلى الخلف وانتفضت كأنها كلب سقط في الماء. كانت تريد ألا ترى تلك الصور في رأسها ثانيّة. حلّ الظلام بالخارج بالفعل، إلا أنها كانت خائفة من أن تضئ النور، فربما يرى أحد بالخارج الضوء. حاولت أن تنهض، لكن هذا لم يكن ممكنًا، لأن قدماها لم تريدا أن تفعلا، ما أرادته مريم. فقد فقدت أي شعور بهما بسبب البرودة. استندت إلى ذراعيها واستطاعت أن تتحرّك بالاستعانة بكليهما معًا، حيث تمكّنت أن تصل إلى حقيبة ظهرها.

لم تجد في الجيب الأمامي للحقيبة سوى المقلمة وبها أقلام تلوين، أهدتها والدتها لها بمناسبة عيد ميلادها، ومقص تقطيع الورق. أخرجت مريم جميع الكتب من الحقيبة وقلبت في النهاية حقيبة الظهر بالكامل لتفرغ ما بها؛ فسقطت أمام قدميها لفافة صغيرة بها رقائق من البسكويت. لقد تفتّتت تلك الرقائق لتصبح قطعًا صغيرة. مزّقت مريم الغلاف البلاستيكي بأسنانها ففتحته وأفرغت قطع البسكويت المفتّتة في فمها. واتخذت بعض منها مسارًا خاطئًا فوصلت إلى القصبة الهوائية لمريم فأصيبت بالشرقة بشكلٍ فظيع. وأصبحت أكثر حذرًا عند تناول ما تبقّى من فتات البسكويت. فكانت تفرغ الفتات في يدها وتلعقه بطرف لسانها. كان هذا أفضل حتى في أن يتبقّى لديها وقت أطول بكثير لتناوله. "المزيد!"، هكذا أخذت

معدها تقرقر عندما انتهت من لعق الفتات كله. لكنها لم يكن لديها المزيد. فتشت كافة الدواليب، لعلّها تجد فيها طعامًا ما نسيه أحدهم. لم تجد في الدواليب سوى زوج من حذاء تنس قديم. أخذت مريم تقيس الحذاء؛ فقد ظلت ليلة أمس مرتدية حذائها الكروكس9. كان مقاس الحذاء يزيد عن مقاسها بأربع درجات على الأقل.

أخذت معدها تقرقر بصوتٍ عالٍ جدًا، كما لو أن هناك ذئب مكتمل النمو يجلس فيها.

وفي المرحاض فتحت مريم الصنبور الموجود على حوض الغسيل ووضعت إصبع السبّابة في المياه مرارًا وتكرارًا لتختبر حرارتها، إلا أن الماء ظل باردًا.

وقع نظرها على مجفف أيدي كهربائي مُثبّت بمسمار على الحائط بجوار الحوض. ضغطت على الزر الفضيّ فنفث المجفّف حرارة دافئة أعلى يديها ثم في وجهها محدثًا صوتًا عاليًا. خلعت مريم السترة واستلقت فوقها وثبّتت قدميها أسفل المجفف. لم تنتبه إلا الآن إلى أن قدميها كانتا كتلتين من الجليد. اضطرت إلى أن تنهض خمس مرات وتضغط على الزر، حتى أصبحت قدماها أخيرًا دافئتين.

ظلت معدها وحدها تقرقر.

---

[9] الكروكس: ماركة شهيرة للأحذية المرنة. (المترجمة)

انتظرت، حتى خيَّم الظلام بالخارج تمامًا وصعدت على مقعد المرحاض. لم تعد العربة اليدوية موجودة أسفل النافذة. لكن مريم استطاعت أيضًا أن تخرج بدونها.

سطع في الشارع الضوء الأصفر المنبعث من مصابيح الشارع. في كل مرة كانت تمر سيارة، كانت مريم تستتر خلف شجيرة أو خلف سيارة متوقّفة. كانت مريم في المعتاد تستغرق ربع ساعة على أقصى تقدير لتقطع المسافة بين المدرسة والمنزل. غير أن تلك المسافة بدت لها يومئذ، كما لو أنها دهر.

عمَّ الظلام كل شئ في الشقة، التي كانت تقطن بها حتى أمس. بدا الأمر حقًا، كما لو أن " Kukuth " كان هنا وامتص كل ما ينبض بالحياة. شعرت من جديد بالرغبة في حك لسانها، لكنها لم تبكِ. فالنحيب لا يُجدي.

على أية حال فإن اللوحة المجاورة لجرس الباب ما زالت موجودة هناك وتحمل الاسم: دوشي.

إنه ثاني اسم من أسفل. مسحت مريم بيدها على الأحرف المكتوبة بخطٍ أسود اللون وأرادت أن تضغط على الجرس. ربما اصطحب رجال الشرطة والدها وحده معهم وبقيت والدتها تنتظرها، غير أنها لم تكن تجرؤ فقط على أن تضئ النور، مثلما كان حال مريم قبل قليل في غرفة تغيير الملابس.

لكن كيف سيكون الحال، لو كان أحد رجال الشرطة ينتظرها في الشقة متربصًا بها؟

سحبت مريم يدها.

وماذا إن كانت والدتها لا زالت هناك؟

ضغطت على زر الجرس وقفزت السلم إلى أسفل وتكوّرت خلف سيارة توزيع بضائع.

"أرجوكِ!" أغلقت عينيها. تمنت بشدة أن تتأكد من أن الباب سينفتح.

ساد سكون تام. لم تمر حتى ثمّة سيارة بجوارها.

فتحت عينيها من جديد.

ظل الباب مغلقاً.

النحيب لا يُجدي.

كان هناك شئ ما يتحرّك خلف درجات السلم في المنزل المجاور. أخذت مريم تحوم حول السيارة. إنها مقدمة ذيل حيوان أبيض اللون. لعلّه ذيل هانيبال قطها؟ توارت مرّة أخرى خلف سيارة توزيع البضائع و قالت "مياو" لتغريه بالخروج. "مياو. مياو"

لم يسمعها هانيبال أو أنه لم يرغب في المجئ إليها، أو أنه لم يكن ذيل هانيبال أو أن الذيل لا يخص إحدى القطط على الإطلاق.

على الرغم من ذلك لم تتوّقف مريم عن إصدار صوت مواء القطط. فتح أحدهم النافذة على مصراعيها. "هلا هدأت، أيها الحيوان الغبي!"

ضغطت بجسها بشكلٍ مستوٍ على الأرض، حتى لا يرى أحد أن صوت المواء لم يكن صادرًا عن إحدى القطط مُطلقًا. بدأت معدتها تقرقر من جديد.

لا يفصلها عن السوبر ماركت، الذي كانت والدتها دائمًا ما تذهب إليه للتسوّق، سوى مسافة قليلة. كانت هناك امرأة تعمل في نضد الجبن والسجق. وكانت تلك السيدة كثيرًا ما تعطي مريم قطعة صغيرة من جبن الجودة.

السوبر ماركت مغلق. الباب الحديدي مسدل إلى أسفل. لقد مرت أربع وعشرون ساعة، منذ آخر مرة تناولت فيها طعامًا جيدًا.

أخذت تدور حول السوبر ماركت، لعلّ أحد أبوابه يكون مفتوحًا. كان هناك شئ ما يتحرّك في نهاية موقف السيارات شبه المظلم. انحنت إمرأة ذات شعر أشعث فوق إحدى حاويات القمامة. اختفى رأسها داخل الحاوية وتبعها في ذلك ذراعاها. ارتفعت قدماها بضعة سنتيمترات عن الأرض واهتزّت لوهلة في الهواء، ثم لمست على الفور الأسفلت مرّة أخرى. بدا الأمر كما لو أن أحد الطيور يُجري أولى تدريباته على الطيران. بعد ذلك بقليل ظهرت من جديد ذراعاها ورأسها في الوقت ذاته. كانت تحمل في يدها شبكة بها تفاح. فتحت الشبكة بسكين مطبخ وفرزت بضعة ثمرات تفاح عفنة ووضعت الثمرات الطيبة في حقيبة تسوقها المتنقّلة، التي كانت مفتوحة بجوارها. ثم اختفت من جديد. تأرجح

جسدها على حافة حاوية القمامة. ظهرت من الحاوية تلك المرة حاملَةً عُلبة من الخبز المقطع إلى شرائح.

تسلّلت مريم في حذر مقتربَةً منها. سقطت شرائح الخبز في الحقيبة. اختفى رأس السيدة مجددًا في الحاوية.

عندما ظهرت السيدة مرّة أخرى ومعها ربطة من ثمار الموز بها نقاط سوداء، كانت مريم تقف أمامها مباشرةً.

صرخت السيدة في وجه مريم قائلَةً: "ماذا تفعلين هنا؟ ها؟" كان فمها خاليًا من ثلاثة أسنان على الأقل.

لم تتزحزح مريم عن موضعها. "أنا جائعة!"

لوّحت السيدة بيدها بثمار الموز في انفعال. "هذا مكاني. اغربي عن وجهي. فلتبحثي لكِ عن سوبر ماركت آخر!" كانت عيناها الصغيرتان ترتعشان في قلق ذهابًا وإيابًا. كان بينها وبين مريم سحابة بيضاء اللون منبعثة من فم السيدة عند تنفسها وتفوح منها رائحة الخمر. تقهقرت مريم نصف خطوة إلى الوراء إلا أنها لم تدع ثمار الموز تغيب عن نظرها.

صرخت السيدة: "إذهبي إلى المنزل! لا تأتي إلى هنا ثانيَةً!"

استجمعت مريم كل ما بها من شجاعة وقفزت قفزة خاطفة باتجاه السيدة ومدّت يدها إلى ثمار الموز. فصرخت السيدة بصوت عالٍ ودفعت ثمار الموز جانبًا بيدها ذات العروق البارزة، غير أن مريم أمسكت بثلاث ثمرات منها فانفرطت الربطة. استدارت مريم وانطلقت تعدو متجاوزَةً

موقف السيارات وأخذت تركض، حتى وقفت من جديد أمام نافذة مرحاض غرفة تغيير الملابس وأصبحت بالكاد تلتقط أنفاسها.

لم تتبعها السيدة. هل تبعها شخص غيرها؟ هل لفتت مريم انتباه أحد إليها بسبب ركضها؟ لقد قطعت الطريق في اتجاهٍ محدد. لا – لا أحد. على كل حال لم تستطع مريم أن تكتشف وجود أحد يتبعها.

كان قلبها ما زال يخفق في جنون عندما هوت بجسدها على إحدى الدكك الخشبية في غرفة تغيير الملابس. أخرجت ثمار الموز الثلاثة من جيب سترتها وفتحت إحداها وجذبت قشرتها إلى أسفل قليلًا. كانت ثمرة الموز لينة بعض الشيء، غير أن مذاقها كان حلوًا للغاية. كانت في كل قضمة تلوك ما تقضمه، بقدر ما أمكن هذا.

صوت سيارة تقترب.

توقّفت السيارة أمام الممر الخشبي.

خطوات.

جذبت السترة فوق رأسها.

هذه المرة كانت الصور أمام عينيها مثل ضربات برقٍ وهّاجة.

الضوء الأزرق في غرفتها.

الرنين الحاد لجرس الباب القديم. كان صوتًا عاليًا جدًا، كما لو أنه لن يتوّقف أبدًا.

الطرقات على باب المترل.

"افتح، الشرطة!!!"

"أني قادم... إني قادم على الفور." قالها والدها بصوتٍ مبحوح تمامًا.

وقالت والدتها:

" Kukuth na ka goditur .Kukuth na ka goditur"!

انفتح أحد الأبواب. سمعت مريم صوت صرير منخفض. لكنه كان باب غرفة تغيير الملابس الأخرى.

ثم انبعث صوت نفث هواء، مثل الذي يصدر عندما يستخدم أحد المجفف لتجفيف شعره.

اختفت مريم في أحد الدواليب المعدنية.

ظل صوت نفث الهواء الصادر من المجفف مستمرًا.

لأمدٍ طويل.

حتى توّقف في وقتٍ ما.

***

3

جلس لينوس إلى طاولته في الفصل وانتهز فترة الراحة المدرسية الكبيرة الأخيرة في نسخ الواجبات المترلية من فين؛ حيث أنه لم يتمكّن مرة أخرى بالأمس من أدائها. فعندما عاد إلى المترل، تناول أولًا بعض الطعام، ثم اشترك مع فرانكلين في سرقة أحد البنوك. وعندما فرغا من كل شئ، ذهب لينوس مرة أخرى إلى غرفة تغيير الملابس من أجل مريم. لم تعد مريم موجودة هناك. لعلّها لم تطيق البقاء هناك في ظل الطقس البارد وعادت من جديد إلى المترل. بيد أها لم تأتِ اليوم ثانيّة إلى المدرسة.

"حسنًا، هل دبرت المال اللازم لشراء الآيس كريم؟"

وقفت ليوني أمام لينوس شاهرّة هاتفها المحمول المعد على وضع التصوير.

أومأ برأسه بالإيجاب. "أجل. لقد سطوت على بنك!"

لا بأس، لكن للأسف ليس بمقدور أحد أن يشتري آيس كريم بالدولارات المستخدمة في "لعبة سرقة السيارات الكبرى"10

---

10 يشير الاختصار GTA إلى Grand Theft Auto؛ ويقصد به لعبة سرقة السيارات الكبرى، والتي سبق ذكرها. (المترجمة)

نظرت إليه ليوني بنوع من البلاهة. فاتها حتى أن تلتقط له صورة بهاتفها.

دخلت السيدة فيشر إلى حجرة الدراسة. أسرع لينوس بإخفاء كراسته في حقيبة ظهره. وبين لحظةٍ وأخرى ساد سكون تام في الفصل.

"يجب عليّ أن أعلن لكم أمرًا مؤسفًا للغاية." قالتها السيدة فيشر وهي تشير إلى مكان مريم الخاوي.

"مريم ..." تنحنحت السيدة فيشر وقالت: "مريم لم تعد معنا هنا."

انتظر الجميع أن تقول المزيد. فقد كانوا يرون قطعًا أن مريم لا تجلس في مقعدها.

غير أن السيدة فيشر لم تُزِد على ما قالته شيئًا.

تساءل أحدهم بصوتٍ منخفض جدًا: "هل ماتت؟"

كان هذا صوت دانا. خيّم صمت ثقيل عليهم، كما لو أن أحدًا لم يعد يجرؤ أن يتنفس.

هزّت السيدة فيشر رأسها نفيًا لذلك قائلةً: "لا، يا دانا، لا، مريم لم تمت. لقد رحّلوها هي وأسرتها."

ساد الارتباك مرّة أخرى في الفصل.

رحّلوها؟

لقد سمع لينوس هذه الكلمة مرارًا في الآونة الأخيرة. هذه الكلمة تمُت بثمَّة صلة لجميع الأجانب، الذين يأتون إلى ألمانيا في تلك الآونة. لكن ماذا تعني هذه الكلمة على وجه الدقة؟

جلست السيدة فيشر في مقعدها. إنها تفعل ذلك دائمًا عندما تتحدث مع تلاميذ الفصل عن أمورٍ، لا تمت بثمَّة صلة للغة الألمانية.

"حسنًا، رحّلوها. هذا يعني: أن مريم وأسرتها أعيدوا إلى ألبانيا، أعيدوا ليلة أول أمس إلى تروبويه[11]. ولذلك لم تأت مريم بالأمس إلى المدرسة."

"لكن مريم وأسرتها ليسوا من اللاجئين. أليس كذلك؟" قالتها ليوني بحثًا عن إجابة.

شرح لها فين ذلك الأمر بقوله: "إن مريم تنحدر من ألبانيا، وهناك كثير جدا من الألبانيين قد جاءوا كذلك إلى ألمانيا."

"أليس كذلك؟" نظر إلى السيدة فيشر متسائلًا. فأومأت برأسها بالإيجاب وقالت: "لقد جاء والداها إلى هنا قبل خمسة أعوام، لأنهم تستّروا بعد نشوب الحرب في كوسوفو على أصدقاء لهم من صربيا، فأضرم أحد الأشخاص النيران في منزلهم. وكان ذلك المنزل يمثّل كل ما يملكونه."

تساءلت إيلينا: "إذًا فلم عادوا بعد ذلك مرة أخرى إلى هناك؟"

---

[11] بلدية تروبويه واحدة من إحدي وستين بلدية تتكوّن منها ألبانيا وتقع بلدية تروبويه في شمال شرق ألبانيا على حدودها مع كوسوفو ومونتنيجرو. (المترجمة)

"لم يعودوا إلى هناك بمحض إرادتهم. فقد ألقي القبض عليهم ليلة أول أمس."

قالت هيلينا على سبيل الاقتراح: "أفلا يستطيعون أن يعودوا إلى هنا مرة أخرى بعد مُضِي قليل من الوقت؟"

قال فين: "لا" واستطرد قائلًا: "إذا تعرّض شخص ما للترحيل من أحد البلاد، فإنه لا يستطيع العودة مرة أخرى إلى ذلك البلد، وإلا يتعرض لإلقاء القبض عليه."

"لكن هل اقترفت مريم وأسرتها إذًا فعلًا معيبًا؟"

نفخت السيدة فيشر الهواء بازدراء في بضع شعرات كانت فوق وجهها. "كانوا يرغبون فقط في الحياة دون أن يراودهم خوف. كان والدها يعمل في أحد متاجر بيع مستلزمات الحدائق ووالدتها تعمل في مستشفانا. لقد عاشا هنا وقتًا طويلًا وسددا أيضًا ما عليهما من ضرائب."

"إذا لم يعد بمقدور مريم أن تأتي إلى هنا، فإننا ربما نستطيع أن نزورها." من جديد كانت ليوني تُمسِك في يدها بهاتفها المحمول. "إلى أين ذهبوا هم مجددًا؟"

"إلى تروبويه في ألبانيا." كرّرت السيدة فيشر قولها وفاتها أنه لا يجوز استخدام الهاتف المحمول في المدرسة، لا سيما في الحصة المدرسية. تزاحم الجميع حول ليوني وهاتفها المحمول.

ظل لينوس وحده جالسًا في مقعده. لم يعد يفهم شيئًا آخر البتّة أو أنه قد فهم ما يكفي لمعرفة أن مريم لم تتهرّب بالأمس من الحضور إلى المدرسة إطلاقًا. لكن إن كانوا قد بعثوا مريم إلى ألبانيا، فكيف قدمت إذًا إلى غرفة تغيير الملابس الخاصة بملعب التنس؟

أخذ لينوس يفكر عما إذا كان ينبغي عليه إبلاغ السيدة فيشر بأن مريم ليست في تروبويه على الإطلاق أو أيًا كان اسمها. ولكن عندئذ خطر بباله أنها لم تعد متواجدة بالأمس مساءًا في غرفة تغيير الملابس. إن الجميع، بما فيهم السيدة فيشر أيضًا، لم يكونوا يهتمّون في تلك اللحظة سوى بما يمكن معرفته من معلومات عن تروبويه عبر موقع ويكيبيديا. إن قال لهم الآن، أنه شاهد مريم بالأمس، فسيعتقدون مُجددًا أنه يريد إضفاء أهمية على نفسه بذلك القول.

***

استلقت مريم أسفل المرآة وثبّتت قدميها أسفل مجفف الأيدي وتناولت في أثناء ذلك ثمرة الموز المتبقّية لها. امتزج صوت آخر بصوت نفث الهواء الصادر من المجفف. انتفضت مريم واقفَة ولم ترتدي حتى الحذاء الكروكس. لم تعبأ بأن قدميها أصبحا على الفور باردين مرة أخرى. فتحت بحذر باب المرحاض.

عينان خضراوان تلمعان عبر النافذة.

"هانيبال!!" بدا، كما لو أن زُمرّة من النجوم تسري خلالهما.

تفحَّص هانيبال مميلًا رأسه مأوى مريم الجديد. ثم أسهب في تنظيف فرائه ذي اللونين الأبيض والأسود.

حاولت أن تدفعه للقفز إلى الداخل باتجاهها.

عندما كانت مريم تسكن في بيتها، كانت دائمًا ما تلفت انتباهه بأن تُحدِث صوت خشخشة عن طريق هز عُلبة كرتونية من الورق المُقوّى بها علف مجفف ولكنها ليس لديها الآن سوى ما تبّقى من ثمرة الموز اللينة. ليس هذا بالشيء، الذي تستطيع أن تقدمه لهانيبال. يجب عليها أن تجد شيئًا، تستطيع أن تُحدِث به صوت خشخشة. لابد أن يدخل هانيبال إليها . لابد أن يرقد على بطنها. أرادت مريم أن تدفن يدها في فرائه الناعم، وإن أصدر عندئذ صوت قرقرة، فإن هذا سيوّلد لديها شعورًا طفيفًا كأنها في بيتها.

تسلّلت مريم إلى غرفة تغيير الملابس. فكرَّت لوهلة والتقطت واحدًا من أحذية التنس القديمة على نحوٍ خاطف ودست فيه المبراة و قلمين أو ثلاثة أقلام من مقلمتها وهزَّت الحذاء. لم ينتج عن هذا صوت يماثل تمامًا صوت الخشخشة الناتج عن هز عُلبة الكرتون الموضوع بها العلف المجفّف، لكن الأمر يستحق المحاولة.

توقف هانيبال عن تنظيف نفسه وأرهف سمعه. هزَّت مريم الحذاء. حدَّق هانيبال فيها بعينيه الخضراوين، ثم نهض بتمهل. وثب وثبة رشيقة وهبط بسلام على غطاء مقعد المرحاض. استدرجته مريم إلى غرفة تغيير الملابس. أخذ هانيبال يتمسَّح بساقيها. كانت مريم تستلقي على أحد

المقاعد. قفز على بطنها. دفنت مريم يدها في فرائه. أصدر هانيبال صوت قرقرة. اعتراها شعور طفيف للغاية كأنها في بيتها.

وعدته قائلةً: "سأدبر لنا على الفور بعض الطعام."

ينبعث من المدرسة صوت جرس منخفض جدًا. لابد وأن الساعة الواحدة والنصف. انتهى اليوم الدراسي. لعلّ لينوس يأتي من هذا الجانب حاملًا معه هاتفًا محمولًا.

***

أراد لينوس في الواقع أن يتحقّق بعد انقضاء اليوم الدراسي، عما إذا كانت مريم قد عادت إلى غرفة تغيير الملابس. غير أن خاله جيرالد قد مرَّ عليه اليوم ليأخذه من المدرسة ودعاه للذهاب إلى السينما. وبعد انتهاء الفيلم أنزله خاله أمام "إيشت تسايت". إنها الحانة الصغيرة التي تعمل فيها والدته.

تظاهر لينوس بأنه يؤدي الواجبات المنزلية. وفرش كمية كبيرة من الكتب المدرسية حوله، لكنه لم يستطع أن يركّز انتباهه، وهو ما حدث له بالضبط عندما كان في المدرسة.

هل ينبغي أن يحكي لوالدته عن مريم؟

دخل رجلان إلى الحانة الصغيرة. أليس هذا والد دانا؟

"ينبغي عليك يا لينوس أن تؤدي واجباتك المنزلية، لا أن تحملق شاردًا!" أغلقت كاترين باب ثلاجة المشروبات، التي ملأتها لتوّها ووقفت خلف لينوس. "ما الواجبات التي تعكف على أدائها إذًا؟"

دفع لينوس كرسيه بِتكلّف باتجاهها وقال لها: "لقد رحلّوا زميلة لي في الفصل." في خضم خبرٍ كهذا لن تطلب منه ثانيّة أن يؤدي واجبات مادة اللغة الألمانيّة. غير أن والدته لم تعد تقف خلفه على الإطلاق؛ فقد توجهت صوب الرجل، الذي ظن لينوس أنه والد دانا، وسألته عما يريد أن يتناوله. هل أخطأ لينوس السمع أم أن الرجل ووالدة لينوس قد تحادثا بصيغة غير رسمية؟ هل هناك ثمّة معرفة بينهما؟

"فلتبدأ الآن إذًا من فضلك يا لينوس!" زجّت كاترين شريحة توست مدهونة بالجبن ولحم فخذ الخنزير أسفل الشواية.

لا طائل من الحديث معها عن مريم. فليس لديها الآن حقًا متسع من الوقت.

فتح لينوس كراسة مادة اللغة الألمانية. ما زال يدرس تلك القصة السخيفة التي تحكي عن القيام بنزهة. حيث تهب عاصفة رعدية ويتشاجر أفراد الأسرة، عما إذا كان ينبغي عليهم الذهاب إلى المنزل ثم يوشك البرق أن يصعق الكلب. وعندئذ ينبغي علي التلاميذ كتابة القصة من منظور الأب أو الأم. بيد أنه لم يسبق له أن قرأ القصة حتى على نحوٍ صحيح. أخذ الشخص، الذي كان على الأرجح والد دانا، ينظر طوال الوقت من الجانب، الذي يجلس فيه، نحو والدة لينوس. تظاهرت والدته بأنها لا

تلاحظ هذا. غير أن فمها كان يرتعش قليلًا جدًا، كما لو أن تريد أن تمنع نفسها من أن تبتسم.

دوّى بالخارج صوت سيارة شرطة ينبعث منها ضوء لونه أزرق وتنطلق منها صافرة إنذار كقصف الرعد. هل عثروا على مريم؟ هل ألقوا القبض عليها الآن وذهبوا بها إلى هذا المكان في ألبانيا؟ وقفت كاترين فجأة خلفه وربتت بكف يدها بخفة على رأسه قائلةً: "عليك الآن أن تركز انتباهك في أداء الواجبات المنزلية يا لينوس!"

"هل يمكن أن تعيريني هاتفك المحمول يا ماما؟"

قطبت كاترين جبينها بعصبية قائلةً: "لِمَ تريده؟"

تبًا! كان يجب عليه بالطبع أن يفكر قبل ذلك في الإجابة على سؤال: "لِمَ تريده؟"

"أحتاجه فحسب. يجب أن أذهب مرة أخرى إلى المدرسة وأحضِر دراجتي. وعندئذ، حقًا عندئذ، سيكون من الأفضل أن تتمكّني من الاتصال بي هاتفيًا!"

حركت كاترين كف يدها أمام جبينها كأنه ممسحة الزجاج. "هل يمكن أن تكون قد فقدت صوابك بعض الشيء يا ابني؟ حالًا ستأتي باربارا وسوف تستلم نوبة العمل بدلًا مني، ثم سنذهب نحن الاثنان إلى المنزل وتؤدي أخيرًا واجباتك المنزلية."

دلفت مريم بصعوبة عبر نافذة المرحاض إلى الخارج. فعلت هذا اليوم في وقت مبكرٍ بعض الشئ عن أمس. ربما يكون السوبر ماركت لا يزال مفتوحًا وتستطيع مريم أن تشتري قطعة صغيرة من الجبن. لم تمر اليوم أيضًا في الطريق سوى سيارات قليلة. صحيح أن مريم لم تزل حَذِرة، إلا أنها أدركت أن السيارات، التي تمر، لا تعبأ بها إذا لم تقف مريم في مواجهة ضوء كشافات السيارات مباشرّة. لقد رأت المنزل بالفعل من مسافة بعيدة. هل هانك ضوء ينبعث من شقتها؟ أصدرت معدتها صوت قرقرة كدفعات تيار كهربائي صغيرة. تخلت مريم عن حذرها تمامًا وبدأت تركض.

كانت تقف أمام المنزل سيارة نقل صغيرة متهالكة وكان مكان الشحن فيها متوقف باتجاه النافذة. وبجوار سيارة النقل كان هناك ثلاجة. إنها ثلاجتها. لا تزال الملصقات المغناطيسية، التي تحمل شعار فريق بروسيا دورتموند والدب البرلينيّ و شخصية شريك12، مُعلّقة على باب الثلاجة.

كانت سيارة النقل مُحمّلة بالغسالة وجهاز التليفزيون الضخم. وكانت نافذة المطبخ مفتوحة، حيث تسلّق رجل خارجًا منها ومتأبطـًا مشغل اسطوانات الفيديو الرقميّة (دي في دي). ناول الرجل مشغل الاسطوانات لسيدة كانت تقف أسفل النافذة. وتبعهم رجلٌ ثانٍ. تعرَّفت مريم عليهم. فقد كان لديهم مطعم صغير وكانوا يذهبون إليه جميعًا معًا عندما تكون هناك مناسبة خاصة يحتفلون بها.

---

[12] شريك: بطل فيلم صور متحركة شهير، حظى بشهرة عالية. (المترجمة)

لاحظت السيدة وجود مريم وحدّقت فيها، كما لو أنها ترى شبحًا. ثم تلفظت ببعض الكلمات باللغة الألبانية. كانت السيدة تريد أن تعرف، لماذا لم ترجع مريم إلى تروبويه. وبدلًا من أن تجيبها، أشارت مريم إلى الثلاّجة الموجودة بجوار سيارة النقل وقالت: "إنها ليست ثلاجتكم!"

رفع الرجال الثلاّجة إلى سيارة النقل. استفسر الرجل من مريم، لماذا بقيت في الشارع في وقتٍ متأخر هكذا. كان صوته يحمل نبرة تهديد، وكان الرجل الآخر يلّح عليه لأنه يوّد أن ينصرف.

توجهت السيدة إلى كابينة السائق وعادت مرّة أخرى ومعها حقيبة تسوق متعددة الألوان. أفرغ الرجل محتويات الثلاجة في أحد الأكياس وسلّمه لمريم دون أن ينظر إليها. وفي أثناء ذلك اعتلت السيدة سيارة النقل جاذبّة الغسيل المُبلل من الغسالة. ملاءة ورداء نوم يخص بابا وغطاء إحدى الوسادات وفوط المطبخ. يا لهم من ...! لا، إنها لا تتلّفظ بكلمات نابية. لقد قالت والدها، أن لا أحد يحترم الفتاة، التي تتلّفظ بكلمات نابية.

تلاقت نظرات كلا الرجلين والسيدة بعيدًا عن مريم وأخذوا يتهامسون فيما بينهم.

سمعتهم مريم يقولون: "policia".

أغمضت عينيها قليلًا.

هذه الصور مُجدّدًا.

الضوء الأزرق في غرفتها.

الطرق العنيف على الباب. والدها يرتدي رداء نومٍ مخطط. يده المرتعشة وبها المفتاح.

بكاء والدها.

حملت نفسها على فتح عينيها من جديد. كانت السيدة تقف أمامها وفي يدها عملة ورقية من فئة العشرة يورو وأخذت تبحث في سترة التزلج عن الجيب.

علّقت مريم الحقيبة بما فيها من محتويات الثلاجة على كتفها الأيمن والكيس بما فيه من محتويات الغسالة على كتفها الأيسر. أخذت النقود وانطلقت راكضة. دار مُحَرِك سيارة النقل. أخذت تركض على نحوٍ أسرع. ما لبثت أن أصبحت غير قادرة على التنفس، ما لبثت أن اضطرت إلى أن تبطئ من حركتها. خلّفت أيدي الحقائب جروحًا في كتفها. تحركت سيارة النقل منطلقة، لكنها لم تقترب من مريم، وإنما سارت في الاتجاه الآخر. ظلت مريم واقفة تلهث.

***

4

"ألن تدعو دانا لتناول الأيس كريم؟" أمام باب الفصل كانت ليوني تحمل هاتفها المحمول و تنتظر أن تتمكّن من التقاط صورة فوتوغرافية للحظات اليأس التام. مرَّ لينوس بها، في طريقه إلى مقعده.

"إن لم يتوفر لديك في تلك الأثناء المال، فلن يتحقق الأمر ثانيّة. اليوم هو آخر يوم!" قالتها له ليوني وهي توخزه من الخلف.

تظاهر ببساطة، كما لو أن صوتها كان موضوعًا في وضعية الصمت.

لن يدرسوا اليوم اللغة الألمانية، بل الرياضيات. اقترحت دانا أن يجمعوا المال من أجل مريم وأن يرسلوه لها في تروبويه بمجرد أن يهتدوا إلى عنوانها هناك.

وماذا لو لم تكن في تروبويه على الإطلاق؟ لو بقيت هنا؟ قرَّر لينوس أن يلقي مرَّة أخرى نظرَة في غرفة تغيير الملابس.

تسلَّل لينوس في فترة الراحة المدرسية الكبيرة الأولى إلى ملعب التنس. من يتمشَّى خارجًا من المدخل الرئيس ويُمسِك به أحد مسئولي المدرسة، فإنهم يسجلّون هذا في دفتر الحضور والغياب الخاص به ويبلغون والديه

بذلك، أما من يلجأ إلى المدخل الجانبي عبر صالة الألعاب الرياضية، فإن أحدًا لا يدرك ذلك.

ما زال من الممكن رؤية بقع الألوان على الممر الخشبي وكذلك أثر قدم السيد كارله ومن جديد ظلت الخطوط الحمراء صامدة على الحائط بعض الشيء.

طرق لينوس على الباب.

ما من إجابة.

ناداها بصوت منخفض قائلًا: "مريم!" لم يكن يريد أن يصيح بصوتٍ عالٍ. بحيث لا يظهر السيد كارله هنا من جديد.

ما من حراك هناك.

دار حول غرفة تغيير الملابس. كانت هناك أسفل النافذة عربة يدوية. تسلّق لينوس عليها وحاول أن يدلف عبر عوارض النافذة المتقاطعة على شكل صليب، لكنه لم يوّفق في ذلك.

"مريم!" استطاع من هذا الموضع أن يصيح بصوتٍ عالٍ. لم يكن من الممكن رؤية النافذة من الشارع.

ما من حراك هناك. يا له من أمر جيد، أنه لم يقل شيئًا. فلم يكن أحد ليصدقه في أنه رأى مريم هنا بالأمس.

"مريم!!!" سمعت مريم من مسافة بعيدة للغاية صوت يناديها.

لقد رأت مريم حلمًا أنها تستلقي في الفراش في غرفتها وتمد يدها إلى هانيبال، لكنها شعرت بملمس شيءٍ باردٍ رطب بدلًا من فراء هانيبال. لقد امتلأت الغرفة بأكملها بماءٍ رائحته نتنة. أرادت أن تصرخ طلبًا للنجدة، غير أن الماء أطبق عليها حينئذ، كما لو أن له أيدي ضخمة، ودفعها ليلًا عبر النافذة نحو الخارج. كان كل شيء بالخارج أيضًا يمتلئ بالماء ولم يكن يبرز سوى أعالي بعض الأشجار متساقطة الاوراق وأسطح المنازل، التي تلمع من أثر بللها بالماء. حاولت السباحة لكي تصل إلى أحد الأسطح. لكن قبل أن تصل إليه، غرق السطح أيضًا في الماء. نظرت فيما حولها في ذعر. سوف تلقى حتفها غرقًا. لم يعد بمقدورها أن تسبح طويلًا في المياه الباردة. على الأثر ذهبي اللون، الذي رسمه القمر على الماء، تأرجحت أمامها فردة واحدة من حذاء رياضي أخضر اللون متوسط الارتفاع. مدّت ذراعها بآخر ما تبقّى لها من قوة، لكي تتشبّث بفردة الحذاء الرياضي. "مريم!!" لم يرد ذلك الصوت في الحلم، بل كان صوتًا قادمًا من الخارج. فتحت مريم عينيها. لم تكن مستلقية في فراشها، بل على الدكة في غرفة تغيير الملابس.

"مريم!"

كان لينوس على وشك أن يقفز من العربة اليدوية عندما ضغط أحد على مقبض باب المرحاض إلى أسفل.

قال لينوس متحققًا: " أما زلتِ أنتِ هنا؟!"

أومأت مريم برأسها بالإيجاب.

"لقد مررت أول أمس مرّة أخرى، لكنكِ لم تكوني هناك آنذاك."

أومأت مريم برأسها بالإيجاب مرّة أخرى.

كان لينوس بالفعل على دراية بأن مريم لم تكن تميل إلى كثرة الحديث.

لم يكن لينوس يعرف أيضًا على نحوٍ سليم، ما ينبغي عليه قوله. أيقول لها: ماذا تفعلين هنا أم أن مثل هذا الأمر سخيف للغاية؟ فقد كان يعلم، ماذا كانت تفعل مريم هناك؛ فهي لم تكن تريد الذهاب إلى ذلك المكان المقفر، ولذا فقد اختبأت هناك. فعلى الأرجح لا توجد في ألبانيا حتى شبكة إنترنت.

"هل معك الهاتف المحمول؟"

لم يرد هذا الأمر على ذهنه إطلاقًا. أوضح لها الأمر قائلًا: "لقد قيل في المدرسة أنهم أعادوكِ ثانيةً إلى ألبانيا، لذا لم أكن أعرف على نحوٍ دقيق، هل لا زلتِ موجودة هنا."

ازدردت مريم ريقها، لكنها لم تنتحب. فالنحيب لا يُجدي. ارتجفت مرّة أخرى. كان السبب في هذا يرجع إلى أن الجو كان باردًا جدًا في غرفة تغيير الملابس.

"ولكن الآن بما أنني عرفت أنكِ لا زلتِ هنا، فسوف أحضر لكِ هاتف محمول. بكل تأكيد!"

أزاحت مريم إلى الخلف شعرها، الذي سقط على وجهها. أصبحت رجفتها أقل بعض الشئ. لم تكن تعرف الكثير عن لينوس سوى أنه غالبًا ما

ينسخ الواجبات المنزلية من فين بدلًا من أن يؤديها بنفسه، وأن فمه أكبر من أفواه الفتية الآخرين في الفصل الدراسي. وعلى الرغم من ذلك فقد شعرت بالسعادة أنه عاد مرّة أخرى، حتى وإن لم يأتِ سوى بعد يومين.

فتشت جيوب سترة التزلج زرقاء اللون وعثرت فيها على العملة الورقية من فئة العشرة يورو، التي أعطتها لها السيدة مساء أمس. فناولتها للينوس.

كان لينوس مترددًا.

"هذا من أجل الهاتف المحمول." دوى صوتها مبحوحًا.

مد لينوس يده عبر عوارض النافذة المتقاطعة على شكل صليب.

"ينبغي ألا تخبر أحدًا بأنني موجودة هنا!" كانت معدتها تصدر صوت قرقرة في جنون. لم يكن بكثير أن تقتات في ثلاثة أيام على ثلاث ثمرات موز وعُلبة من رقائق البسكويت. "لعلّك تستطيع أن تُحضر لي بعض الطعام؟"

انبعث من المدرسة صوت رنين الجرس. لاحظ لينوس أن مريم ترتجف. فخلع سترته والبلوفر ذا القلنسوة، الذي يرتديه، ودفع إليها بالبلوفر عبر قضبان النافذة.

***

السيدة فيشر في الفصل. أوضح لها لينوس أنه مصاب بشيء من الإسهال وآلام في البطن ولم تُعقّب السيدة فيشر على ذلك. عندما مر بجوار ليوني ودانا، تحدثت ليوني إليه بصوتٍ كالفحيح : "هل من جديد

بشأن الأيس كريم؟" ابتسمت على نحوٍ مصطنع لدرجة أن التقويم الموضوع في أسنانها كان ليسقط إلى أسفل. طوّح لينوس سترته في اتجاهها. كم كان يود أن يلقيه في وجهها. سقطت العملة الورقية فئة العشرة يورو، التي أخذها من مريم، من جيب سترته. التقطتها ليوني على نحوٍ خاطف وأمسكت بها في الهواء متفحصّة لها. خطا لينوس خطوة فأصبح بالقرب منها وانتزع العملة الورقية من يدها. استدارت ليوني نحو دانا مبتسمّة في تهكم. "لقد جعلهم يطبعون نقود مزيفة من أجلك."

قالت له السيدة فيشر بغلظة وبصوتٍ عالٍ: "إن كنت قد جئت متأخرًا أكثر مما ينبغي فمن فضلك لا تعرقل علىٰ الأقل مسار الحصة الدراسية." كانت ليوني في أثناء ذلك من تثرثر. أما لينوس فلم ينطق بكلمة. جلس لينوس ونظر، هل كان لدانا أي رد فعل. غير أنها أخذت من جديد تحدّق إلى الأمام نحو السبورة.

***

لقد انتبهت دانا بالطبع إلى أن لينوس يتعقّبها في طريق عودتها إلى المنزل. انعطفت دانا في أحد الشوارع واختبئت في إحدى البوابات. وعندما جاء لينوس إلى الناصية، كاد أن يركض نحوها.

"لماذا تلاحقني؟"

"أنا لا ألاحقك على الإطلاق!"

"بالطبع تفعل هذا."

قرّر لينوس أن يقول الحقيقة.

"حسنًا، إلى حدٍ ما. كنت أريد أن أتحدث معكِ في عدم وجود ليوني السخيفة."

"وعمَّ كنت تريد الحديث معي؟"

كان لينوس يعرف أنه لا يجدر به فعل ذلك غير أن يده تصرَّفت بشكلٍ مستقل، فأخرج العشرة يورو من جيب بنطاله. "اليوم آخر فرصة. سيغلقون غدًا."

تردَّدت دانا. "لكن عليك ألا تلتقط لنا صورة وترسلها لفين أو أي شخص أحمق آخر."

"ليس لديَّ هاتف محمول على الإطلاق." لأول مرة في حياته يشعر بالسعادة من ذلك الأمر.

***

جلسا في الركن الخلفي لمحل بيع الآيس كريم. طلبت دانا آيس كريم بنكهة الفانيليا وثمار التوت البريِّ الساخن. وطلب لينوس مثلها. أخذ لينوس يفكِّر مليًا فيما يمكنه أن يقول، لكن لم يخطر أي شئ بباله مُطلقًا. لعبة سرقة السيارات الكبرى أم لعبة الفيفا أم الدوري الألماني لكرة القدم؟ كانت رأسه كأنها ممسوحة تمامًا، بينما أوشكت دانا بالفعل على الانتهاء من من تناول الآيس كريم الخاص بها عن آخره.

"هل مذاق الآيس كريم الخاص بك لا يروق لك؟" قالتها دانا وأشارت إلى كأسه، الذي لم يزل ممتلئًا تقريبًا.

"كلا."

بدأ لينوس في تناول الآيس كريم بالملعقة. كم هو مؤسف أن يكن هذا آخر آيس كريم بنكهة الفانيليا وثمار التوت البريّ يتناولانه في هذا العام.

كشطت دانا بالملعقة ما تبقّى من آيس كريم في كأسها الزجاجي.

خطر برأسه شيء يمكنه أن يقوله. "لماذا تظلين دائمًا بصحبة ليوني تلك البلهاء؟"

"أولًا: هي ليست ببلهاء. ثانيًا : أنا لا أبقى بصحبتها دائمًا. أنا أجلس بجوارها في الفصل فقط."

"عليكِ ألا تجلسي بجوارها."

" بجوار من غيرها يجب عليّ أن أجلس إذًا؟ لعلّني أجلس بجوارك؟"

أصبح كأس الآيس كريم الخاص بدانا عندئذ خاليًا تمامًا بعد كشط كل مافيه. فكّر لينوس، أيجدر به إعطائها بعض من الآيس كريم الخاص به؟ غير أنه قد ذاب في غضون ذلك ليصبح صوص آيس كريم بالفانيليا والتوت البريّ. وعلى الرغم من ذلك أخذ لينوس يتناوله بالملعقة ببطءٍ تام، إذ لربما يخطر برأسه شيء يتحدث به مع دانا.

"أريد أن أنصرف الآن." مدّت دانا يدها نحو سترتها وحقيبة ظهرها المدرسية. تطلّعت النادلة نحوهما. " أتريدان دفع الحساب؟"

أومأت دانا برأسها نحو لينوس. "سيدفعه هو."

أخرج لينوس العملة الورقية فئة العشرة يورو من جيبه وأعطاها للنادلة.

"طلبان من الآيس كريم بنكهة الفانيليا وثمار التوت البريِّ الساخن بسعرٍ خاص، لأن اليوم آخر يوم قبل إغلاق المحل. تكلفتهما 7,70 يورو." فردت العملة الورقية فئة العشرة يورو ودسَّتها في محفظتها الكبيرة وأرادت أن تغيِّرها بفكة صغيرة."

أشار لها لينوس بالنفي قائلًا: "احتفظي بالباقي!" نظرت إليه دانا في تشوش وحيرة.

ارتدى لينوس أيضًا سترته مرَّة أخرى. "عشرة بالمائة. هكذا يفعل الناس."

غادرا محل بيع الآيس كريم. نقرت دانا على جبهتها. "عشرة بالمائة من 7,70 يورو تساوي 77 سنت وليس 2,30 يورو."

أصيب لينوس فجأة بالدوار. لم يكن السبب في ذلك أن ملامح الاستخفاف ارتسمت على وجه دانا، كما لو أنها عالمة رياضيات حاصلة على شهادتي دكتوراة. لقد أنفق مال مريم ولم يحضر لها هاتف محمول أو بعض الطعام.

"ما بالك؟ هل حالك ليس على ما يرام؟" سمع صوت دانا وهي تُحدثه كأن أذنه بها قطن طبي. كان عليه حينئذ على الأقل أن يُدبِّر أمر الهاتف المحمول.

دقّق لينوس النظر إلى دانا مرّة أخرى. بدت تشعر بالقلق حقًا.

"قولي لي، هل لديكِ هاتف محمول؟" لم يبذل جهدًا، لكي يبدو وقع سؤاله مُلّحًا.

أومأت دانا رأسها بالإيجاب. "لكنه مجرد جهاز عتيق للغاية. لا يمكن الدخول عن طريقه إلى الانترنت. هل يجب أن تجري مكالمة هاتفية؟"

أخذت تنقب في حقيبة ظهرها. انحنى لينوس نحوها إلى أسفل.

همس لينوس قائلًا: "الهاتف المحمول ليس من أجلي."

توقّفت دانا عن البحث.

"مِن أجل مَنْ إذًا؟"

"هل لك أن تحفظي سرًا ما؟"

نظرت إليه متفحصّة، لترى أي ابتسامة استهزاء مستترة في وجهه. لكنها لم تراها. كانت كل قسمات وجهه تتسم بالجدية.

أومأت برأسها بالإيجاب.

"حسنًا" قالها لينوس وأضاف: "إذًا علينا أن نعود مرّة أخرى إلى المدرسة."

***

تحسّس لينوس موضع المفتاح في غرفة التخزين المجاورة لغرفة تغيير الملابس وأخذه من المشجب وتسلّل على أطراف أصابعه فوق الممر الخشبي المُلَطَّخ بالبقع. دفع المفتاح في حذر في قفل الباب وأداره. انفتح الباب فجأة محدثًا صوت طقطقة منخفض.

سارت دانا في تردد خلفه نحو الدهليز الصغير لغرفة تغيير الملابس. ضغط لينوس على مقبض الباب إلى أسفل دون أن يُحدِث صوتًا.

كان يوجد على السيراميك الكبير بنيّ اللون كتاب أطلس وبجواره عُلبة كرتونية بها لبن. كانت هناك أشياء كثيرة، لم تكن موجودة فيما سبق، مُعلّقة على المشاجب وأعلى الأبواب المفتوحة للدواليب المعدنية: رداء نوم مخطط باللونين الرمادي والأزرق وقميص نوم ضخم ذو لون أزرق سماوي وملاءة سرير وبضعة مناشف المطبخ وغطاء وسادة – وفي رف حفظ الحقائب كان هناك قط لونه يمتزج باللونين الأبيض والأسود يجلس القرفصاء وينظر إليهم نحو الأسفل.

أصدر أحد الأبواب خلفهم صوت صرير. استدار لينوس. اندفعت سترة مريم الزرقاء نحوه بقوة. وضع يده على رأسه ليحميها وحاول أن يصد اللكمات اللي تنهال عليه من اليدين، التي تخرج من السترة.

"لقد وعدتني ألا تفشي سري!"

تدخلت دانا لمساعدة لينوس وأمسكت بأحد أطراف السترة و أُصيبت في كتفها بعنف. غير أن الضربات أصبحت شيئًا فشيئًا أقل حدة. نجحت دانا في الإمساك بذراع مريم.

طالبت دانا لينوس قائلَة: "هيا، أمسك الذراع الآخر بسرعة." لم يتأتى لها إلا حينئذ أن تتفقَّد وجه من يرتدي السترة الزرقاء. "مريم؟؟؟!!!!"

هوت دانا بجسدها على الأرض بجوار مريم. "لقد ظننت... ماذا... كيف ... كيف أتيتِ إلى هنا؟ لقد قالت السيدة فيشر، أنهم أعادوكي إلى ألبانيا."

ظل لينوس واقفًا على بعد مسافة آمنة من مريم. لم يسمع أحد لوهلة سوى صوت تنفسها، الذي أخذ يهدأ شيئًا فشيئًا. أخذت دانا تستنشق الهواء في هدوء. فاحت من مريم رائحة توحي قليلًا بأنها لم تستحم.

"هل لديك على الأقل ثمَّة طعام هنا؟" بدا أن صوت مريم يأتي من أسفل السترة تمامًا. كان صوتها منخفضًا للغاية.

أخذ لينوس يهز قدميه داخل حذائه في حرج.

نبشت دانا في حقيبة ظهرها المدرسية بحثًا عن عُلبة حفظ الشطائر المدهونة بالزبد وأخرجتها. ما زال بها شطيرة لحم فخذ الخنزير، والتي سبق قضم بعضًا منها. لكن لم يكن باستطاعتها أن تقدمها لمريم.

غمغمت مريم قائلَة: "أنا أتضوَّر جوعًا."

ناولت دانا العُلبة لمريم.

أخذت دانا ولينوس يراقبان في ارتباك، كيف تفحّصت مريم لوهلة الطعام الموضوع على الشطيرة وكيف جذبت لحم الخنزير إلى أسفل وأطعمته للقط.

ثم فتحت فمها عن آخره، كأنها تود أن تبتلع الشطيرة المقضومة دفعةً واحدة، لكنها لم تقضم سوى قطعة صغيرة وأخذت تلوكها طويلًا جدًا، قبل أن تبتلعها.

عندما انتهت أخيرًا من تناول الطعام عن آخره، التفتت إلى لينوس. تقهقر لينوس خطوةً إيثارًا للسلامة. فمن يدرى أنها لن تنطلق مندفعةً نحوه مرّة أخرى. غير أنها سألته فقط بصوتٍ منخفض: "وماذا عن الهاتف المحمول؟" حتى صوتها غابت عنه القوة.

أشار لينوس إلى دانا. "ولهذا اصطحبتها معي إلى هنا."

تطلّعت مريم إلى دانا في لهفة.

أخرجت دانا هاتفها المحمول. كان هاتفها عتيقًا حقًا. وكانت الشاشة الصغيرة بها شرخ. وكلا نصفيه يلتصقان معًا بشريط لاصق وأزراره بالية لدرجة أنه كان من الممكن بالكاد التعرُّف على الأرقام المكتوبة على بعضها.

تناولته مريم بأطراف أصابعها.

تساءلت مريم في ارتياب: "هل يمكن الاستعانة به لإجراء مكالمات هاتفية؟"

هزّت دانا كتفيها. "لكن لا يمكن أن تستخدميه في شئ آخر. توجد به على أقصى تقدير كذلك بعض الألعاب والصور."

لوت مريم وجهها. "وتريدين أن تحصلي على مال في مقابل ذلك الهاتف؟"

نظرت دانا إلى مريم في استنكار. "مال؟ أنّى لي أن أحصل على مال؟"

حلقت مريم في لينوس بعينيها الداكنتين.

أخذ لينوس يهز قدميه داخل حذائه – الحافة الخارجية والحافة الداخلية.

تأملت دانا الاثنين في اضطراب، إلا أنها أدركت الأمر بعد ذلك. رمقت دانا لينوس بنظرة احتقار مميتة قائلةً: "هل أخذت العشرة يورو من مريم؟"

حاول لينوس الدفاع عن نفسه قائلًا: "لقد اقترضتها منها فقط وسوف أردها لها ثانيًة!"

جعلته نظرة دانا يظل ثابتًا كالمسمار على الحائط الأبيض لغرفة تغيير الملابس. كم ودّ أن يلتفت منصرفًا، غير أنه لم يستطع أن يتحرّك.

طالبته قائلًة: "فلتعدني أن تفعل ذلك!"

"أعدك بذلك."

لم تبد دانا أي لين وتساءلت: "متى؟"

"عندما أحصل على مصروف الجيب المقبل."

تناولت مريم الهاتف المحمول في يدها وطلبت بإصبع السبّابة رقم أحد الهواتف. ضغطت الهاتف المحمول على أذنها بشدة، كما لو أنها تودّ أن تتسرَّب بذلك إلى داخل الهاتف. وقفت مريم للحظة دون أن تبد ثمّة حراك وأخذت تسترق السمع. ثم تركت الهاتف المحمول يهبط إلى أسفل. الآن ترامى إلى مسامع دانا ولينوس أيضًا ما يقال عبر الهاتف، حيث أعلن صوت آلي نسائي أن:

"هذا الرقم غير متاح الآن."

اتصلت بالرقم مرّة أخرى، فربما تكن قد أخطأت في طلبه المرة السابقة، لأن أصابعها كانت ترتعش. مثلما حدث الآن، فقد ضغطت على الرقم ستة بدلًا من الرقم ثلاثة. أعطت مريم الهاتف المحمول لدانا. "هلا اتصلتِ بالرقم من فضلك؟" أملت مريم لدانا رقم الهاتف.

طلبت دانا الرقم وأمسكت بالهاتف واضعَة إياه على أذن مريم.

"هذا الرقم غير متاح الآن."

تركت دانا الهاتف يهبط إلى أسفل.

غمغمت مريم قائلَة: "لقد رحلوا!" وأضافت: "لقد عادوا إلى تروبويه. بدوني."

جلست على إحدى الدكك الخشبية. وقف لينوس ودانا بجوارها في حيرة.

سألتها دانا بعد برهة: "هل تريدين الذهاب إلى هناك، إلى تروبويه؟"

هزّت مريم كتفيها. "لاأعرف تروبويه بتاتًا. لقد كنت في السادسة من عمري عندما رحلنا من هناك. لا أعرف حتى على وجه الدقة أين تقع تروبويه." تطلّعت مريم إلى دانا بعينيها، اللتان بدتا صغيرتين تمامًا من فرط التعب. "ماذا عساي أن أفعل الآن؟"

جلست دانا بجوارها. "أووووووه". كان لحرف "الواو" في تلك الكلمة وقع، كما لو أنه غطاء وضعته حول مريم لتجعلها تشعر بالدفء. "فلنوجز الأمر: أولًا: لقد عاد والداكِ إلى ألبانيا. ثانيًا: أنتِ تسكنين في الوقت الراهن هنا."

اندفعت رأس مريم مرّة أخرى خارج السترة.

"ثالثًا: سنقدم لكِ يد المساعدة." قالتها دانا وأشارت إلى لينوس وإلى نفسها. أومأ لينوس برأسه مصدقًا على قولها.

نظرت لها مريم وهي تغمض عينها نصف إغماضة عبر خصلات شعرها، التي سقطت مرّة أخرى على عينيها. بدا لون عينيها الداكنتين أسطع قليلًا. "ورابعًا: نحن نعدك، بألا نحكي لأي شخص حقًا، أي شخص، أنكِ هنا!" مدّت دانا يدها نحو مريم. شعر لينوس بارتياح نوعًا ما أن مبلغ العشرة يورو لم يعد مادة للنقاش. ضرب كف دانا بكفه. وضعت مريم يدها فوق يديهما.

***

5

وزّعت السيدة فيشر أوراق التدريبات. كانت تلك هي آخر فرصة لمعرفة المزيد عن قصة القيام بنزهة. دفع فين ورقته باتجاه لينوس، بحيث يستطيع أن يقرأ أغلب المكتوب بها. كتب فين في ورقته عند كلمة "ذروة الحدث" أنها "عاصفة رعدية"، بينما كتب لينوس أنها "عاصفة صحبها برق ورعد".

هناك طرق على الباب. انفتح الباب على مصراعيه دون أن ينتظر الطارق الإذن له بالدخول.

إنه السيد كارله ثانيّة. كان يحمل تلك المرة في يده كومة من الأوراق وأخذ ينظر فيما حوله في الفصل. "أوه، معذرّة." حتى أنه عبّر عن أسفه بانحناءةٍ خفيفة. "إن كان التلاميذ يؤدون امتحانًا في الفصل، فسوف أحضر مرّة أخرى لاحقًا." أراد السيد كارله أن ينصرف، غير أن السيدة فيشر استوقفته.

"كلا، لن نجري الامتحان إلا غدًا. ما هذا الذي في يدك إذًا؟"

رفع السيد كارله إحدى الأوراق، تسنّى فيها رؤية صورة غير واضحة لمريم. كان من الممكن حقًا التعرُّف علي مريم في الصورة، لكن هذا لم يتأتى إلا من خلال شعرها الطويل، فقد كانت ملامح وجهها غير واضحة تمامًا.

أعلن السيد كارله: "إن الشرطة تبحث عنها!" وأضاف: "إن نمى إلى علم أحدكم أي شيء، يمكن أن يساعد في العثور عليها، فعليه أن يخبر المدير على الفور."

تساءلت السيدة فيشر في ارتياع: "الشرطة؟ لماذا إذًا؟"

جعل السيد كارله إصبعي السبّابة والخنصر في يده اليمنى يتحركان في الهواء.

"لقد تسلّلت خلسة عندما ألقت الشرطة القبض على أسرها. لكنها يجب أن تعود بالطبع كذلك إلى قريتها. لا يمكن أن نكن بحاجة هنا إلى أجانب مجرمين."

أخرج بكرة شريط لاصق من معطفه ونزع منها أربعة شرائط وأراد أن يلصق المنشور الإعلاني، الذي يحمل صورة مريم، على الباب. خطت السيدة فيشر ثلاث خطوات واسعة وأصبحت بالقرب منه و انتزعت الورقة من يده.

"هل جننت؟ إن مريم لا تزال طفلة. لا يمكن البحث عنها كأنها مجرمة."

كوّرت السيدة فيشر المنشور الإعلاني في غضب، حتى أصبح في يدها مجرد كرة صغيرة من الورق. نظر السيد كارله إليها نحو أسفل متعجرفًا.

"حسنًا، لعلَّكِ لا زلتِ تتذكرين شقيقها، الذي لم يبقي على شيءٍ إلا وسلبه."

ألقت السيدة فيشر بكرة الورق في سلة المهملات وسندت قبضتي يديها إلى جانبي جسدها ونظرت إلى السيدة كارله نظرةً حادة: "أولًا: على حد علمي فإن شقيقها كان يبلغ من العمر آنذاك ستة عشر عامًا، أي أنه مسئوليته الجنائية لم تكن سوى مسئولية محدودة ولم يكن ذا سلوكٍ إجرامي بعد. وثانيًا، يا سيد كارله." توجّهت نحوه، وهي تمد إصبع السبّابة – "وثانيًا: إن سمعت مرّة أخرى عنك أنك تقول يا سيد كارله أن مريم أو أي تلميذ آخر يدرس في فصلي مجرم، فسوف أقاضيك بتهمة التشهير!"

ضم السيد كارله كومة المنشورات الإعلانية إلى صدره، كما لو أنه يخشى من أن تنتزعها منه كذلك أيضًا السيدة فيشر. "والآن عليكي ألا تثوري هكذا؛ فأنا لم أقل، أن النجمة، التي تدرس في فصلك الدراسي، مجرمة. لم أقل سوى ..." ضغط السيد كارله على الباب ليفتحه.

ظل نظر لينوس عالقًا على نحوٍ لا إرادي بالحذاء الجديد، الذي يرتديه السيد كارله؛ حيث أنه لم يعد يرتدي في قدميه حذاء كرة السلة الملطخ ببقع رمادية اللون مثلما كان يفعل أول أمس. بل استبدله بحذاء قصير لامع لونه بني فاتح، لا يتلائم بكل تأكيد مع معطفه ذي اللون الرمادي.

ظل السيد كارله واقفًا. نظرت إليه السيدة فيشر متسائلة: "ماذا هنالك؟"

"ببساطة إن عدد، الذين يأتون إلى هنا، كثير جدًا أكثر مما ينبغي. يمكنكِ مشاهدة هذا يوميًا في التليفزيون! لا يمكن أن نكن بحاجة إلى أكثرهم هنا." قالها السيد كارله مزمجرًا في تحدٍ وعناد وجذب الباب خلفه على عجل وأغلقه.

ظل السكون يسود كل ما في الفصل، فيما عدا بعض الكراسي، التي كانت تهتز.عندئذ لم يعد لينوس وحده، من لا يستطيع التركيز في حصة اللغة الألمانية. فقد قالت السيدة فيشر متنهدَة: "انتهوا من كتابة هذا في المنزل."

اختفت أوراق التدريبات. التفتت دانا نحو لينوس وغمغمت قائلَة: "... مباشرَة في غرفة تغيير الملابس." كانت نظرتها تعني، بأننا لن نبوح بأي شئ بأي حالٍ من الأحوال.

صدّق لينوس على هذا: مستحيل.

"هل لدى أحد منكم أي سؤال؟ – ما زالت هناك فرصة الآن لطرح الأسئلة." ظل نظر السيدة فيشر عالقًا بلينوس.

تظاهر بأنه ليس المقصود بذلك. لم يكن يستطيع أن يخبرها، بأنه لم يقرأ بعد قصة النزهة العائلية حتى نهايتها؛ فقد يصيبها هذا بانهيار عصبيٍّ.

***

جلست مريم على الدكة في غرفة تغيير الملابس وتناولت بطريقتها المتقنة في المضغ شطيرة السجق. وهو ما كان يعني، أن يكون السجق من نصيب هانيبال، الذي كان يتمسّح في ترقّب بساقيها.

أفرغت دانا ولينوس من حقيبتيهما الرياضية الملابس، التي أحضراها معهما ووضعاها على الدكك. ووضعت دانا في الختام زجاجة شامبو ومنشفة على ملابسهما.

"الماء بارد كالثلج." أبدت مريم تلك الملاحظة وهي تلقي نظرة على الشامبو.

أدارت دانا الدش ففتحته قائلة: "لعلّكِ لم تتركيه يسيل طويلًا على النحو الكافي."

تأمل لينوس الزجاجة بما تحتوي عليه من شامبو. كان يعرف، أن هذا قد يكون غير صحيح، غير أن الزجاجة كانت تبدو بشكلٍ أو بآخر، كما لو أنها شيء، لا يمكن شرائه ببساطة هكذا من السوبر ماركت. ألقى نظرة سريعة باتجاه دانا. كانت دانا منشغلة بفحص درجة حرارة الماء. لفّ لينوس غطاء زجاجة الشامبو ليفتحها وتشمّم رائحتها. كانت رائحتها تختلف تمامًا عن الرائحة المنبعثة من شعر دانا. أقرب إلى كونها رائحة نفّاذة. يمكن على الأرجح مع ذلك شراؤها من السوبر ماركت. أدار الزجاجة مرّة أخرى سريعًا ليغلقها.

كانت مريم محقة؛ فقد ظل الماء باردًا، أيضًا بعد مرور عشر دقائق.

لعلّ الماء المنبعث من دش غرف تغيير الملابس الخاصة بالرجال والواقعة في الجهة الأخرى كان دافئاً.

غير أن لينوس لم يتمكّن من فتح باب غرفة تغيير الملابس الخاصة بالرجال بالمفتاح القديم؛ فقد كان قفل الأمان، والذي بدا، كأنه تم تركيبه للتوّ، قفلًا حديث الطراز سليمًا.

أم أنه يمكن فتح صنبور الماء الدافئ في أي مكان. نظر لينوس فيما حوله في الدهليز واكتشف وجود باب منخفض وخلفه غرفة صغيرة بها أدوات تنظيف. وخلف المقشات وفرشات تنظيف البلاط كان يوجد سخّان ماء معلّق على الحائط وبه مفتاح قلّاب: افتح / اغلق. أدار لينوس الجهاز.

"حاولا الآن مرّة أخرى!"

فتحت دانا صنبور الماء ثانيةً وثبّتت يدها أسفله منتظرّة وأرسلت للينوس ابتسامة استحسان قائلّة: "أصبحت دافئة!".

لقد أصاب الهدف. ردَّ لها لينوس الابتسامة ثم غادر غرفة تغيير الملابس. رافقه هانيبال. جلس لينوس على الممر الخشبي، بجوار أثر قدم السيد كارله مباشرّة وربت بلطف على ظهر القط. سمع لينوس صوت خرير الدُش واستمتع بالشمس التي سطعت في وجهه.

وعلى الرغم من ذلك كانت مؤخرته باردّة نوعًا ما عندما ظهرت دانا أخيرًا عند الباب وأوضحت له، أنه يمكنه أن يأتي إلى الداخل مرّة أخرى.

كانت مريم تقف أسفل مجفف الأيدي مرتديّة بنطال جينز يخص لينوس وبلوفر من الصوف يخص دانا وأخذت تجفف شعرها. كان مقاس البنطال الجينز يفوق مقاسها بكثير.

وعدتها دانا بقولها: "غدًا سأحضر لكِ حزامًا."

جذبت مريم بلوفر لينوس ذا القلنسوة فوق بلوفر دانا. كم ودّت في حقيقة الأمر أن تفعل العكس، حتى يصبح مجال رؤيتها جيدًا، غير أن بلوفر دانا كان أضيق مما ينبغي.

"رائع." قالها لينوس وأضاف: "تبدين مثل أحد الصبية."

تأملت مريم نفسها في المرآة.

قال لينوس مقترحًا: "هلا ذهبنا إلى المدينة؟ وعندئذ يمكننا أن نشعر ببعض الدفء في مركز التسوُّق."

"هل جُننت؟ هذا أمر بالغ الخطورة! أنا لا أدري، عما إذا كان السيد كارله قد علّق منشوره الإعلاني في كل مكان. يمكن لأي شخص أن يتعرّف على شخصية مريم من شعرها!"

ردّ عليها لينوس بغلظة وبصوتٍ عالٍ: "إذًا يجب علينا أن نقص شعرها توًا."

نظرت إليه مريم ودانا، كما لو أنه قال "نقص أذنيها" لا "شعرها".

قال لينوس مدافعًا عن رأيه: "وعندئذ لن يعد بمقدور أحد أن يتعرّف عليكِ. ويمكن للسيد كارله حينها أن يعلق منشورات إعلانية كما يشاء."

جذبت مريم بسرعة البرق قلنسوة بلوفر لينوس فوق شعرها. "ما ذلك المنشور الإعلاني إذًا؟"

أخرج لينوس من جيب بنطاله قصاصة الورق، التي كان قد نزعها من اللوح الأسود المخصص لتعليق الإعلانات.

أخذ صوت إحدى السيارات يقترب من الخارج.

ركض لينوس نحو الباب. تحسَّست يداه موضع المفتاح وجذبه نحو الخارج وأغلق الباب من الداخل بالمفتاح.

"الشرطة؟!" قالتها مريم بصوتٍ يشبه نعيق الغراب.

هزَّ لينوس رأسه نافيًا لذلك. "إنها سيارة السيد كارله!"

لم يكن وجود السيد كارله أيضًا أفضل كثيرًا من وجود الشرطة.

توّقفت السيارة أمام غرفة تغيير الملابس مباشرَة.

نظر لينوس إلى الأشياء ، التي كانت تقع في الغرفة طولًا وعرضًا. "هيّا. لنبعد كل شئ!" رتَّب لينوس حقيبته الرياضية وحشرها سريعًا في أحد الدواليب المعدنية.

مرَّ أحد الأشخاص على الممر الخشبيّ بخطواتٍ متثاقلة. أصْدر باب غرفة تغيير الملابس الخاصة بالرجال صوت صريرٍ منخفض.

صوت ينبعث عند جر شيءٍ ما مثل الصوت الصادر عند تحريك صناديق على الأرض، ثم انبعث صوت مجفّف الشعر أو شيء من هذا القبيل.

"هيا، اسرعا!" أطبق لينوس على حقيبة الظهر المدرسية الخاصة بمريم ووضعها على حقيبته الرياضية، ثم جمع الملاءة والمناشف والأمتعة الصغيرة كاملَة وفي الختام أيضًا حقيبة دانا الرياضية وحقيبة ظهرها.

ولم يخطر بباله إلا حينئذ أن دانا اختفت.

"دانا؟"

ما من إجابة.

انبعث بالخارج صوت غلق باب سيارة ثم صوت غلق باب آخر. دار محرِّك السيارة ومضت السيارة بعيدًا.

أبصر لينوس عبر ثقب الباب و أعلن قائلًا: "لقد انصرف!"

هبطت مريم الدولاب إلى أسفل. ترامى إلى مسامعهما صوت صلصلة منخفض منبعث من الدهليز وناتج عن إغلاق مزلاج باب المرحاض. ظهرت دانا عند الباب. بدت شاحبة قليلًا.

اعتذرت قائلَة: "لابد أن أنصرف على نحوٍ عاجل جدًا!"

نظر لها لينوس متهكمًا: "هل تشعرين بالرهبة؟ أم ماذا؟"

هوت بجسدها على الدكة الخشبية بجوار مريم.

"ألا تشعر أنت بالرهبة، أم كيف حالك؟"

ابتسم لها لينوس في استخفاف قائلًا: "لا" وزعم قائلًا بشكلٍ مفضوح: "لا أشعر بالخوف من السيد كارله."

غمغمت مريم قائلَة: "لقد كانت السيارة هنا كذلك أيضًا قبل ثلاثة أيام في جوف الليل!"

نظر إليها لينوس مشدوهًا. "السيد كارله في جوف الليل؟"

"لقد ذهب أيضًا إلى غرفة تغيير الملابس الأخرى وانبعث حينها أيضًا صوت، كما لو أنه يجفف شعره بالمجفف."

"لماذا يأتي السيد كارله في جوف الليل إلى غرفة تغيير الملابس ويجفّف شعره؟"

قالت دانا ملتمسّة أي تفسير لذلك: "ربما كان يجب عليه إصلاح شئ ما."

خرج لينوس متوجهًا إلى الممر الخشبي.

"لكن ليس في جوف الليل!"

هزّ باب غرفة تغيير الملابس الخاصة بالرجال. إنه مغلق. موصد.

ألقى نظرة على الجزء الخلفي. كانت نافذة المرحاض مقلوبة ومفتوحة. إلا أن دانا لم تكن لتمر عبر فتحة النافذة.

قال لينوس عند عودته: "من يريد الدخول، عليه إما أن يُحَطِّم النافذة أو أن يدخل عبر الباب بالاستعانة بفتّاحة الأقفال."

أشارت له دانا إشارة مفادها أن عقله ليس سليمًا وقالت: "أنت تكثر من لعب لعبة سرقة السيارات الكبرى أكثر مما ينبغي!"

ضمَّ لينوس قبضتي يديه. "هناك سلوك غير قويم يخص المدعو كارله . بكل تأكيد. أقسم لكما." التفت إلى مريم. "لكنه سيكون أفضل حقا، أن نقص لكِ شعركِ. ومن ثمَّ لن يعد بمقدور أحد أن يتعرف عليكِ، بمن فيهم السيد كارله."

لم تتفوه مريم بكلمة.

"في لعبة سرقة السيارات الكبرى يبدلون ملابسهم أيضًا ويصففون شعرهم تصفيفَة أخرى عندما يضطرون إلى الاختباء!"

رفعت دانا كتفيها في حيرة. لقد كان شعر مريم الطويل يمثل خطورَّة حقًا. لعَّل اقتراح لينوس لم يكن بالأمر السيئ إلى هذا الحد. نهضت مريم وأحضرت مقص تقطيع الورق من حقيبة ظهرها.

"هيا!" أغلقت مريم عينيها؛ فقد كانت لا تريد أن تشاهد ما يحدث.

"لا أجيد قص الشعر!" قالها لينوس وسلَّم المقص لدانا.

كانت دانا مترددة؛ فقد كان شعر مريم جميلًا. سوف يستغرق الأمر عامًا على الأقل، لكي يبلغ مثل هذا الطول من جديد.

طالبتها مريم قائلَة: "قصيه!"

تناولت دانا خصلة شعر طويلة سوداء اللون. كانت مضطرة أن تقص شعر مريم على نحوٍ غير سليم قليلًا، حيث أن المقص لم يكن على درجة كبيرة من الحدة.

أخذت مريم تصغي للصوت الصادر عندما تخلّل المقص شعرها ليفصله عن بعضه البعض. كانت تشعر في بعض الأحيان، كيف تمر إحدى الخصلات عند سقوطها على وجهها وتداعبه.

أبقت مريم عينيها مغلقتين ورأت والدها أمامها. لقد كان شعر والدها مثل شعرها تمامًا. وعندما كانت والدها تخرج من المنزل، كانت ترتدي فوقه دائمًا غطاء للرأس. غير أنهما في المنزل كانتا تقفان في بعض الأحيان سويًا أمام المرآة في الحمّام وتجربان تصفيفات الشعر: تفرقان شعريهما من الجانب أو من المنتصف أو تربطانه على هيئة ذيل حصان أو تجمعانه على هيئة جدائل. كانت والدها تبدو مثل التوأمتان إيلينا وهيلينا، عندما تجمع شعرها على هيئة جدائل. وذات مرة رفعت كلتاهما شعريهما إلى أعلي. شعرت بنفس والدها الدافئ ورائحة الليمون واللوز.

توّقفت دانا في لحظةٍ ما. بدت مريم، كما لو أن جرذًا قد ضل طريقه في شعرها والتهمه حتى نصفه. في بعض المواضع كان شعرها أطول وفي بعضها كان أقصر وفي مواضع أخرى قصيرًا جدًا. أخذت دانا المقص مرّة أخرى وحاولت أن تُقَصّر خصلات الشعر الأطول، فكسرت في أثناء ذلك الصامولة القلاووظ الموجودة في منتصف المقص. أمسكت دانا في يدها بكلا جانبي المقص.

فتحت مريم عينيها. "هل انتهيتِ؟" قالتها متسائلةً وحاولت أن تستقرئ النتيجة بالنظر في عيني دانا.

"آه..." هزّت دانا رأسها نفيًا لذلك وأومأت إيجابًا في الوقت ذاته ونظرت باتجاه لينوس، لتلتمس منه العون، غير أن لينوس كذلك لم يكن يدري ما يجدر بهما فعله حينئذ. ركضت مريم إلى المرآة، قبل أن يتمكنا من منعها من ذلك.

أووه. استنشق لينوس الهواء.

لم يكن هناك ثمّة حراك في المرحاض.

نظرت دانا ولينوس إلى بعضهما البعض.

سكون. تام.

حبس لينوس ودانا أنفاسهما.

ثم وقع انفجار، وتلاه على الفور صوت شظايا زجاجية سقطت على السيراميك.

هرع لينوس ودانا إلى المرحاض. كانت مريم تقف أمام المرآة، التي لم يتبق عالقًا بإطارها سوى بضعة شقفات. وكانت تمسك في يدها بالوعاء، الذي توضع فيه فرشاة المرحاض. لقد تناثرت شظايا المرآة الزجاجية على حوض الغسيل و الأرضية. عندما نظر دانا ولينوس إليها، كان السخط قد جعل عينيها سوداوين مثل الفحم.

نظر كلاهما لبعضهما البعض مدركين لما اقترفاه من ذنب.

أرادت دانا أن تقول شيئًا على سبيل الاعتذار، غير أن شعر مريم بدا ببساطة مخيفًا للغاية.

همس لينوس قائلًا: "ربما كان ينبغي علينا أن نبحث عن مقصٍ آخر."

استدارت مريم ومضت إلى غرفة تغيير الملابس دون أن تنطق بكلمة ووضعت قلنسوة بلوفر لينوس على رأسها وجذبتها بإحكام تام، لدرجة أنه لم يظهر منها سوى عينيها وفمها وأنفها.

غمغم لينوس: "يومًا ما سينمو شعركِ مرّة أخرى.". أراد أن يواسي مريم، بيد أنه بالنظر للشعر الأشعث الموجود في رأس مريم كان لكلمة "يومًا ما" وقع يكاد يكون مثل كلمة "أبدًا".

***

6

اليوم هو يوم امتحان اللغة الألمانية. كم سيكون من الأفضل أن يبقى ببساطة في الفراش. لكن عندئذ لن تجد مريم طعامًا تأكله. لم يكن بوسع لينوس سوى أن يأمل في أن ينسخ من فين الكثير على نحوٍ يكفى ليحصل على تقدير "كافي".

"هل من الممكن أن تسلقي لي بيضة؟" طلبها من والدته، بينما كان يدهن شطيرة من الخبز بطبقة سميكة من الزبد.

"ستأخذ معك بيضة إلى المدرسة؟" وضعت كاترين قهوتها في دهشة.

"أنتِ تقولين دائمًا، أنه ينبغي أن أتناول طعامًا مفيدًا."

ارتقت كاترين أعلى حقيبة بها صحف قديمة وأحضرت بيضة من الثلاجة ووضعتها في قِدرٍ صغير به ماء. نظر لينوس إلى الساعة. إنها السابعة ونصف. لو همَّ بالإسراع، سيكون على الأقل بمقدوره أن يجعل مريم تروى له الحكاية مرّة أخرى. إن مستوى مريم في اللغة الألمانية جيدًا جدًا. إنها دائمًا ما تحصل على تقدير "جيد جدًا" أو "جيد" فيها. حشر الشطائر في عُلبة حفظ الشطائر.

"لابد أن أمضي!"

السترة ومفتاح المنزل وحقيبة الظهر.

"مع السلامة يا ماما!"

"الساعة لا زالت السابعة والنصف فقط. ما زال لديك على الأقل ربع ساعة!"

كان لينوس يقف بالفعل عند باب المنزل.

"سألتقي قبل بدء اليوم الدراسي مع ... مع فين من أجل امتحان اللغة الألمانية!"

انغلق باب المنزل.

"وماذا عن البيضة؟" صاحت بها كاترين خلفه.

ردَّ عليها بصوتٍ كالزئير قائلًا: "سأخذها غدًا معي!"

هبط الدرج بثلاث قفزات.

انفتح باب على مصراعيه. إنها السيدة مايروكر مرّة أخرى مرتديًة روب حمام يمتزج فيه اللونين الأسود والذهبي. "ما هذه الضوضاء، التي تقع في الصباح الباكر! نحن لا نسكن لدي الهوتينتوت!"

"لديّ اليوم امتحان اللغة الألمانية!" لم يكن لينوس سيجعل امرأة عنصرية تعوقه.

"ومن أجل هذا تُحدِث مثل تلك الضوضاء؟"

"من أجل هذا عليّ أن أسرِع!"

***

بعد ذلك بخمس دقائق انعطف لينوس في الطريق المؤدي إلى ملاعب التنس وطرق على باب غرفة تغيير الملابس.

قال لاهثًا: "مريم؟! مريم، اسمحي لي بالدخول!"

صوت صرير المفتاح. ما زالت مريم تضع قلنسوة البلوفر فوق رأسها على نحوٍ منخفض لدرجة أنه لا يكاد يظهر منها سوى عيناها.

استفسر منها متسائلًا: "هل ما زلتِ غاضبة؟"

هزّت مريم كتفيها. "بالتأكيد لم تفعل دانا هذا عن عمد."

مدّ لها لينوس عُلبته، التي يضع فيها الشطائر. أخذتها وأخرجت منها على الفور شطيرة وتفحّصت ما كان موضوعًا عليها. جبن. قضمت قطعة صغيرة منها.

أخذ لينوس يراقب، كيف كانت مريم تلوك الطعام على نحوٍ لا ينقطع.

"فلتقولي لي، هذه القصة عن الأسرة والكلب" بدأ يمط نطق الكلمات وأضاف: "لعلكِ قرأتيها، أليس كذلك؟"

"القصة، التي تحكي عن شجارهم طوال الوقت ثم ذهابهم إلى المنزل وماحدث مع اللص وبعد ذلك لم يعد هناك شجار؟"

أومأ لينوس برأسه بالإيجاب. "شئ من هذا القبيل، أجل. هلا قصصتي عليَّ أهم عناصر القصة مرّة أخرى. لدينا اليوم امتحان اللغة الألمانية."

قطّبت مريم جبينها في استنكار وبدأت في الحكي، لكنها توقّفت بعد أن قالت ثلاث جمل.

"أنت لا تصغي لي على الإطلاق!"

نظر إليها لينوس في يأسٍ حقيقي.

غمغم لينوس بقوله: "إنها مملة جدًا، تلك القصة اللعينة."

قضمت مريم شطيرتها.

سألته وهي تمضغ الطعام: "هل ينبغي أن أكتبها لك؟"

نظر في عينيها الداكنتين. هل كانت تعني عندئذ هذا حقًا؟

رفعت دانا في الوقت ذاته في المقعد الخلفي للسيارة حقيبتها الرياضية، التي امتلأت من جديد حد الانفجار.

تساءل والدها عند ركوب السيارة: "ألم يكن لديكم بالأمس حصة رياضة؟" أغلقت دانا الباب بعنف وانتهزت وقت ركوب السيارة وربط حزام الأمان في البحث عن كذبة بيضاء.

"لدينا بعد انتهاء اليوم الدراسي مباراة كرة طائرة ضد فريق الصف السابع."

أدار والدها المحرك. "ومن أجل ذلك أخذتِ الشطائر الثلاثة في المدرسة؟"

نظرت نحوه بطرف عينها. هل يصدقها الآن أم أنه يتظاهر فقط بذلك؟

صمت في السيارة.

اندفعت في رأسها فكرة، أن تحكي له عن مريم.

شعرت دانا، كيف مرَّت نظرة والدها عليها تتفحصها، قبل أن يضطر من جديد لأن ينظر نحو الأمام.

"فلتسمعني يا بابا ..."

"نعم؟"

"هل من الممكن أن تعطيني خمسة عشر يورو؛ لابد وأن أذهب إلى مصفف الشعر وأجعله يقص أطراف شعري قليلًا؛ فقد أصبحت تلك الأطراف هشَّة."

قال لها على سبيل التذكرة: "لديكِ اليوم حصة تعليم العزف على البيانو."

تأوهت بصوتٍ منخفض. "هل يجب عليَّ حقًا أن استمر في الذهاب إليها؟"

توَّقف نيكلاس مباشرَةً أمام ليوني، التي كانت تنتظر دانا.

"بلى، يجب عليكِ ذلك." قبّل طرف أنفها. "من أجل ماما." ألقى نظرة على ما لديه من مواعيد مُسجلّة. "سأمر عليكِ وأخذك من عند مصفف الشعر، اتفقنا؟"

بذلت دانا جهدًا في جر الحقيبة الرياضية الثقيلة من المقعد الخلفي. "فلتمسكيها معي." طالبت ليوني بها، لاسيمّا أنها كانت تقف هناك بلا سبب محدد. مدّت ليوني يدها نحو إحدى أيدي الحقيبة. "لماذا تُحضرِين اليوم إذًا...؟" لم تواصل حديثها؛ فقد تلقّت ركلَة صغيرة في قصبة ساقها، منعتها من إنهاء السؤال. أغلقت دانا باب السيارة بعنف.

"حظ سعيد في امتحان اللغة الألمانية." صاح بها نيكلاس، قبل أن ينتظم في حركة المرور من جديد.

دلّكت ليوني قصبة ساقها. اعتذرت لها دانا، على الرغم من أنها لم تركلها بالتأكيد بصورةٍ بالغة القوة. حملتا الحقائب سويًا متوجهتين إلى الفصل.

أوضحت لها دانا الأمر قائلَة: "سأبيت في عطلة نهاية الأسبوع لدى جدتي، وهنا بداخل الحقيبة توجد بعض الملابس من أجل ذلك."

"آه." لم تصدق ليوني حرفًا مما قالته دانا. فلو كان أمر جدتها صحيحًا، لما ركلت ليوني في قصبة ساقها. لكن فلتصبر ليوني وسوف تكتشف، لماذا تكذب عليها دانا.

غيّرت ليوني مجرى الحديث قائلَة: "هل ذهبتِ حقًا مع لينوس لتناول الآيس كريم؟"

لم تجبها دانا وزادت من سرعة خُطاها. وجدت ليوني صعوبة في مجاراتها.

أصرّت ليوني على التساؤل: "هل كنتِ معه أم لا؟"

مازالت دانا لم تجبها.

"إذًا كنتِ معه." استنبطت ليوني هذا وأردفت: "هل دفع الحساب فعلًا؟ أم أن العملة الورقية فئة العشرة يورو كانت مجرد عملة من العملات المستخدمة في الألعاب؟ أخرجت ليوني هاتفها المحمول والتقطت به صورة لحقيبة دانا الرياضية.

غمغمت قائلَة: "بالمناسبة" وأضافت: "لم يعد جيريمي مرتبطًا بلاورا على الإطلاق، إنما اختلقت وحدها هذا الأمر. لقد حصلت على الدليل على ذلك من شتيفانيا."

"من تكون شتيفانيا؟"

"أعز صديقاتها. كانت. هنا... بعد ظهر أمس ..."

ناولت دانا شاشة الهاتف المحمول.

"أمام سينما سينبلكس، شتيفانيا وجيريمي ..."

امتدت يد فوق يدها. لقد أخذت السيدة فيشر من يدها الهاتف المحمول وأخفته في حافظة أوراقها.

"يمكنكِ أن تمري بعد غد وتأخذيه مرّة أخرى." نظرت إليها ليوني في ذهول.

"إن كنتِ تحتاجينه احتياجًا ماسًا للغاية، يمكنك بالطبع أن تمري بعد ظهر اليوم بصحبة والدتك وتأخذينه."

تأوهت ليوني. كانت السيدة فيشر تعلم جيدًا، أن والدة ليوني لن تأتي وتأخذ الهاتف المحمول. فليس لديها ثمّة وقت على الإطلاق لذلك.

وزّعت السيدة فيشر في الفصل الأوراق، التي تحتوي على المهام الخاصة بامتحان اللغة الألمانية.

دوّن قصة "نزهة صباح يوم الأحد" على هيئة نقاط رئيسة.

اكتب القصة، كأنها تُروى على لسان لارس أو آنيكا أو الكلب. استعن في ذلك بالنقاط الرئيسة، التي دوّنتها.

وضع لينوس يديه على بطنه ولوى وجهه ليوحي بشعوره بالألم.

استفسرت السيدة فيشر: "هل ألّم بك شيء؟"

"أشعر بألم طفيف في بطني." حاول لينوس أن يضفي على صوته نبرة مناسبة تجمع بين المعاناة والجسارة.

"هل تود أن تذهب إلى المنزل؟ هل يتعيّن أن أخطر والدتك؟"

هزَّ لينوس رأسه نفيًا لذلك. "أحبذ أن أؤدي الامتحان. لقد تدربت طوال عصر أمس."

استدارت دانا نحوه في اندهاش. ابتسم لها لينوس ابتسامَة عريضة في وهن واستلم ورقة الامتحان من السيدة فيشر وانتظر حتى استدارت دانا ونقل التدريبات المطلوب حلّها على قصاصة ورق، استخدمها كمسوَّدة.

***

دخلت مريم إلى المدرسة عبر المدخل المجاور لصالة الألعاب الرياضية. لقد قال لينوس، أنه ينبغي عليها أن تمضي مارّة هنا؛ فالمرور عبر المدخل الرئيس أمر بالغ الخطورة. كانت تضع الحقيبة على ظهرها، كما لو أنها ستذهب بصورةٍ طبيعية تمامًا إلى المدرسة، وكانت تجذب فوق رأسها قلنسوة بلوفر لينوس.

مرَّت على مجموعة من التلاميذ، كانوا متواجدين بلا هدف عند ماكينة المشروبات. لم يلحظ التلاميذ وجودها.

بدا لها الممر في ذلك اليوم غريبًا، على الرغم من أنها سبق وأن مضت فيه مئات المرات. فقد كان اللون الأخضر للأرضية مختلفًا، عما كان بذاكرتها. كما أن درجة الضوء رمادية اللون كانت أكثر تركيزًا، غير أن سبب هذا قد يرجع أيضًا إلى الطقس الرمادي بالخارج.

***

رفع لينوس إصبعه قائلًا: "أنا ... لابد أن أذهب إلى المرحاض." نظرت إليه السيدة فيشر على نحوٍ يوحي بالتعاطف معه لدرجة أن علا الاحمرار وجهه قليلًا.

"هل لا تود أن تذهب إلى المنزل؟ يمكنك أن تؤدي الامتحان في وقتٍ لاحق، عندما تصبح في حالٍ أفضل."

نهض لينوس ضاغطًا بيده على بطنه. "عندئذ ربما أكون قد نسيت مرّة أخرى كل شيء، تدرَّبت عليه." غادر لينوس حجرة الدراسة بخُطى متثاقلة.

وعندما انغلق الباب وراءه، أسرع الخطى منطلقًا وهبط السلم وسار عبر قاعة الترفيه، بامتداد الممر المؤدي إلى صالة الألعاب الرياضية وفتح باب مراحيض الرجال على مصراعيه. "مريم؟"

فتحت مريم المزلاج وتناولت القصاصة.

ركض لينوس عائدًا إلى الفصل.

أخرجت مريم كتاب اللغة الألمانية من حقيبة الظهر واستخدمته كمسند للكتابة. أي شخصية يجدر بها أن تختارها لتروي القصة على لسانها؟ إن لارس وأنيكا مملان. ربما يكون الكلب لا بأس به ... أم ... لا، لديها فكرة أفضل.

أتى أحد الفتية إلى المرحاض. استطاعت أن ترى أسفل فتحة الباب حذائه الرياضي أبيض اللون. رفعت مريم قدميها إلى أعلى. من الأفضل، ألا يرى أحد، أن هناك من جاء إلى المدرسة في مستهل نوفمبر مرتديًا حذاء

الكروكس. غير أن الفتى لم يلاحظ وجودها على الإطلاق، مثلما حدث بالضبط عند ماكينة المشروبات.

***

كتب لينوس في الفصل الكلمات الرئيسة: نزهة، شجار، عاصفة ، شجار مرة أخرى، برق ورعد ...

كم من الوقت يتحتم عليه أن يترك لمريم؟ لم يكن لدى أحد المحيطين به ساعة. كم ودَّ حينئذ أن يعدو إلى أسفل من جديد متوجهًا نحو المراحيض، لكن من المؤكد تمامًا أن الوقت مبكر أكثر مما ينبغي. حمل نفسه على أن يخط أشياءاً غير محددة على قصاصة الورق، التي استخدمها كمسودَة.

***

بحثت مريم عن مرادفات أخرى لكلمة قاسي: وحشي – جامد المشاعر – وضيع – مقرف – قذر – شنيع وخطرت ببالها في نهاية المطاف أيضًا كلمة "عديم الرحمة". استخدمت الكلمات كلها. صبّت مريم جل اهتمامها لدرجة أنها لم تسمع صوت لينوس عندما أتى على الإطلاق.

هزَّ لينوس باب المرحاض. "هل انتهيتِ؟"

"تقريبًا!"

"اعطيني قصاصة الورق، وإلا لن يعود بمقدوري أن أنسخ ما فيها."

"لم أكتب النهاية بعد."

جاء أحد الفتية مجددًا إلى المرحاض، فوقف لينوس أمام مريم، ليحجبها بقدر ما يستطيع. نظر الفتى سريعًا إلى هذا الجانب ووقف في هدوء أمام الحوض وتبوّل.

نظرت مريم في حرج إلى السيراميك أبيض اللون.

انتظرا حتى غادر الفتى المرحاض.

"عليكِ أن تكتبي الخاتمة أيضًا، فهي لازالت غير موجودة. هل تسمعيني؟" أسرعت مريم بكتابة ختام القصة، كأنها ماكينة آلية، بينما أعقبتها أثناء سيرها في الممر بجزءٍ أخر فقالت للينوس صائحةً من خلفه: "لم يكن لدى اللص وقت لأن يسرق شيئًا. انكسرت النافذة فقط. تناول أفراد الأسرة ما تبقى من طعام النزهة في وجبة العشاء وشعر الجميع بالسعادة."

***

استقبلت السيدة فيشر لينوس في الفصل بنظرةٍ قلقة. بعثها لينوس على الاطمئنان بقوله: "الآن أنا في حالٍ أفضل. الآن تخلصت من كل ما يؤلمني!"

تبادل لينوس ودانا النظرات سريعًا وانتابه شعور، كما لو أنه فاز للتوّ بالميدالية الذهبية في الألعاب الأوليمبية. جلس لينوس في مقعده ووضع في احتيال قصاصة الورق، التي يستخدمها كمسوّدة، أسفل ورقة التدريبات وبدأ ينسخ بسرعةٍ جنونية ما دوّنته مريم في قصاصة الورق.

تعثّر في النسخ بعد جملتين، وذلك في موضعٍ مكتوب به:

"الرعد وأنا اختبئنا خلف سحابٍ كثيف بغيض."

من؟ من اختبئ هنا؟؟؟ اعتراه الفزع.

"دائمًا ما نتشاجر حول من يخيف الناس أكثر. كان الطقس صباح اليوم ما زال جميلًا ولذلك سيأتي بلا ريب أناس كثيرون إلى البحيرة للتنزه. لقد عقدت أنا والرعد العنيف رهانًا ..."

يا له من أمرٍ رائعٍ بحق! ما هذة القصة إذًا؟ حسنًا، لقد ورد ذكر التنزه، لكن من أي منظور إذًا ينبغي كتابة ذلك الآن؟

أراد بعض التلاميذ تسليم أوراقهم أولًا. قالت لهم السيدة فيشر أنه ينبغي عليهم الاستفادة من وقتهم والنظر لمراجعة الأخطاء. ما زال لديه على أكثر تقدير عشر دقائق. مستحيل، أن يختلق الآن بنفسه شيئًا ما. لن يحصل على أكثر من تقدير "ضعيف جدًا". واصل الكتابة.

"... لقد عقدت أنا والرعد رهانًا، حول من منا بمقدوره أن يخيف الناس المتواجدين على البحيرة أكثر من الآخر، هو بالاستعانة بصوت دوّيه المرعب وأنا بالاسنعانة بضوئي القاسي. كنت أعرف، أنني سأفوز بالرهان؛ فدائمًا ما أفوز ..."

جرس المدرسة. أخذ لينوس يكتب ويكتب. جمعت السيدة فيشر أوراق الامتحان. ستقف أمامه حالًا. أخفى لينوس قصاصة مريم في كمّ ملابسه في اللحظة المناسبة بالضبط وسلّم ورقته. عادت السيدة فيشر إلى مقعدها،

فأخفض لينوس ذراعيه وسقطت قصاصة الورق، التي استخدمها كمسوّدة، من كم ملابسه وطارت أمام أقدام ليوني.

شرعت ليوني في الحديث قائلَة: "هاي، يا لينوس، هناك شيء ما قمت أنت ..." – ركلتها دانا مرّة أخرى في قصبة ساقها.

نظرت السيدة فيشر في اتجاه كلتيهما.

اشتكت لها ليوني قائلَة: "إنها تركلني دائمًا."

غمغمت دانا: "معذرة"

نظرت السيدة فيشر إلى دانا متفحصَة إياها. "ما بالكما اليوم؟"

"لعلّنا قد ألَمّ بنا جميعًا أمر غريب بعض الشيء، بسبب ما جرى لمريم." قالتها دانا في محاولة لتفسير ما حدث.

أشارت لها ليوني إشارة مفادها أن عقلها ليس سليمًا وقالت: "لا شيء يدعوكِ لأن تركليني باستمرار في قصبة ساقي، لمجرد فقط ما جرى لمريم."

"مجرد فقط؟! فلنرى، ما قد تفعلينه، إن مرّوا ببساطة ليأخذونكِ في جوف الليل وجاءوا بكِ إلى مكانٍ ما، لا تريدين الذهاب إليه حقيقةً."

لم تُحضر دانا مقصًا معها. وساقت مريم إلى مصفف شعر مناسب مستخدمَة الخمسة عشر يورو، التي حصلت عليها من والدها. مرت دانا ومريم على واجهات عرض متجر "كاوفباراديس". صوّبت مريم بصرها بقوة إلى أحجار رصيف المشاة. لم تكن تريد أن ترى صورتها المنعكسة في الألواح الزجاجية. كانت دانا ولينوس يتشاجران خلفها من جديد.

"ولكن ماذا لو كان أحد قد تعرّف عليها؟" كانت دانا غاضبة حقًا. كيف يمكن لأحد أن يصاب بخللٍ عقلي على هذا النحو؛ فيسمح لمريم بالذهاب إلى المدرسة، حيثما تُعلّق المنشورات الإعلانية في كل مكان.

"لقد نزعتها جميعًا. وعلى كل حال لن يتعرّف عليها أحد، بينما تبدو هكذا الآن."

غير أن مريم ألقت نظرة على واجهات عرض المتجر؛ فقد كانت تريد أن تعرف، عما إذا كان هذا كلامًا صحيحًا. اكتشفت خلف صورتها المنعكسة الغائمة وجود بضعة أحذية في واجهات العرض. لم يكن في الواقع وجود بضعة أحذية في واجهة عرض أحد المتاجر بأمرٍ مميز. ما كان مميزًا هو ذلك الحذاء. لقد كان حذاءًا رياضيًا قصيرًا أخضر اللون به ثلاثة خطوط بيضاء. بدا الحذاء تمامًا، مثل فردة الحذاء، التي رأتها في الحلم. فردة الحذاء، التي تأرجحت على الماء والتي أرادت مريم أن تتشبّث بها، قبل أن يوقظها لينوس.

مرّ لينوس ودانا خلفها. ما زالا يتشاجران.

نفثت دانا في وجهه قائلةً: "فقط لأنك كسول أكثر مما ينبغي لدرجة أنك لا تقرأ بنفسك أي شئ لمرة واحدة!" لم يكن لينوس يدري على الإطلاق، لماذا كانت دانا ثائرة على هذا النحو؟ سيحصل لينوس على كل حال على تقدير "ضعيف"، إن لم يكن "ضعيف جدًا". لقد روت مريم القصة من منظور البرق، الذي طرد الجميع من البحيرة. لقد ورد في السؤال: "لارس أو آنيكا أو الكلب." ليس "البرق"! لعَل شئ ما قد ألمّ

بعقل مريم بسبب البرودة الموجودة في غرفة تغيير الملابس، مما جعل فكرة بلهاء كهذه تخطر ببالها.

نهرته دانا قائلةً: "ليتك تؤدي واجباتك المترلية ولو لمرة واحدة !"

"لم يكن لدىَّ متسع من الوقت بالأمس!"

لم تنتبه دانا إلا حينها، أن مريم ظلت واقفة.

"ها يا مريم!" أطبقت مريم شفتيها في ذعر والتفتت حولها. لكن يبدو أن ما من أحد سوى مريم قد سمع ما قالته.

أشاحت مريم ببصرها عن الحذاء. كان ثمنه خمسة وخمسين يورو. حتى لو ردَّ لها لينوس مبلغ العشرة يورو فلن تستطيع أن تدفع ثمن الحذاء. أخذت مريم تسعل. لم يكن صوت سعالها سوى نعيقٍ جاف. كان صدرها يؤلمها منذ ليلة اليوم. من المحتمل أن يكون سبب ذلك قدميها الباردتين دائمًا. أحضرت لها دانا زوجين من الجوارب القصيرة الثقيلة. غير أن مريم لم تكن تستطيع أن ترتدى سوى زوج واحد منهما في كل مرة، وإلا سيصبح حذاء الكروكس الخاص بها ضيقًا أكثر مما ينبغي.

***

دخل ثلاثتهم إلى محل صغير لتصفيف الشعر.

وضعت مُصَفِّفة شعر صغيرة جدًا في السن عباءة من النايلون حول جسد مريم. كان شعر المصففة مصبوغ بلونين؛ ففي الأعلى كان لونه أشقر وفي الأسفل أسود.

حملقت مريم في المرآة. أصبح بمقدورها الآن أن ترى نفسها جيدًا. عيناها بنيتان اللون لهما هالتين سودتين ويحيط بهما قلنسوة جذبتها حولها. يمكن التعرّف على عينيها بكل تأكيد.

نظرت دانا بطرف عينها إلى لينوس. رفع لينوس كتفيه لأعلى في حيرة.

انتظرت مُصَفِّفة الشعر ذات الشعر المصبوغ بلونين وهى تلوك العلكة وصنعت من العلكة فقاعة في فمها. أعلى الخزينة تدق ساعة ضخمة مربعة الشكل ذات ميناء معدنية وعقارب طويلة رفيعة.

فرقعت مُصَفِّفة الشعر صغيرة السن فقاعة العلكة. "إذًا، إذا كان ينبغي عليّ أن أقص شعرها، يجب أن تجذب القلنسوة إلى أسفل." كانت تتوجه بحديثها إلى دانا أكثر من كونها تتحدّث إلى مريم.

أومأت دانا برأسها بالإيجاب. لكن ما عساها أن تفعل؟ فهي لا تستطيع ببساطة أن تجذب قلنسوة مريم إلى أسفل.

"مر..." أطبقت دانا شفتيها من جديد ووقفت خلف مريم مباشرةً. غمغمت دانا قائلةً: "لابد أن تسحبي القلنسوة."

"افعلي أنتِ ذلك." أجابتها مريم هامسةً وهي تغلق عينيها.

فكّت دانا العقدة الموجودة أسفل ذقن مريم وسحبت القلنسوة بحذر، كما لو أنها قد تصيبها بألم.

"يا إلهي!" حتى مُصَفِّفة الشعر، التي اعتادت على مثل هذه الامور، شعرت للحظة بالصدمة من منظر شعر مريم الأشعث. إلا أنها بصقت بعد

ذلك العلكة بمنتهى الدقة في إحدى صفائح القمامة ومدَّت يدها نحو المقص. استفسرت من دانا: "هل أغسل لها شعرها؟"

"لا. بلّليه فقط!"

بدأت مُصَفِّفة الشعر في العمل بحركاتٍ احترافية في فتح وقفل المقص.

انسحب لينوس إلى الركن الموجود به القصص المصوَّرة والمجلات، غير أن دانا ظلت واقفة بجوار مريم وأخذت تراقب في قلق، كيف أصبح شعر مريم أكثر قصرًا. تناولت مُصَفِّفة الشعر ماكينة الحلاقة. حاولت دانا أن تستطلع رأي مريم عبر النظر في المرآة. لم يكن ذلك ممكنًا. لقد ظَلت عينا مريم مغلقتين. أصدرت ماكينة الحلاقة صوت أزيز مرورًا بأذن مريم. لم تحرك مريم ساكنًا.

في لحظةٍ ما انتهت مُصَفِّفة الشعر وتأملت ما أنجزته من عمل بشكلٍ ناقد.

لم يصبح شعر مريم منتظم الطول تمامًا.

دفعت مُصَفِّفة الشعر، ما تبَقى من شعر في أعلى رأس مريم، نحو منتصف رأسها.

قالت مُصَفِّفة الشعر على سبيل الاقتراح: "يمكنني أن أصبغه."

تساءلت دانا: "هل ترغبين في ذلك؟"

لم تنظر مريم إلى شعرها بعد. التفتت دانا نحو لينوس. كان يقرأ. إذًا كان عليها أن تتخذ القرار. إن وجود خصلة شعر ملونة في شعر مريم يعد بمثابة تمويه جيد. "لكنني ليس معي سوى خمسة عشر يورو."

نحت مُصَفِّفة الشعر المقص جانبًا وتنهّدت قائلَة: "حسنًا، سأصبغه من أجلكما فقط." وأردفت: "أصبغه باللون الأزرق أم الأخضر؟"

"الأخضر!" قالتها مريم بصوتٍ يشبه نعيق الغراب وسعلت.

انتهى الأمر بعد ذلك بعشرة دقائق. رفعت مُصَفِّفة الشعر العباءة عن مريم. لا زالت مريم جالسة هناك وهي تغلق عينيها.

"اعتقد، أن شعرها يبدو جيدًا نوعًا ما. ما رأيك يا لينوس؟"

رفع لينوس بصره لوهلة.

"يووووه." همهم بها لينوس وانهمك مرّة أخرى في مطالعة القصة المصورة.

"يجب أن تأتي إلى هنا، وإلا لن ترى شعرها على نحوٍ صحيح!"

نهض لينوس على مضض. استحثته نظرة دانا أن يبدي تحمسًا.

"بلى." قالها وأضاف: "بلى، إذًا، عندما نعتاد علي هذا، مثل هذا اللون الأخضر هكذا ... سيسعدني أن أجربه أنا أيضًا، ... لكنني أجد أن الشعر الطويل... أوه!"

دفعته ركلة دانا له في قصبة ساقه على الصمت.

فتحت مريم عينيها. غدت عيناها تمرق ذهابًا ومجيئًا عبر المرآة وتتحسَّست شعرها ذا الخصلة الخضراء.

اغرورقت عيناها بالدموع. وضعت مُصَفِّفة الشعر صغيرة السن العباءة على مريم من جديد في فزع. "هل تجدين خصلة الشعر غير جيدة؟ هل ينبغي أن أزيل لونها مرّة أخرى؟"

هزّت مريم رأسها بالنفي.

حاولت مريم أن تجهش بالبكاء. إنه لأمر محرج تمامًا، أن ينطلق أحد منتحبًا في وسط محل تصفيف الشعر، حيثما توجد على الجدران صور لأشخاص رائعين جدًا وسيدات جميلات بشكلٍ غير معقول. غير أن الدموع كلها، التي كانت قبل ذلك غير مجدية ، أرادت أن تخرج الآن.

"لم يعد أحد هنا." غمغمت بها، كما لو أنها مضطرة لأن تفسِّر لنفسها، لماذا تنتحب الآن. "والدتي ووالدي – رحلوا بعيدًا" أشارت مريم إلى المرآة. "والآن أنا..." أصبح صوتها منخفضًا جدًا لدرجة أن أحدًا لم يستطع أن يسمعها سوى دانا، التي كانت تقف خلفها مباشرةً. "... أيضًا بعيدة."

هزّت مُصَفِّفة الشعر صغيرة السن رأسها بذهول. لقد أدت حقًا، ما كان يجدر بها أن تؤديه. "ستراكِ كل الفتيات رائعة! لأن لون شعركِ هذا يختلف عن لونِ شعرهن جميعًا."

قرَّبت دانا مريم إليها. سمحت مريم بذلك ودفنت وجهها في جانب جسد دانا. استطاعت دانا أن تشم رائحة الفانيليا الرقيقة المنبعثة من الماء، الذي رشّت به المُصَفِّفة شعر مريم.

همست دانا في أذن مريم قائلةً: "لقد رحلت والدتي أيضًا بعيدًا." كان على دانا أن تنتبه، ألا تنخرط مع مريم في النحيب على الفور. ووسط ستارٍ من الدموع نظرت مريم بطرف عينها إلى أعلى حيث دانا. كانت مريم تعرف، أن والدة دانا قد وافتها المنية. فقد حضرتا بصحبة تلاميذ الفصل بأكملهم مراسم دفنها قبل ثلاثة أعوام. مسحت مريم بأذنها على يد دانا، التي كانت تضعها على كتف مريم. رأت دانا في المرآة عينيها الداكنتين الكبيرتين. هناك يمكن أن يبدو شعر مريم، كما تريدان. بالنظر إلى عيني مريم يبدو من الملاحظ أنها فتاة.

نهض لينوس. فتاتان تنتحبان لدى مُصَفِّف الشعر. يا له من أمرٍ رائع بحق! تنتحب والدته كذلك في بعض الأحيان وعندئذ يعد لها لينوس قدحًا من الشاي بالعسل، فتتوقف حينئذ غالبًا عن البكاء. دار في رأس لينوس، هل يجدر به أن يسأل مُصَفِّفة الشعر عن هذا؛ فكثيرًا ما يكون لديهم في هذه المحلات آلات إعداد الشاي كهذه. إلا أن مُصَفِّفة الشعر كانت منشغلة عندئذ مع زبونة أخرى.

"لا أعرف والدي البتّة. لم أقابله قط." تمتم بها عوضًا عن ذلك وأضاف: "يكفيني تمامًا خالي جيرالد!"

***

غادرت مريم ولينوس ودانا المحل. ابتهجت مُصَفِّفة الشعر، أن مريم لم تجذب القلنسوة أعلى رأسها مرّة أخرى.

كان نيكلاس قد أوقف سيارته على بعد مسافة عشرين مترًا. نزل نيكلاس من سيارته ولوَّح لدانا بيده.

" تبًا! هل تأخرنا كثيرًا؟"

أشارت الساعة الضخمة الموجودة في محل تصفيف الشعر إلى الساعة الثالثة والنصف.

تساءل لينوس : "ماذا سنفعل الآن؟" لم يكن لينوس قد انتبه بعد إلى وجود والد دانا.

"يجب أن أذهب إلى حصة تعليم العزف على البيانو." احتضنت دانا مريم سريعًا. "هل يجدر بي أن أسأل والدي، هل من الممكن أن تسكني لدينا؟"

نظرت مريم باتجاه والد دانا، الذي كان يقف بجوار سيارته مطوقًا ذراعيه. لم يبد والد دانا ذلك الرجل، الذي ليسمح ببساطة لفتاة لا يعرفها مطلقًا أن تسكن لديه. هزَّت مريم رأسها بالنفي. احتضنتها دانا مرَّة أخرى سريعًا وتوَّجهت إلى لينوس متسائلَة: "هل ستصطحبها إلى البيت؟"

قطَّب لينوس جبينه قائلًا: "إلى تروبويه؟"

"يا له من هراء! إلى غرفة تغيير الملابس."

أخذ نيكلاس ينقر من مسافةٍ بعيدة بإصبع السبَّابة على ساعة يده.

انطلقت دانا راكضَة ولكنها عادت ثانيَة بعد أن قطعت بضع خطوات.

"مريم هنا في بيتها ووطنها!" قالتها دانا للينوس، لكنها كانت تريد في الواقع أن توضح هذا الأمر لمريم. "ليس في ... في ..." رفعت يدها في حركة إيمائية تشير لاستعدادها للضرب، والتي كادت أن تستقر في وجه لينوس "ليس في تروبويه أو أيًا كان اسمها." مرقت دانا عبر الشارع باتجاه السيارة.

***

"لقد جئنا من جديد متأخرين أكثر مما ينبغي." تبيَّن والدها الأمر غاضبًا.

"لا أبالي أن أذهب إلى حصة تعليم العزف على البيانو السخيفة!" فكّرت دانا في هذا الأمر لكنها لم تتلّفظ به بصوتٍ عالٍ. عندما ينضوي صوت والدها على ذلك الغضب، فإن عليها أن تكون حذرة.

أسرعت بالركوب إلى السيارة ولم تلاحظ أن والدها يتأمل شعرها بشكلٍ ناقد، حيث بدا شعرها بالطبع بنفس مظهره في الصباح بالضبط.

أدار والدها السيارة ليخرجها من المكان الشاغر لإيقاف السيارات دون أن يوجّه لها السؤال المعتاد: "كيف كان يومكِ في المدرسة".

نظرت إليه دانا بطرف عينها. هل هو غاضب حقًا؟ فقط لأنها جاءت متأخرة قليلًا؟ لكنه أيضًا يأتي باستمرار متأخرًا جدًا.

كان نيكلاس يحملق في عنادٍ وإصرار إلى الأمام. "أولًا: أود أن تكوني دقيقة في مواعيدك عندما نكن مرتبطين بموعد." قالها لها عندما اضطرا

للوقوف أمام إشارة مرور حمراء. "ثانيًا: لا أريد، أن تتسكعي مع الشباب وثالثًا ..."

"الأول كان لينوس وأنت تعرفه!"

"وماذا عن الآخر ذي خصلة الشعر هذه؟"

"إنه ليس بفتى على الإطلاق. إنها فتاة." أفلتت العبارة من لسان دانا.

عضّت دانا على لسانها. لم يكن ينبغي لها أن تقول هذا الآن. غير أنه لأمر جيد أن يعتقد والدها أن مريم فتى؛ لأن هذا يعني أن تغيير تسريحة شعر مريم كان مفيدًا.

أوضحت الأمر لوالدها قائلَة: "اسمها إيميليا."

ظلت نظرة نيكلاس مشوبة بالشك.

حاوت دانا أن تقنعه بذلك قائلَة: "لقد قصّت لها والدتها شعرها على نحوٍ مخيف هكذا لدرجة أن الجميع سخر منها. وعندئذ دعوتها للذهاب إلى مُصَفِّف الشعر."

تنهّد نيكلاس مستغرقًا في التفكير. لكنه لم يعد غاضبًا. انتبهت دانا إلى ذلك من أن وقع صوته أصبح الآن عاديًا تمامًا. سألها والدها: "فلتخبريني، هل تعرفين والدة لينوس فعلًا؟ لعلّنا نستطيع أن ندعو كليهما، حيث أنكِ تربطك الآن بلينوس علاقة صداقة؟"

أمعنت دانا التفكير. ففي الحفلة المدرسية الأخيرة كانت والدة لينوس مهتمة بشأن فتاة، كانت تنتحب بفظاعة، لأن والديها لم يأتيا إلى الحفلة. لكن دانا لم تكن تعرف عنها شيئًا آخر خلافًا لذلك.

***

مرَّ لينوس ومريم بالسوبر ماركت في طريق عودتهما إلى غرفة تغيير الملابس. "لابد أن اشتري شيئًا لهانيبال، وإلا فربما يهرب من جديد."

نقَّب لينوس في جيوبه. ليس لها سنت واحد. اعتراه عندئذ غضب بعض الشيء من أنه أعطى النادلة في صالون الآيس كريم بقشيشًا أكثر مما ينبغي.

سألها: "هل يناسبه اللبن؟"

أومأت مريم برأسها بالإيجاب.

"إذًا تعالِ!"

توَّجه لينوس نحو رف اللبن الطازج بإصرارٍ وتصميم على تحقيق الهدف. فحص لينوس جميع الزجاجات ووجد في النهاية، ما كان يبحث عنه.

"تنتهي صلاحية هذه الزجاجة اليوم!" عثر في الصف الأخير من الخلف على زجاجة لبن كامل الدسم وسحبها للخارج وتقدَّم نحو الخزينة حاملًا الزجاجة ومن خلفه مريم. مرا على ركن عرض السجق والجبن. كانت البائعة الودودة تقوم على الخدمة هناك. ظل نظرها عالقًا بمريم ولازم

خصلة شعرها الخضراء، التي تتخذ شكل عُرف الديك. ألقت مريم نظرة متلهفة على البضاعة المعروضة. استخلصت نفسها من هذا. فمن يدري لعَل أحد المنشورات الإعلانية للسيد كارله مُعلّقًا هنا.

لم تتعرّف البائعة على مريم لكنها أدركت نظرها المتلهفة.

"هل أنت جائع، أيها الفتى الصغير؟"

أومأت مريم برأسها بالإيجاب.

"سجق أم جبن؟"

قالت مريم هامسَة: "جبن". كانت مريم تخشى أن يفضحها صوتها، إن تحدثت على نحوٍ سليم.

قطعت لها البائعة قطعة كبيرة بشكلٍ خاص من جبن الجودة. غمغمت مريم شاكرَة وركضت خلف لينوس نحو الخزينة.

"يمكنك الحصول عليها بأن تدفع خمسين بالمئة من سعرها. الزجاجة ليست مجانية!"

أمسكت مُحصّلة النقود اللبن بكلتا يديها بإحكام كبير، كما لو أنها تخشى انهيار السوبر ماركت لو سلّمت اللبن.

أصرّ لينوس على رأيه قائلًا: "لكن لو انتهت صلاحية اللبن، لن يعد مسموحًا لكِ أن تبيعيه!"

زمجر رجل يقف خلف لينوس ومعه عربة تسوق ممتلئة غاضبًا: "هل سيستأنف العمل هنا بأي شكلٍ مرّة أخرى؟"

وقف لينوس في الممر الموجود بين كلتا الخزينتين مباعدًا بين ساقيه. نهضت مُحصّلة النقود دون أن تكترث بالرجل. انحنى الرجل فوق عربة التسوق الممتلئة والخاصة به وأمسك بها من معطفها الأبيض. "إلى أين أنتِ ذاهبة إذًا؟"

"سأستدعي رئيسنا في العمل!"

تأوّه الرجل وتساءل: "كم من المفترض أن يبلغ ثمن اللبن؟"

"خمسون بالمئة فحسب!" شدّت مُحصّلة النقود معطفها إلا أن الرجل أمسك بها. والتفت نحو لينوس.

"كم ثمنه إذًا؟"

صمت لينوس محرجًا، على الرغم من أنه ربما كان يستطيع في الواقع أن يحسب نسبة خمسين بالمئة من الثمن، لكن ليس على نحوٍ مفاجئ.

تقدّمت مريم لمساعدته قائلةً: "خمسة وخمسين سنتًا."

أطلق الرجل سراح مُحصّلة النقود ودمدم قائلًا: "أضيفي ثمن اللبن إلى الحساب الذي سأدفعه."

***

"يمكنني أيضًا أن أقطع المسافة المتبقية بمفردي." كان لينوس ومريم واقفين أمام السوبر ماركت. جذبت مريم أكمام السترة أعلى يديها، حتى لا تتسبَّب زجاجة اللبن في زيادة برودة يديها، فقد كانتا على كل حال باردتين. انتبه لينوس من كلمة "أيضًا" إلى أن مريم ربما تجده أمرًا أكثر لطفًا أن يرافقها لينوس. وهو مضطر على كل حال إلى أن يمر ويأخذ دراجته من أمام المدرسة.

مرَّت سيارات ينبعث منها ضوء باهر يخطف الأبصار مُحدِثة صوتًا كقصف الرعد. دار في رأس لينوس، هل يجدر به سؤال مريم، لماذا كتبت الموضوع السخيف عن البرق. لكن في الواقع لم يكن هذا الأمر أيضًا يشكل فارقًا. فلو كان كتب الموضوع بنفسه، لكان قد حصل أيضًا على تقدير "ضعيف". فثمَّة شيء مختلف تمامًا، كان لينوس يرغب طوال الوقت أن يسأل مريم عنه. "لماذا تعطين هانيبال دائمًا السجق بأكمله وحتى لحم فخذ الخنزير المطهي؟ ألا يطيب لكِ مذاقهما؟"

هزَّت مريم كتفيها دون أن تجيب.

"فلتتكلمي!"

"نحن مسلمون."

قطب لينوس جبينه. "ألا يأكل المسلمون لحم الخنزير؟"

هزَّت مريم رأسها بالنفي.

"هل أنتم نباتيون؟"

مرّت بجوارهم سيارة رياضية متعددة الأغراض زرقاء اللون محدثَة صوت كقصف الرعد.

"إن خالي أصبح منذ عام نباتيًا وفي كل مرة يأتي لتناول الطعم لدينا لا نقدم له سوى الخضار وطعام من هذا القبيل."

تنسّمت مريم الهواء البارد. لا تحبّذ مريم كثيرًا أن تقول أنها مسلمة. فمؤخرًا سألها أحدهم، عما إذا كان شقيقها قد انضم إلى صفوف المجاهدين.

أوضحت للينوس كلامها قائلة: "نحن نتناول كل الأطعمة" وأردفت: "فيما عدا لحم الخنزير."

"لماذا إذًا؟"

هزّت مريم كتفيها. "هكذا حالنا!"

خفضت السيارة الرياضية متعددة الأغراض زرقاء اللون سرعتها على مسافة خمسين مترًا أمامهم محدثَة صوتًا كالصرير وعادت إلى الوراء وانعطفت في طريقٍ زراعي، يؤدي إلى ملاعب التنس. اهتزت أضواء كشافات السيارة مرورًا بأدغال نبات توت العليق ومرّت بالسياج الأخضر العالي وظلت ثابتة على غرفة تغيير الملابس. لوهلة أصبح من الممكن رؤية سيارة السيد كارله، التي كانت من طراز كومبي، قبل أن ينطفئ الضوء. نظرت مريم إلى لينوس في ارتباك. هل اكتشف السيد كارله مخبأها؟ هل استدعى الشرطة؟

"هذه ليست الشرطة! إنهم لا يتنقلون بمثل هذه السيارة في المنطقة هنا." قال لينوس هذا في المقام الأول لكي يهدئ من روع مريم. "ابقي هنا واختبئ!" همس لها لينوس على الرغم من أن صوته لا يمكن أن يصل بالتأكيد إلى غرفة تغيير الملابس. "سأحاول أن استكشف من هذا."

توقّف لينوس ملاصقًا لأدغال نبات توت العليق وارتمى على بطنه وزحف متسللًا إلى الجانب الآخر وصولًا إلى السياج الأخضر. ومن هناك سمع صوت السيد كارله، إلا أنه لم يستطع أن يفهم، ما الذي كان السيد كارله يقوله. كان عليه أن يقترب منه. أخذ لينوس يدفع بجسده إلى الأمام مترًا تلو الآخر.

كان باب غرفة تغيير الملابس الخاصة بالرجال مفتوحًا. خرج السيد كارله من الغرفة ومعه عربة يدوية تستخدم لنقل الأكياس، وعليها كوم من عُلب كرتونية، لا يقل عددها عن عشر عُلب. نقل السيد كارله العُلب من الممر الخشبي إلى أسفل. واستلمها رجل ذو شعر مصفف بالفرشاة ويرتدي بدلة داكنة اللون ونظارة ذات إطار أحمر اللون.

اختفى السيد كارله من جديد في غرفة تغيير الملابس.

كان الشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة منشغلًا بحشر عُلب الكرتون في السيارة الرياضية متعددة الأغراض.

هرع لينوس إلى الجانب الآخر باتجاه أحد حوائط التدريب، والذي كان موجودًا في الجانب الصغير لملاعب التنس. الآن لم يعد يفصله عن غرفة تغيير الملابس أكثر من عشرين مترًا.

ظهر السيد كارله مجددًا حاملًا كوم من عُلب الكرتون. وعندما وضع عربة النقل اليدوية في وضعٍ رأسي أمام السيارة الرياضية متعددة الأغراض، انزلقت عُلب الكرتون الموضوعة بالأعلى إلى أسفل؛ فتبعثرت أحذية رياضية ملونة على الممر الخشبي. بدأ السيد كارله في جمعها من جديد لاعنًا نفسه.

هناك ضجيج خلف لينوس. استقرت يد على كتفه.

همست مريم قائلَة: "لم أعد أطيق البقاء في الشارع."

تنفّس لينوس بعمق وغمغم قائلًا: "لقد كدت الآن أن أموت بفعل سكتة قلبية."

جمع السيد كارله والشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة كافة الأحذية من جديد.

أغلق السيد كارله غرفة تغيير الملابس بالمفتاح. دارت السيارة الرياضية متعددة الأغراض واهتزت في الطريق الزراعي إلى أعلى نحو الشارع. انزوت مريم ولينوس خلف حائط التدريب. نظر السيد كارله حوله متفحصًا واكتشف وجود هانيبال، الذي قفز على الممر الخشبي. قذف السيد كارله حجرًا خلفه. فأصدر هانيبال صوت مواء مغتاظًا.

***

انتظرا حتى اختفت سيارة السيد كارله، التي كانت من طراز كومبي، عن الأنظار.

أحضر لينوس المفتاح من غرفة التخزين. مرق هانيبال أعلى الممر الخشبي وتقدّم نحو غرفة تغيير الملابس رافعًا ذيله، كما لو أنه كان بانتظارهما طوال الوقت.

صبّت له مريم بعضًا من اللبن في الحذاء الرياضي القديم وارتشفت بضع رشفات من اللبن وناولت الزجاجة إلى لينوس.

هوى لينوس بجسده على الدكة.

قال لينوس: "كنت أعرف هذا!" وأضاف: "كنت أعرف أن المدعو كارله ليس رجلًا ذا سلوكٍ قويم!" أعاد لمريم الزجاجة. "إنه يستخدم الأحذية في أعمال تجارية ملتوية. أقسم لكِ بهذا!"

أحضرت مريم شطيرتين من الدولاب المعدني. فاللبن لم ينجح كثيرًا في سد الجوع، الذي أصبحت تشعر به عندئذ من جديد. قدّمت للينوس شطيرة.

هزّ لينوس رأسه بالنفي؛ فلم يكن يريد أن ينقص من طعام مريم شيئًا على الإطلاق.

أخرجت مريم الشطيرة من العُلبة. كان بها لحم فخذ خرير مطهي. أخذ هانيبال يتمسّح بساقيها باهتمام. كان هانيبال قد شرب اللبن بالفعل عن آخره. أخرجت مريم لحم فخذ الخنزير. أخذ لينوس يراقب، كيف

أمسكت مريم لحم فخذ الخنزير أمام أنف القط. هوب - غرس هانيبال أسنانه الحادة فيه. لم يعد لحم فخذ الخنزير موجودًا.

وعدها لينوس قائلًا: "سوف أسأل والدتي، هل بإمكانها أن تطهو دجاجًا، وعندئذ سوف أحضر لكِ بعضًا منه."

***

7

انتهت السيدة فيشر بالفعل من تصحيح الامتحانات. حصل لينوس على أعلى الدرجات. لقد استطاع أن يتعرّف علي هذا من الخط المكتوب بالامتحان. وخلافًا لذلك فقد كان فاقدًا لأعصابه إلى حد كبير جدًا. لكن هذا لم يكن بالشئ الغريب؛ فعند أدائه للامتحانات دائمًا ما يكون لينوس فاقدًا لأعصابه كثيرًا جدًا. سلّمته السيدة فيشر ورقته.

"لو لم تكن قد ارتكبت أخطاء كتابية كثيرة على هذا النحو ولو لم تكن الخاتمة قصيرة أكثر مما ينبغي هكذا، لكنت حصلت على تقدير "جيد" دون نقصان."

حدّق لينوس فيها فاغرًا فمه.

"إنها لفكرة رائعة حقًا أن تحكي الحكاية من منظور البرق."

أعطت السيدة فيشر لفين ورقه امتحانه. لقد حصل على تقدير "جيد" كعادته.

أغلق لينوس فمه مرّة أخرى. لم يكن باستطاعته أن يقول ثمة شئ. كان عليه كذلك ألا يقول شيئًا. لقد حصل على تقدير "جيد إلى حدٍ ما".

لم يسبق له أن حصل على تقدير "جيد إلى حدٍ ما" في امتحان اللغة الألمانية. لن تتمالك والدته نفسها من الفرحة.

التفتت دانا نحوه وابتسمت له ابتسامةً عريضة في سخرية. ردَّ عليها لينوس بابتسامةٍ عريضة. لا ينبغي أن تشعر دانا بالحسد. فقد حصلت على تقدير "مقبول" فقط.

وزَّعت السيدة فيشر كافة الأوراق الامتحانية وطالبت السيدة فيشر لينوس قائلَة: "حسنًا، فلتحكي لنا ما معنى Kukuth."

تذكَّر لينوس بصعوبةٍ بالغة الكلمة، التي نقلها من قصاصة ورق مريم. لقد كان من الغريب تمامًا أن تكتب موضوعًا من منظور البرق، لكن هل منحته اسمًا كذلك؟ برق له اسم! Kukuth . إنه لاسم له وقع كأنه إحدى شخصيات ألعاب الفيديو. لكن ما هي تلك الشخصية؟ أم أنه ربما قد قرأ على نحو خاطئ ما كان مكتوبًا في قصاصة الورق، التي استخدمها كمسوَّدة؟

لو أرادت ليوني أن تلتقط صورة فوتوغرافية لليأس، فإنها ربما تستطيع فعل ذلك الآن. لكنها لم تسترد هاتفها المحمول مرَّة أخرى. لم يكن باستطاعته حتى أن يأمل في أن يهمس له أحد بأي شيء؛ فمريم ليست هنا. راجع لينوس جميع الاحتمالات الممكنة: أيدعي الإصابة بآلام في البطن مرَّة أخرى؟ – إنه أمر غبي للغاية. أيخرج راكضًا ببساطة؟ – إنه أمر محرج للغاية. أيلقي بنفسه من النافذة؟ إنه أمر مؤلم للغاية. والنتيجة، أنه لا توجد ثمّة احتمال ممكن. لا محيص من وقوع الكارثة.

حسنًا، يجب على الإنسان أيضًا أن يستطيع الخسارة لمرة واحدة.

"إذ ًا إن Kukuth..." تلعثم لينوس. "أعني..." أخذ لينوس يحكي بإطناب لكي يكسب وقتًا. "لقد ركض أفراد الأسرة بعيدًا لتنجو من العاصفة الرعدية. كانوا يشعرون بالخوف ..."

توّقف لينوس عن الحديث وقفة ذات معنى وبدأ يتصبّب عرقًا.

نظرت إليه السيدة فيشر في ترقب.

"هل يمكنني أن أفتح النافذة؟" سألها لينوس راجيًا.

أومأت برأسها بالإيجاب.

إلا أن الهواء البارد، الذي دخل من النافذة، لم يسعفه كذلك.

هناك طرق على الباب بصوتٍ عالٍ وبقوة.

أهو السيد كارله مرّة أخرى؟ غير أن الباب لم ينفتح على مصراعيه، بل انتظر الطارق أن تقول له السيدة فيشر "فلتدخل!".

دخل السيد باومان مدير المدرسة إلى الفصل. وسأل بأدب، عما إذا كان مسموحًا له أن يقاطع الحصة للحظة. كان يريد أن يتحدّث مع تلاميذ الفصل عن مريم. أخبر السيد باومان تلاميذ الفصل أنه قد تم ترحيل مريم مع أسرتها للأسف. لم يكن من الممكن أن يستشف أحد من تعبيرات وجهه، عما إذا كان جادًا في قول كلمة "للأسف" أم أنه في الحقيقة لا يكترث لذلك الأمر.

سأل السيد باومان التلاميذ: "ما معني الترحيل إذًا؟"

لم يتفوّه أحد بأي شيء، على الرغم من أن حتى هيلينا وإيلينا كانتا تعرفان معنى هذا. كان على المدير أن يجيب بنفسه على السؤال.

"هل تعرفون، أن أناس كثيرون جدًا قد جاءوا في الآونة الأخيرة إلى ألمانيا، لأن هناك – حيث يعيشون – حرب دائرة؟"

لم يكن هذا بسؤالٍ حقيقي؛ فقد واصل المدير حديثه على الفور. "لكن الكثير من الأجانب يأتون إلى هنا كذلك، لأنهم يعتقدون أن ألمانيا بلد تنابلة السلطان، حيثما تتوفر فرص العمل للجميع. لكن للأسف الأمر ليس هكذا. فعلى أولئك القادمين من كوسوفو وألبانيا، أن يفسحوا مكانًا لأولئك القادمين من سوريا."

اعترضت السيدة فيشر قائلَة: "لكن والدا مريم يعيشان هنا منذ ستة أعوام..."

رفعت إيلينا يدها طالبَة الحديث وتساءلت: "ما معني بلد الزرافات؟"

ضحك تلاميذ الفصل كلهم، كان صوت ضحكة شقيقتها الأعلى. هبّت هيلينا في الفصل قائلَة: "ليس بلد الزرافات، بل بلد تنابلة السلطان."

ظل وجه إيلينا خاليًا من أي تعبيرات وسألت: "وما هي بلد تنابلة السلطان؟". كانت مثل شخص سقط من النافذة وركض إلى أعلى من جديد وقفز مرّة أخرى، لكي يعتقد الجميع أنه كان ينتوي السقوط في المرة الأولى.

أشار السيد باومان بكلتا يديه إشارة مفادها أنه ينبغي على تلاميذ الفصل خفض أصواتهم، لأن البعض كانوا مستمرين في الضحك.

"بلد تنابلة السلطان هي بلد تسير أمور جميع الناس فيه على نحوٍ جيد. لا جوع ولا حرب ولا أمراض ولا شخص فقير. لكن مثل هذه البلد لا توجد للأسف سوى في الحكايات الخرافية."

رنّ جرس المدرسة. وضع لينوس امتحانه في حقيبة ظهره. كان يشعر ببعض الخوف، من أن تنتزع السيدة فيشر الامتحان مرّة أخرى وأن تدوّن في أسفله أنه حصل على تقدير "ضعيف".

سأل المدير مستفسرًا: "هل يود أحد منكم طرح أي سؤال؟"

لم يكن لدى أي منهم ثمّة سؤال، وحتى إن ودّ أحدهم طرح سؤال، كان سيطرحه على السيدة فيشر وليس على المدير.

***

"ما المقصود ب Kukuth ؟"

كان لينوس ودانا ومريم يجلسون على دكك غرفة تغيير الملابس.

لقد تناولوا الطعام عن آخره. لم يتبقَ سوى القليل من قشر البيض في عُلبة حفظ الشطائر الخاصة بلينوس.

ابتسمت مريم للينوس ابتسامَة عريضة وهزّت كتفيها. ما هذه الابتسامة العريضة البلهاء إذًا؟ حسنًا، عليه أن يدين لها بالفضل في أنه

حصل على تقدير "جيد إلى حدٍ ما". لكن أكان لزامًا عليها أن تكتب موضوعًا معقدًا على هذا النحو عن برق اسمه Kukuth ؟

"عليك أن تختلق بنفسك شيئًا ولو لمرة واحدة."

مدّت دانا يدها في حقيبة ظهرها وسحبت منها قالب شوكولاتة بالمكسرات والحليب كامل الدسم وكسرته إلى ثلاثة أجزاء ومدّت يدها إلى لينوس. غير أن لينوس لم يكن يرغب حينئذ في تناول الشوكولاتة.

كانت مريم تسعل لدرجة أن مجرد من ينصت إلى صوت سعالها، يصاب بألم في صدره.

وعدتها دانا قائلّة: "يجب عليكِ حتمًا أن تتلقي علاجًا باستنشاق بخار ساخن. سأحضر لكِ غدًا غلاية كهربائية." وناولت الشوكولاتة لمريم. كسرت مريم قطعَة صغيرة منها.

أراد لينوس أن يجرب فتح النافذة، التي تُفتح من أعلى في غرفة تغيير الملابس الخاصة بالرجال. ألقى لينوس نظرّة متحققًا أنه لا يتأتى فتح قفل الأمان الموجود بالباب سوى بواسطة عدة شغل احترافية، إلا أنه كان معروضًا على موقع يوتيوب إرشادات كيفية التمكّن من فتح النافذة، التي تُفتح إلى أعلى، بواسطة دوبارة وبكرة مناديل المرحاض. عارضت دانا ذلك. "إذا كانوا قد جاءوا وأخذوا الأحذية بالأمس، فلن يعد هناك ثمّة شئ على الإطلاق بالداخل!"

"لعلّهم قد نسوا أي شئ وبإمكاننا أن نلتقط صورة له، ومن ثمّ يصبح لدينا دليلًا صحيحًا."

انبعث من الخارج صوت ضجيج إحدى السيارات. توقّفت السيارة وانطفئ المحرّك. ركض لينوس إلى الباب ونظر عبر ثقب الباب. إنه السيد كارله مرّة أخرى. كان متوجهًا إلى أحد ملاعب التنس، وأخذ يعبث بيده حول الشبكات.

"فلنرتب الملابس في الدواليب!" تناولت دانا حقائب الظهر وكوّمت مريم الملاءة، بينما ظل لينوس يقوم بالحراسة عند ثقب الباب. التفت إليهما قائلًا: "ياللعنة! إنه قادم."

"أغلق بالمفتاح!" قالتها له دانا بصوتٍ كالفحيح. كان صوتها يعتريه الذعر.

أدار لينوس المفتاح. كان من السهل سماع صوت الخطوات الثقيلة، التي خطى بها حارس مبني المدرسة على الممر الخشبي، ثم صوت ضجيج ناتج عن جر شئ أمام الباب مباشرةً.

ابتعدت الخطوات من جديد. سيبحث عن المفتاح في غرفة التخزين. لكن المفتاح لم يكن موجودًا في غرفة التخزين؛ فقد جذبه لينوس من القفل. كان المفتاح في يده عندئذ، كما لو أنه يزن مئة كيلو. تنصّتوا لما يدور بالخارج حابسي أنفاسهم.

ساد الصمت؛ لم يكن ينبعث من الشارع الكبير سوى صوت هدير ناتج عن مرور إحدى السيارات بين الحين والآخر. نظر لينوس من جديد عبر ثقب الباب. "لقد خلع الشبكة الثانية."

أمعن لينوس التفكير. عليه الآن أن يبقى هادئًا. كأنه يلعب "لعبة سرقة السيارات الكبرى". كأنه يقفز من الطائرة المروحية بالحبل المطاطي المستخدم في القفز.

"هيا، اخرجي، عبر النافذة!" دفع لينوس مريم، التي كانت ترتجف مرّة أخرى مثل ورقة شجر، باتجاه المرحاض. صعدت مريم على قاعدة المرحاض ثم على كتفي لينوس، لكي تسير الأمور على نحوٍ أسرع ودلفت بصعوبة عبر القضبان المعدنية وفي أقل من دقيقة أصبحت بالخارج.

ظلت دانا واقفة على قاعدة المرحاض.

"وأنت؟"

"سأختبئ في أحد الدواليب! هيا أسرعا!"

تحرّكت دانا عبر عوارض النافذة المتقاطعة على شكل صليب ناقلة يدًا تلو الأخرى والتقطت المفتاح، الذي ألقى به لينوس إلى أسفل. بلغت دانا بصحبة مريم سياج الشجيرات الملتفة، الذي كان يحيط بساحة التنس. ألقت مريم بنفسها في الحشائش المُبلّلة. أصدر صوت نفسها صلصلة كأنه سلسلة حديدية عتيقة. كم ودّت دانا أن تستلقي بجوارها، لكن كان عليها أن تُعلّق المفتاح في غرفة التخزين. إن لم يصبح المفتاح مُعلّقًا هناك، فإن السيد كارله سوف يرتاب في الأمر بكل تأكيد.

جرّ حارس مبنى المدرسة ساقيه متوجهًا إلى غرفة تغيير الملابس وحاملًا الشبكة الثانية. ومن هناك لم يكن باستطاعته أن يرى غرفة التخزين.

وجهت لنفسها أمرًا بقولها: "هيا، يا دانا، اركضي!" كان الوضع مثل القفز في حمام سباحة في الصيف من مسافة ثلاثة أمتار. لا مجال لإمعان التفكير، بل للقفز ببساطة!

انطلقت تعدو مصوِّبة عينيها على غرفة التخزين. لا تنظري لغرفة تغيير الملابس! لو جاء السيد كارله مبكرًا، فإنه لن يعود بمقدورها على كل حال أن تفعل شيئًا.

تحسَّست يدها موضع المشجب. لم تشعر سوى بالخشب الجاف المكون منه جدار الألواح الخشبية. هل ينبغي عليها أن تلقي المفتاح ببساطة على الأرض؟ لكن ماذا لو لم يراه السيد كارله عندئذ؟ هنا! هنا المشجب! المفتاح مُعلَّق.

التفتت دانا. لو كان السيد كارله قد جاء إلى ناصية غرفة تغيير الملابس، كانت ستغيب عن الوعي.

لقد سمعت صوت خطواته الثقيلة على الممر الخشبي.

ركضت. لقد كانت بالأحرى تطير أكثر من كونها تركض.

وصلت إلى سياج الشجيرات الملتفة وألقت بنفسها بجوار مريم. كانت مريم قد دفنت وجهها في الحشائش ووضعت يديها فوق رأسها. لم تتملَّكها الشجاعة أن تنظر إلى أعلى إلا عندما استلقت دانا بجوارها. راقبت مريم

ودانا عبر فروع الأشجار السفلية في سياج الشجيرات الملتفة، كيف ذهب حارس مبني المدرسة إلى الجانب الآخر باتجاه غرفة التخزين ومدَّ يده إلى المفتاح.

مدَّت دانا يدها إلى يد مريم وضغطت بها بإحكام شديد في يدها. همست دانا قائلةً: "لا يمكن أن يصيبك مكروه هنا!" ردَّت عليها مريم بدورها بالضغط على يدها بإحكامٍ شديد لدرجة أن هذا كان لابد وأن يتسبَّب في الشعور بالألم، لكنه لم يتسبَّب في الشعور بالألم. لقد كان هذا جيدًا أن تشعر بشعور آخر خلافًا للخوف.

"لكن ماذا لو عثر السيد كارله على لينوس؟" قالتها مريم كاتمةً إياها في سعالٍ مكتوم.

***

سمع لينوس صوت جلبة المفتاح. ثم صوت خطوات حارس مبني المدرسة، التي خطا بها نحو المرحاض. صوت جرِّ الشبكة ثم صوته، الذي كان مندهشًا أكثر من كونه غضبانًا.

"ياللعنة ... كيف جرى هذا إذًا؟"

صوت رجرجة قطع زجاج المرآة المكسورة، التي خطا عليها السيد كارله.

تبًّا، كان ينبغي عليهم إزالتها.

اقتربت الخطوات من غرفة تغيير الملابس.

ضغط لينوس بكتفيه على الناحية الخلفية للدولاب المعدني. لم يكن ينبغي عليه عندئذ أن يتحرّك؛ فعندما يتحرّك، يحدث جلبة وضجيج.

رأي عبر فتحات التهوية بالدولاب حارس مبني المدرسة يقف بالباب. تجوّل السيد كارله ببصره عبر الغرفة.

حبس لينوس أنفاسه. لم يكن بالأمر الجيد أن يحبس أنفاسه، لأنه عندما يبدأ التنفس من جديد سوف يصدر عند إخراج الزفير صوت جلبة. أخرج الهواء من رئتيه في حذر. تنفّس الشهيق. زفير. شهيق. بلا جلبة.

دخل السيد كارله وألقى نظرة خلف الباب. ثم خطا بساقيه الطويلتين خطوّة واسعة واحدة. وبدفعةٍ واحدة جذب باب أحد الدواليب المعدنية وفتحه.

كان الدولاب خاويًا.

اصطدمت الأبواب المعدنية بإطار الدولاب. أخذ يدنو أكثر فأكثر من الدولاب، الذي كان لينوس مختبًا به. دار في رأس لينوس، عما إذا كان ينبغي عليه القفز من الدولاب – وأن يتوجّه بعد ذلك نحو الباب مرورًا بالسيد كارله.

رنّ جرس الهاتف المحمول للسيد كارله. أخرج الهاتف من سترته بإحدى يديه.

"آلو."

وبيده الأخرى جذب باب الدولاب الموجود بجوار لينوس وفتحه.

لهث قائلًا: "الثلاثاء؟ أجل، الثلاثاء مناسب." كان الدولاب خاويًا كذلك.

صوت الهاتف المحمول من جديد.

بدا السيد كارله، كما لو أنه سيعض على الفور هاتفه المحمول.

"هل جُننتم؟" أغلق بعنف باب الدولاب المجاور للينوس. "لكن ليس في وضح النهار، وقتما يكون بمقدور أي شخص بالشارع أن يرانا! باستطاعتي أن أرسل على الفور دعوة لرجال الشرطة!"

استقرت يد السيد كارله على باب دولاب لينوس.

"مطلع المساء. حسنًا، ليس لدي مانع. أهم شئ أن يكون الظلام قد حلّ!" دفع الهاتف المحمول بعيدًا وزمجر قائلًا: "حمقى!"

***

راقبت دانا ومريم، كيف سار السيد كارله بخطواتٍ متثاقلة عائدًا إلى سيارته. انغلق الباب ودار محرّك السيارة وابتعدت السيارة. تركت دانا يد مريم.

"أرأيتي، لقد مرّت كل الأمور على ما يرام!"

جذبت دانا مريم إلى أعلى وركضتا سويًا إلى الجانب الآخر باتجاه غرف تغيير الملابس.

"لينوس؟"

"امم"، صدر من الداخل صوت على نحوٍ غير واضح.

فتحت دانا الباب.

كان لينوس جالسًا على الدكة الخشبية في وسط الغرفة وكان قد دسَّ لتوّه القالب الأخير من الشوكولاتة في فمه.

"يا أنت!" زجرته دانا قائلًا: "لكنها لم تكن لك وحدك!"

"معذرة" قالها مبتسمًا ابتسامة عريضة و أضاف: "لكنني كنت احتاج الآن لقليل من الحلوى!"

ذابت الشوكولاتة باللبن إلى أسفل في فمه وتبقّت المكسرات. قرمش المكسرات بأسنانه.

"لقد اتصل المدعو كارله هاتفيًا بالأشخاص، الذين يُحضِرون الأحذية. سيأتون يوم الثلاثاء مرّة أخرى. لكن عندئذ سنلتقط لهم صورًا فوتوغرافية!"

***

ارتجّت دراجة لينوس أثناء سيره بها في الطريق الزراعي ثم بامتداد الشارع وصولًا إلى محطة الأتوبيس.

"لم يعد من الممكن لمريم أن تعيش هناك طويلًا!" قفزت دانا من المكان المخصص لوضع الحقائب بالدراجة.

"هل لديكِ فكرة، إلى أين يمكنها أن تذهب؟"

جاء الأتوبيس.

"هل يجدر بي أن أتحدث مع والدي بهذا الشأن؟"

لم يكن لينوس متيقنًا من ذلك. هل يمكن الثقة بمن هم الأكبر سنًا؟ صعدت دانا إلى الأتوبيس. همَّ الأتوبيس بالانطلاق، لكنها دفعت جسدها بصعوبة وسط الركاب وصولًا إلى الباب الخلفي وضغطت على زر "توقفْ".

صاحت قائلةً لسائق الأتوبيس: "معذرة، لقد نسيت شيئًا."

انفتح الباب محدثًا صوت أزيز.

"هيا! فلنعود مرّة أخرى من حيث أتينا!"

***

سمعت مريم صوت خطواتٍ على الممر الخشبي، لكن قبل أن تستطيع مجرد التفكير في الاختباء، تعرَّفت على صوت دانا. ركضت مريم نحو الباب.

أشار لينوس إلى دانا. "لقد نسيت شيئًا. ما أنا إلا سائق التاكسي التابع لها."

نبشت دانا في حقيبة ظهرها والتقطت منها هاتفها المحمول وأخرجته وأمسكت بالجزء ذي الأزرار نصف الشفَّافة والملصوق بشريطٍ لاصق أمام أنف مريم.

"لو وقع أي شئ، اتصلي بي. اتفقنا؟"

أوضحت لمريم الزرّ، الذي يجب عليها الضغط عليه للاتصال. تناولت مريم الهاتف. لمع وميض في أقصى مؤخرة عينيها، كما لو أن أحدًا قد أشعل شمعة.

***

أخذت مريم تصغي إلى صوت صلصلة دراجة لينوس بعد رحيله. ثم جلست على الملاءة المطوية زرقاء اللون. صفر، واحد، سبعة، ثلاثة ... ضغطت في حذرٍ تام على الأرقام. دائمًا ما كان يراودها قليل من الخوف أن يسقط هاتف دانا المحمول وتتبعثر أجزاءه، عندما تمسك مريم به. ثمانية، تسعة، ثلاثة...أربعة-خمسة-خمسة-ستة ... تردَّدت لحظة قبل أن تضغط على الزر الأخضر. أمسكت هذه المرة بالهاتف بعيدًا بعض الشئ عن أذنها، كما لو أنه بمقدور الهواء الموجود بين أذنها وبين الهاتف أن يوفر لها الحماية.

"هذا الرقم غير متاح الآن." لم يجد الهواء نفعًا. كان الأمر مؤلمًا مثل المرة الأولى بالضبط تمامًا. لعَّله حتى كان أكثر ألمًا. سعلت مريم. كان سعالًا جافًا، يكشط الصدر من الداخل، مثلما يكشط الأسفلت بشرة الشخص عندما يسقط من الدراجة على وجهه. وكانت قدماها باردتين كالثلج.

في حذر ضغطت على مقبض الباب لأسفل.

فتحت الباب، لكنها ليست سوى فتحة صغيرة.

انزوت. شعرت، كما لو أن كل ضربة على

باب المنزل ستصيبها في معدتها.

لديهم الآن عشرون دقيقة، فليحزموا أغراضهم!

قفز هانيبال على بطنها. انثنت أصابعها خلال فرائه. أصدر هانيبال في رضا صوت قرقرة.

***

8

أراد لينوس أن يمر – في طريقه إلى المدرسة – بمريم ليراها ويحضر لها بعض الطعام. كما أنه لم يعرف بعد ما المقصود ب **Kukuth**.

طرق على باب غرفة تغيير الملابس. "يا مريم، هذا أنا."

سعال مكتوم. دار المفتاح الثقيل في القفل. انفتح باب غرفة تغيير الملابس قليلًا. كانت مريم ترتدي بلوفر لينوس ذا القلنسوة وفوقه سترة التزلج زرقاء اللون وفوقهما غطاء دانا. بدت مثل حيوانٍ غريب، يجر معه كهفه عند تجوله.

استفسرت منه: "ألا يجب عليك أن تذهب إلى المدرسة؟"

"لا زال لديَّ بعض الوقت."

كان على الأرض كتاب أطلس الخاص بمريم ومسطرة.

"هل تؤدين الواجبات المدرسية؟"

هزّت رأسها بالنفي. "لقد راجعت قياس المسافة، التي تفصلني عن تروبويه." أشارت إلى خريطة أوروبا المفتوحة. "نحن هنا." رسمت نقطة أسفل برلين قليلًا. "وهنا تقع تروبويه." تقع تروبويه في أقصى شمال ألبانيا

على الحدود مع كوسوفو مباشرةً. وضعت مريم المسطرة على كلتا النقطتين. تحقّقت من المسافة قائلةً: "6,7 سنتيمتر"

ابتسم لينوس ابتسامةً متهكمة وقال: "يمكننا الذهاب إليها بالدراجة."

نظرت إليه في جدية كبيرة لدرجة أن ابتسامته المتهكمة ظلت عالقة في زاويتي فمه.

"إن سنتيمتر هنا في الخريطة يعادل مئتي كيلو متر في الواقع. أي أن 6,7 سنتيمتر تعادل 1340 كيلو متراً!"

"هل حدث شيء اليوم ليلًا؟" تحرّك لينوس في اتجاه غرفة تغيير الملابس الأخرى.

هزّت مريم رأسها نفيًا لذلك ونظرت بطرف عينها إلى حقيبة ظهره. "لعلّكِ معك بعض الطعام؟"

"يا له من أمرٍ رائع!" لقد ترك لينوس الشطائر على طاولة المطبخ. ولم يكن بإمكانه أن يذهب إلى المنزل ليحضرها. فمن المؤكد أن والدته لم تذهب بعد إلى العمل.

سعلت مريم بخيبة أمل، إلا أن لينوس طرأت عليه فجأة فكرة أفضل بكثير. "سأدعوكِ لتناول الإفطار!" وضع حقيبة الظهر على كتفيه. ظلت مريم جالسة. جذبها لينوس إلى أعلى.

اعترضت مريم قائلةً: "أنت لا تمتلك مالًا على الإطلاق." لم يكن لينوس قد ردَّ لها بعد العشرة يورو.

"لا احتاج مالًا. تعالي."

"وماذا عن المدرسة؟"

"لن أذهب إليها ثانيَة إلا عندما تشرحي لي ما معنى Kukuth."

"وإن لم أقل لك ذلك؟"

"عندئذ لن أذهب مرّة أخرى أبدًا إلى المدرسة."

***

دخلا بعد ذلك ببعض الوقت إلى غرفة مليئة بطاولات بيضاء من مادة الفورمايكا. كانت أغلبها خاوية. لم تكن هناك سوى ثلاث سيدات تجلسن إلى إحدى الطاولات أمام أقداح القهوة الخاص بهن. كانت في مسافة ليست ببعيدة عن نضد زجاجي يضم كل ما يمكن تخيل وجوده في وجبة الإفطار. اعتلت سيدة ذات شعر مُخضّب بحناء حمراء اللون مكانها خلف الخزينة ولوّحت بيدها إلى لينوس. التقط صينية طعام على نحوٍ خاطف ودفع كذلك واحدة في يد مريم. استقرت شطيرة صغيرة بها لحم فخذ خنزير مطهي في صينية لينوس، ثم شطيرة صغيرة بالنوتيلا وعُلبة من حبات الذرة بالعسل.

سألها لينوس في إلحاح : "ماذا تريدين؟"

أشارت في تريث وحذر إلى شطيرة صغيرة بالجبن. وضع لينوس الشطيرة في صينيتها وأضاف إليها شطيرة صغيرة بالنوتيلا. عاود لينوس دفع صينية الطعام نحو تشكيلة الكعك. "تفاح أم شوكولاتة؟"

لم تستطع أن تقرر. ومن غير تردد تناول لينوس كليهما.

وجه لينوس التحية للسيدة الجالسة إلى الخزينة بأدب قائلًا: "صباح الخير يا سيدة هوهنشتاين." جالت السيدة هوهنشتاين ببصرها بين كلتا الصينتين، ثم تفحّصت الخصلة خضراء اللون في شعر مريم. كانت معدة مريم تقرقر جوعًا بصوتٍ عالٍ جدًا، كما لو أنها ذئب أراد الدفاع عنها من جميع النظرات المُصوّبة إلى تسريحة شعرها.

قدّم لينوس مريم للسيدة هوهنشتاين قائلًا:

"ه...ذا صديقي ريكي."

"صباح الخير يا ريكي!" بدأت السيدة هوهنشتاين في إدخال بيانات الأغراض الموجودة على صينية الطعام في جهاز الخزينة مستخدِمة لوحة المفاتيح. "ألن تذهبا إلى المدرسة اليوم؟"

"لا" قالها لينوس في تراخٍ وأضاف: "المدرسة مغلقة اليوم. إنهم يطهّرونها. بسبب حشرات القمل." لوت السيدة هوهنشتاين وجهها في اشمئزاز. ألقى جهاز الخزينة البون. كتمت مريم أنفاسها. حتى أنها معدتها توّقفت للحظة عن القرقرة.

"قيدي من فضلك هذا على الحساب!" أهدى لينوس للسيدة هوهنشتاين ابتسامة، كان يعرف أن السيدات من كبار السن لا تستطعن مقاومتها.

ردّت له السيدة هوهنشتاين الابتسامة سريعًا ولصقت الإيصال في كتابٍ ضخم. "حسنًا، بالهناء والشفاء!" جالت ببصرها في كعك التفاح والشوكولاتة. "إن الشباب في مثل أعماركما بإمكانهم شراء أشياء من هذا القبيل." تنهّدت وقضمت بفتور ثمرة جزر مقروعة القشرة.

حملت مريم ولينوس صينيتا طعامهما محافظين على توازنهما ومتوجهين إلى الطاولات الشاغرة.

ابتسم لينوس لمريم ابتسامة عريضة.

همست مريم متسائلة: "لماذا لم تضطر إذًا لدفع أي مال؟" لم تتخلّص من الشعور بالخوف من أن يظهر شخص على الفور ويريد تحصيل المال مقابل الطعام. لكنها كانت جائعة أكثر مما يجعلها تسترسل طويلًا في تلك المخاوف.

بعد أن التهمت الشطيرة الصغيرة المدهونة بالجبن عن آخرها تمامًا، شعرت بالأمان بعض الشئ. لم يكن أحد يعبأ بها ولم يكن أحد يريد الحصول على مال.

"أتريد أن تعرف الآن ما معنى **Kukuth** ؟"

أومأ لينوس برأسه بالإيجاب.

"إذًا **Kukuth** " خفضت صوتها وأصبحت عيناها فتحتين ضيقتين. "إنه أحقر ما يحيا على وجه الأرض عمومًا. إنه مرض شنيع. شئ خبيث، يسري في العالم مثل مصاص دماء. غير أنه لا يشرب الدماء، بل يمتص من

الناس صحتهم حتى يصيروا مرضى مثله بالضبط. إلا أن **Kukuth** لا يمكنه أن يكتفي أبدًا بهذا وكلما وجد شخصًا، تسير أموره على نحوٍ جيد، فإنه عندئذ يمتص هذا الحال الجيد منه وعلى هذا يقتات **Kukuth**."

نسى لينوس أن يقضم شطيرة النوتيلا الصغيرة الخاصة به. ليس لكونه قد يؤمن بمثل تلك الأمور، لكن لأن صوت مريم كان له وقع يبعث على الخوف، كما لو أن **Kukuth** قد يظهر في أي لحظة. بدت مريم بفتحتي عينيها الضيقتين، كما لو أنها هي نفسها واحدًا من مخلوقات **Kukuth**.

"وما علاقة **Kukuth** بالبرق؟" سألها على نحوٍ محايد قدر الإمكان. نظرت إليه، كما لو أنها ستذيع له سر، لا يجوز سوى لأهل الثقة معرفته. "يمكن لـ**Kukuth** أن يختبئ في كل مكان، حتى في البرق!" قضمت مريم شطيرتها الصغيرة الثانية . "يريد **Kukuth** أن يُدمِّر الأسرة لكنه فشل هذه المرة. لم يصب البرق الكلب على نحوٍ صحيح، لكن أفراد الأسرة شعروا بالفزع الشديد لدرجة أنهم ذهبوا إلى المنزل في سرعةٍ بالغة ولهذا السبب فقط ضبطوا اللص الهجّام وفي الختام جلسوا سويًا لتناول وجبة العشاء وأصبحت كل الأمور أفضل بكثير عن ذي قبل. لقد انتصروا على **Kukuth**."

تنهّد لينوس قائلًا: "امم" وأضاف: "لعلّكِ تصبحين ذات يوم كاتبة شهيرة وتحصلين على مالٍ كثيرٍ جدًا في مقابل تأليف مثل تلك الحكايات."

هزّت مريم رأسها نافيةً ذلك وابتلعت القطعة الأخيرة من الشطيرة الصغيرة.

"أريد أن أصبح طبيبة!" وضعت يدها أمام فمها لأنها قالت هذا بصوتٍ عالٍ للغاية. ثم تلفتّت حولها لترى عما إذا كان أحدًا قد سمعها وظلت بلا حراك كأنها تمثال.

تابع لينوس نظرتها.

أتى ثلاثة من رجال الشرطة يرتدون الزي الرسمي إلى الداخل .

أغلقت مريم عينيها.

"! kukuth na ka goditur"

أراد الضابط أن يلقي نظرة على الدولاب.

وضع قدمه على حافة النافذة.

اهتزّ الدولاب. حبست مريم أنفاسها.

لم يكن يفصل بينها وبين الضابط سوى مسافة ذراع.

لو مدّ يده، لاستطاع أن يمسك بها.

أحاطت يد حديدية بقلبها واعتصرته.

أخذت تلتقط أنفاسها بصعوبة.

بدأت ترتجف وركبتاها تتخلخلان أمام بعضهما البعض. وضع لينوس يده على ذراعها.

همس لها قائلًا: "لا داعي لأن تخافي" وأضاف: "إنه خالي جيرالد . إنه لن يمسكِ بسوء وعلاوة على ذلك فإن أحدًا لا يعرفكِ على كل حال. الجميع يعتقدون أنكِ غلام."

لكن ركبتا مريم كانتا ترتعدان. كان ذراعها يرتجف. أرادت أن تخرج من هناك. أمسك بها لينوس. وقال لها بصوتٍ مثل الفحيح: "إن انصرفتِ الآن فسوف يكون هذا ملفتًا للأنظار بالتأكيد."

اكتشف الخال جيرالد وجود لينوس.

أقبل نحوهما.

"أهلًا يا لينوس." تعرّفت مريم على صوته العميق وتعرّفت على الحذاء. إنه الضابط، الذي كان يبحث عنها في غرفتها والذي اختبئت منه على الدولاب.

لم يعد ذراعها يرتجف.

"أهلا خالي جيرالد. لدينا إجازة من المدرسة اليوم لغرض تطهيرها وجئت أنا وريكي..." قالها وأشار إلى مريم وأضاف: "هنا لنتناول طعام الإفطار."

أسفل الطاولة ركل لينوس بقدمه قصبة ساق مريم على نحوٍ رقيق قدر استطاعته.

شحذت مريم كل طاقتها لكي تفتح عينيها ثانيةً.

"أهلا يا ريكي!"

مدّ الضابط لها يده وتأمل وجهها. حتى لينوس نفسه ثارت أعصابه قليلًا.

أصبحت يد الخال جيرالد عالقة في الهواء وأبدى ملاحظَة قائلًا: "لون رائع!"

أخذ لينوس نفسًا عميقًا.

صافحت مريم الضابط دون أن تنظر صوبه وتركت يده على الفور مرّة أخرى.

"الإفطار على ما يرام، أليس كذلك؟" قالها لينوس محاولًا أن يوجه انتباه خاله إليه.

"طبعًا. التهما الطعام، يا شباب!" سحب لينوس كرسيًا وقطع لنفسه بالسكين قطعَة صغيرة من كعك التفاح وأخرج في غضون ذلك هاتفه المحمول.

دسّ لينوس في فمه قطعة من تورتة الشوكولاتة بارتياح.

"أرأيت، لقد طرحت شركة موبيتل في الأسواق هاتفًا محمولًا جديدًا. إنه في نفس جودة هاتف شركة آبل بالضبط."

تصفّح الخال جيرالد معرض الصور الخاص بهاتفه المحمول وأبرز الشاشة للينوس ومريم. ظهرت على الشاشة الصورة، التي استخدمها السيد كارله من أجل إعداد المنشور الإعلاني الخاص بمريم. لكن على عكس الصورة ذات اللونين الأبيض والأسود والمستخدمة في البحث عن مريم، فقد كان

من السهل جدًا التعرّف مرّة ثانية على مريم في صورة الهاتف المحمول. إلا أنها كانت صورة لمريم، التي تبدو مثل فتاة، ترتدي فستانًا صيفيًا أزرق اللون وبه نقط صفراء ولها شعر طويل مسترسل. كان تاريخ تلك الصورة يرجع إلى آخر نزهة لها مع المدرسة.

سأل الخال جيرالد مستفسرًا: "لقد كانت تلك الفتاة تدرس معكما في الفصل، أليس كذلك؟"

حدّقت مريم في الصورة. تأمل لينوس أيضًا الصورة في ذعر إلا أنه سرعان ما تمالك زمام نفسه مرّة أخرى وقال مؤكدًا: "إنها مريم." كان لصوته وقعٌ مبحوح بعض الشيء. لقد تنحنح. "هذا صحيح. لقد كانت تدرس معنا في الفصل."

"لقد هربت منا إبان عملية المداهمة، التي قمنا بها. ونحن نبحث عنها الآن." غمغم بها الخال جيرالد دون أن يرفع بصره. الأمر الذي جعله لا ينتبه إلى نظرة مريم، التي تلتصق بالصورة.

"لعلّكما قد سمعتما ثمّة شيء عن هذه الفتاة. هل لديكما فكرة أين قد تتواجد؟"

"أجل، إذ ًا..." بدا لينوس مستغرقًا في التفكير.

جلست مريم إلى الطاولة في هدوءٍ تام.

قال لينوس في نهاية المطاف: "أعرف، أين تتواجد مريم حتمًا." قطع الخال جيرالد لنفسه بالسكين قطعة أخرى من كعك التفاح وانتظر إجابة لينوس متلهفًا.

قال لينوس: "في تروبويه!"

"تروبويه؟" تقلّص وجه الخال جيرالد متخذًا شكل علامة استفهام.

فسّر لينوس قوله على نحوٍ جاد قدر استطاعته قائلًا: "أجل. يجب عليكم أن تبحثوا عنها هناك." التفت إلى مريم قائلًا: "ألم تقل السيدة فيشر هذا يا ريكي؟"

حاولت مريم أن تومئ برأسها بالإيجاب. لم تكن تدري، هل تحرّك رأسها حقًا.

"إن تروبويه تقع في ألبانيا." قالها الخال جيرالد ونظر للينوس في شعورٍ منه بالإهانة والاستياء. لم يلتفت إلى مريم على الإطلاق. تمتم الخال جيرالد بصرامة قائلًا: "يمكنني بمفردي أن أسخر أيضًا."

***

ما زال رذاذ المطر يتساقط على هيئة خيوط دوبارة رمادية رفيعة. كانت دانا واقفة أسفل مظلة مدخل المدرسة وأخذت تنظر إلى الجانب الآخر نحو ملاعب التنس. كان الباب الزجاجي الكبير يخفض من الضوضاء الناتجة عن فترة الراحة المدرسية، التي تدور خلفه. لماذا لم يأت لينوس اليوم إلى المدرسة؟ هل هناك شئ ما وقع لمريم؟ هل اكتشف السيد

كارله وجودها؟ هل ينبغي عليها أن تركض إلى الناحية الأخرى وتتحقّق من الأمر؟

"هل هناك بالجانب الآخر شئ مميز جدير بالمشاهدة؟"

استدارت دانا في فزع.

كان جيريمي يقف بجوار باب المدخل مباشرةً مستندًا بكتفيه إلى الحائط وداسًا إحدى يديه في جيب بنطاله وجاعلًا خيط إحدى لعب اليويو يلتوي باليد الأخرى إلى أعلى وإلى أسفل.

"أعني هذا لأنكِ تقفين الآن هنا في فترة الراحة المدرسية الثانية وتحملقين إلى هناك."

تتبّعت دانا ببصرها صعود وهبوط لعبة اليويو. وانسحبت مرّة أخرى للاحتماء أسفل تسقيفة المظلة. لم يسبق لها أبدًا أن وقفت بجواره على نحوٍ ملاصق هكذا.

علت وجه جيريمي ابتسامة، يشوبها قليل من السخرية، لكن لم يكن هذا فقط في وجهه، بل كان هناك شئ آخر. شئ، يمسح للحظة المطر المتساقط من السماء.

"حسنًا، أنتِ لستِ مضطرة للحديث، إن لم يكن لديكِ الرغبة في ذلك."

أوقف جيريمي لعبة اليويو.

تلعثمت دانا قائلة: "حسنًا، اه ... أو، هناك..." إن حكت لجيريمي الآن عن مريم، فإنه قد يكون لديها شيئًا ترويه. شيئًا قد ينصت إليه. من المؤكد أنه قد سمع عن الفتاة، التي كانت تأتِ هنا إلى المدرسة والتي تبحث عنها الشرطة الآن. وهي تعرف، أين تتروي هذه الفتاة. قد يمكنها أن تروي، كيف أحضرا الملابس لمريم وأحضرا لها بعض الطعام وكيف أنقذاها من السيد كارله. عليها ألا تحكي أية سخافات مملة.

شرعت في الحديث قائلَة: "إذًا ... هناك يوجد ..." كانت نظرته متلهفة، كما لو أنه لا يتحدث مع فتاة تصغره بثلاثة أعوام.

"في فصلي الدراسي ..."

كانت على وشك أن تسأله عما إذا كان قد سمع عن مريم.

"في فصلي الدراسي يلعب الكثيرون جدًا التنس في ملاعب التنس هناك في الجانب الآخر."

كانت مملة تمامًا وعلاوة على ذلك كاذبة، فلا أحد من تلاميذ فصلها يلعب التنس بتاتًا.

سرعان ما طغت السخرية ثانيًة على ابتسامة جيريمي.

"وأنتِ، ألا تلعبين التنس؟"

هزّت رأسها بالنفي.

"أنا أيضًا."

دوّى صوت جرس انتهاء فترة الراحة المدرسية.

"إنها رياضة عفا عليها الزمن!" جذب الباب الزجاجي الثقيل وانحنى إنحناءة بسيطة للغاية. تبخترت دانا عبر الباب متجهّة نحو بهو المدرسة.

"أين كنتِ إذًا طوال الوقت؟"

حدّقت ليوني في جيريمي من الخلف. "هل تحدثتِ معه؟"

أرادت دانا أن تكتفي بالإيماء برأسها إيجابًا في تثاقل وتعود إلى الفصل، لكنها لم تفلح في منع ابتسامتها.

لم تذهب دانا إلى غرفة تغيير الملابس إلا بعد انتهاء اليوم الدراسي. ما زال يراودها الشعور، بأنها تُحلّق فوق الأرض قليلًا. لم تلاحظ أن ليوني كانت تتسلّل خلفها خِلسة وأنها اختبئت خلف سياج الشجيرات الملتفة.

طرقت دانا على الباب ووضعت أذنها عليه واسترقت السمع.

أخذت ليوني تبحث بحذر عن هاتفها المحمول.

لم يتحرك ساكن في غرفة تغيير الملابس. دارت دانا حول المنزل الصغير. كانت نافذة المرحاض أيضًا مغلقة بالمزلاج. قفز هانيبال من حافة النافذة إلى أسفل وأخذ يتمسّح بساقيها. جلست على الممر الخشبي الملطخ بالبقع وأخرجت شطائرها وأطعمت القط بالجبن.

التقطت ليوني صورة بهاتفها. زمجرت قائلة: "من أجل جدتيّ!"

***

طاف لينوس ومريم بالمدينة. توقّف المطر. طوى الناس مظلات المطر الخاصة بهم وجذبوا قلنسواتهم وهرعوا إلى الطبيب وإلى العمل وللتسوّق، فلا وقت لديهم يضيعونه بشكلٍ آخر.

وقفت مريم ولينوس أمام واجهة عرض المتجر الكبير.

ما زال الحذاء الأخضر هناك.

"هلا أعدت لي العشرة يورو؟"

"هذا الحذاء يبدو بالضبط مثل هذا، الذي سقط من السيد كارله. ألا ترين ذلك؟" قالها لينوس محاولًا التهرُّب منها.

ظلت مريم متمسّكة بموقفها. "ألم تحصل على مصروف جيب؟"

"كلا!" أخذ لينوس يهز قدمه داخل حذائه من الحافة الخارجية إلى الحافة الداخلية.

"متى ستحصل عليه إذًا؟"

"أحصل عليه دائمًا في بداية الشهر، لكنني أنفقت ما معي من مصروف جيب حتى شهر ديسمبر."

نظر لينوس إلى الحذاء الأخضر. "لكن على كل حال ليس باستطاعتكِ أن تشترينه بالعشرة اليورو." اكتشف ذلك بإلقاء نظرة على بطاقة السعر. ما زال ثمن الحذاء يبلغ خمسة وخمسين يورو. انتزعت مريم نفسها من المنظر انتزاعًا.

"ماذا فعلت إذًا بالمال؟"

"حسنًا، اشتريت لعبة سرقة السيارات الكبرى." كان يشعر بالفخر نوعًا ما أنه تمكّن من جمع المال لأجل ذلك.

"لدى شقيقي أيضًا تلك اللعبة. لكن لا يسمح لي بأن ألعبها، لأنه يقول أنه مسموح باللعب بها بدءًا من عمر ثمانية عشر عامًا. مع أنه نفسه لم يبلغ الثامنة عشر عامًا بعد."

"هلا لعبنا بها؟"

***

صعد لينوس ومريم السلالم – مرورًا بشقة السيدة مايروكر – متسللين بخفة. نبش لينوس باحثًا عن مفتاح المنزل وأخرجه وفتح الباب.

"ماما؟"

ما من إجابة. ألقى نظرة على الممر. إن معطف والدته ليلكي اللون ذو الياقة المصنوعة من الصوف الناعم المنفوش غير مُعلّق على مشجب حفظ المعاطف والقبعات. أشار لمريم إشارة بأنه يمكنها الدخول. خطت مريم فوق حقيبة بها زجاجات فارغة وحقيبة بها ورق؛ فقد نسي لينوس منذ أيام أن ينقل كلتا الحقيبتين إلى حاويات القمامة.

نظرت مريم فيما حولها في فضول. إن حجرة لينوس أكبر من حجرتها ومع ذلك فإنه يوجد بها بالكاد مكان للجلوس؛ ففي كل مكان هناك أشياء مبعثرة. نحّى لينوس جانبًا لُعبة من شركة ليجو على هيئة مركبة فضائية

مغطاة بالتراب ولها طبقة طلاء لاصقة بنية اللون وأخرج من أحد الأدراج جهاز البلاي ستيشن، الذي يمتلكه.

"لينوس؟!" من الفزع سقط جهاز البلاي ستيشن من يده. والدته . ياله من أمر رائع أيضًا! ماذا تفعل هذه هنا الآن؟

انتفض واثبًا، لكن قبل أن يتمكّن من الركض خارجًا إلى الممر، كانت والدته تقف بالفعل بالباب. تفحّصت مريم وخصلة شعرها خضراء اللون قاطبًة جبينها.

قدم لينوس مريم لها قائلًا: "إنه.. آه ... إنه ريكي.". نهضت مريم كذلك أيضًا.

"أهلا يا ريكي." رأت مريم اليد، التي تمتّد نحوها، لكنها انتبهت أيضًا إلى نظرة والدة لينوس، والذي ظلت عالقًة بشعرها الأخضر. لم تكن والدة لينوس تبدو على الإطلاق أمًا بما كانت ترتديه من حذاء ذي كعب عالٍ ومعطف ضيق ليلكي اللون وما تضعه من طلاء شفاه، يتناسب لونه بدقة مع لون المعطف. لمست يد والدة لينوس سريعًا جدًا وغمغمت قائلًة: "يوم سعيد."

حاول لينوس صرف انتباه والدته قائلًا: "ألا يجب عليكِ اليوم أن تذهبي للعمل؟" ردّت قائلًة: "كلا. لقد نسيت هاتفي المحمول فقط." استدارت كاترين وخطت فوق الحقائب، التي تحتوي على الزجاجات والورق.

"من فضلك يا لينوس، هلا نقلت الأشياء إلى أسفل أخيرًا؟"

اختفت في حجرتها. مدّ لينوس يده إلى الحقائب وما بها من زجاجات و جرّها نحو الباب محدثًا ضجة.

"هل طرأ شئ جديد؟" حشرت كاترين هاتفها المحمول في حقيبة اليد.

هزّ لينوس كتفيه.

"لا، ماذا يمكن أن يطرأ إذًا؟"

"حسنًا، أقصد، لأنك تفعل على الفور ما أقوله لك."

أشارت بإصبع السبّابة إلى المطبخ. "يجب أن أتحدّث معك للحظة."

"سأنقل الزجاجات إلى أسفل حالًا، حسنًا!"

"لا، يمكنك فعل هذا بعد قليل. أما الآن فتعال وأجلس للحظة!"

تنهّد لينوس بصوتٍ منخفض.

تحركت والدة لينوس بحذائها ذي الكعب العالي إلى المطبخ محدثّة صوت قعقعة. سار لينوس خلفها بخطواتٍ متمهلة في استسلام.

سألته كاترين مستفسرّة: "من يكون هذا؟"

"إنه ريكي. لقد قلتِ لك هذا!" كان لينوس يعلم أن والدته تود معرفة المزيد. كان تكتيكًا خاطئًا أن يعلن رغبته في نقل القمامة على الفور إلى أسفل. إنها تشعر الآن بريبة. عليه أن يختلق شيئًا ما وإلا فلن تدعه وشأنه.

ولذلك فقد أضاف قائلًا: "إنه تلميذ جديد لدينا في المدرسة."

"اممم."

استرق لينوس السمع نحو الممر. هل تسلَّلت مريم لتوها مرورًا بالباب؟

سألت كاترين مستفسرة: "هل هو زميلك في الفصل؟"

"في فصل آخر بنفس الصف الدراسي!"

"وبأي وجه تأتي به معك على الفور إلى المنزل؟"

على الإقل، فإنها لم تعرف شيئًا بعد عن تغيبه عن المدرسة. أم أن هذا سيأتي دوره في وقتٍ لاحق؟

"نريد أن نلعب سويًا لعبة فيفا قليلًا ومن ثمَّ ربما نود أن نؤدي واجب مادة الرياضيات."

نظرت إليه كاترين في تشكك.

"بلى، إنها ... إنه يتمتع بمستوى دراسي جيد."

بدت كاترين غير مقتنعة كثيرًا.

"قل لي من فضلك في المرة القادمة على نحو مسبق، إن كنت تريد أن تُحضِر معك أحدًا إلى المنزل." طبعت على جبينه قُبلة من هذه القبلات المحتالة، التي لا يجوز لأحد أبدًا أن يفوته تنظيف أثرها بالمسح قبل أن يجرؤ على الخروج في العلن. بعد ذلك بثواني انغلق باب المنزل. انتظر لينوس حتى لم يعد من الممكن سماع صوت النقر بحذاء والدته ذي الكعب العالي وعاد إلى حجرته.

"مريم؟"

لقد كان ما سمعه منذ قليل صحيحًا.

مريم لم تعد هنا.

***

9

لم يبدأ المطر في السقوط من جديد، غير أن السحب رمادية اللون كانت كثيفة للغاية، كما لو أنها كانت تريد أن تستريح على الأسطح. انعطفت مريم في شارعٍ جانبي واكتشفت المطعم على الفور. كانت توجد كلمة سكاي كالايا أعلى الباب على هيئة حروف منسّقة على شكل نصف دائرة. كانت مريم قد احتفلت في مطعم سكاي كالايا مع والديها باحتفالهما السنويّ بعيد زواجهما وبحصولها على تقدير "جيد جدًا" في اللغة الألمانية. أمعنت مريم النظر عبر نافذة الغرفة الجانبية. كانت هناك مجموعة من المحتفلين يجلسون. دفع نادلان بجسديهما بقوة في الغرفة الصغيرة حاملين صواني تقديم ضخمة بها مقبلات بامتداد صفوف الكراسي من الخلف. وبها باذنجان وزيتون وحمص وصلصة تزاتزيكي وجبن أبيض من لبن الماعز مع حبوب الفاصوليا الخضراء. سال لعاب مريم.

دخلت مريم المطعم. خلف النُضُد كان يقف الرجل والسيدة، اللذان كانا قد أخرجا الثلاجة من الشقة. كانا منهكمين بشدة في إعداد المشروبات من أجل مجموعة المحتفلين لدرجة أنهما لم ينتبها لوجودها على الإطلاق.

"أهلًا!" قالتها لافتة النظر إليها بشكل أو آخر.

نظر الرجل باتجاهها.

"عم تبحثين هنا؟" قالها لها بالألبانية بصوتٍ كالفحيح.

أرغمت نفسها على البقاء واقفةً.

"لابد أن أجري اتصالًا هاتفيًا بوالدي ووالدتي. هل تعرف كيف يمكنني الوصول إليهما؟"

هزَّ الرجل رأسه بشدةٍ كبيرة نافيًا ذلك لدرجة أن بعض أقداح البيرة الموجودة على صينيته انسكبت. أطلق اللعنات ووضع الصينية ونظر إلى مريم في غضبٍ شديد، كما لو أنها المسئولة عن أن تنسكب البيرة مكونة بِرَكًا صغيرة. نفث في وجهها قائلًا: "اغربي عن وجهي!"

وضعت السيدة يدها على كتفه مُهونة عليه الأمر ومسحت بِرَك البيرة المنسكبة.

نصحت السيدة مريم قائلةً: "اذهبي إلى الشرطة" وأضافت: "ليس بإمكانك البقاء هنا." صحيح أن وقع صوتها لم يكن غاضبًا لكنه لم يكن أيضًا على النحو، الذي يجعل مريم تجرؤ على الاقتراب منها.

فكّت السيدة رباط مريلتها. أرادت أن ترافق مريم عند ذهابها إلى الشرطة. التفت الرجل نحوها قائلًا وأمسك بذراعها وزجر قائلًا: "هذا أمر لا يخصنا في شئ!"

تقهقرت مريم خطوة إلى الخلف. وسمعت من فوقها أخذت أجزاء مقتطعة من عبارات باللغة الألبانية تصدر بصوتٍ كالفحيح. قال الرجل" policia" وقالتها هي أيضًا مرّة أخرى. تراجعت مريم خطوة أخرى إلى الخلف. صدمت الرجل بكتفها عند تحركها. انسكبت أقداح البيرة من جديد.

انهمر على مريم سيل من عبارات السباب. حملق زبائن المجموعة المحتفلة في الاتجاه الآخر بفضول.

نظرت مريم إلى الوجه الحانق الموجود بالأعلى وإلى اليدين الكبيرتين الممتلئتين بالشعر. اليدان، اللتان شحنتا ثلاجتها، في سيارة النقل. وكذلك غسالتها وتليفزيونها.

"امسك!" قذفت بشئ في وجهه. لم يستطع أن يفعل شيئًا لها لأنه كان يمسك بصينية الطعام في يده. ثم استدارت وانطلقت تعدو نحو باب الخروج. تأرجح الباب من خلفها بعد أن أغلقته.

لعلّها لم يكن ينبغي عليها رغم ذلك أن تقول "وغد".

هتف شخص باسمها. ركضت على نحوٍ أسرع واستدارت مع ذلك لوهلة. تعرّفت على السيدة، التي تعمل في المطعم. ركضت أسرع وأسرع لكنها لم تعد قادرة على التنفس. عادت الوخزات في صدرها من جديد. لحقت بها السيدة وأمسكت بها من سترتها الشتوية زرقاء اللون ورفعت يدها. وضعت مريم ذراعها أمام وجهها على سبيل الحماية لكن السيدة لم تكن تريد أن تضربها. كان معها هاتفها المحمول وضغطت عليه طلبًا لأحد

الأرقام. أمسكت بمريم بإحدى يديها ووضعت الهاتف المحمول على أذنها باليد الأخرى. سمعت مريم صوت نغمة الرنين ثم ردّ أحد الأصوات على الهاتف. لم تحتاج لثانية لكي تتعرَّف على الصوت.

"إيتم!!" صاحت في الهاتف بصوتٍ عالٍ للغاية كالزئير، كما لو أنها كانت تريد أن تصل إلى شقيقها بقوة صوتها وحدها.

أراد إيتم أن يعرف، أين هي. إن ماما وبابا محطمان في شعورهما بالقلق. إنها في ألمانيا وهي بحالٍ جيد. أصبح صوتها مبحوحًا قليلًا لكن عباراتها اكتسبت نبرّة عاليّة ومدوية. لم يعد يصلها رد في الهاتف المحمول.

"إيتم؟!"

انقطع الاتصال الهاتفي. تركت السيدة الهاتف المحمول ينخفض إلى أسفل ونظرت بعصبية في الاتجاه الآخر نحو مدخل المطعم وكرّرت مطالبتها لمريم بالذهاب إلى الشرطة قبل أن تخفي الهاتف المحمول وتسرع عائدّة إلى المطعم من جديد. ركضت مريم خلفها. لابد أن تحصل على رقم الهاتف. كان الرجل يقف أمام المطعم ويلوح حانقًا بقبضتي يديه. حوّلت مريم اتجاهها وابتعدت. لم تكن تريد أن تلتقي بهذا الرجل مصادفة. من المؤكد أن هذا الرجل سيستدعي الشرطة. كم كان هذا الرجل مغتاظًا.

***

انهمر المطر بغزارة ساقطًا على وجه مريم. لم تكن مريم تريد أن تعود إلى غرفة تغيير الملابس. لم تكن تريد أن تبقى وحيدة مع خوفها من السيد كارله. فتحت باب إحدى المغاسل. كانت كثيرًا ما تأتي مع والدها إلى هنا عندما يكن هناك عطل بالغسالة. استقبلها عند دخولها دفء رطب ورائحة مسحوق الغسيل. جلست في أحد الأركان أمام ورق حائط مُصوَّر، يمتد فيه نخيل أخضر اللون أعلى الغسالات. إن المغسلة شبه خاوية. لم يكن هناك أمام أحد المُجففّات سوى سيدة شابة جالسة تنشر وتروج الأخبار عبر موقع تويتر بأصابعها ذات الأظافر المطلية بطلاءٍ أخضر اللون. خلعت مريم الجورب المُبتّل وراقبت كيف تدور قطع ملابس السيدة الشابة في المُجَفّف.

شعرت مريم أكثر فأكثر ببردٍ شديد على الرغم من دفء الجو. جعل برق يقع بالخارج الغرفة مضيئة بضوءٍ مثل ضوء النهار وكان الرعد يُدوّي على الفور في أعقاب البرق.

عندما كانا هنا للمرة الأخيرة، علّمت مريم والدها الأفعال ذات التصريف الشاذ. وخز يوخز وخزًا. لقد رأت والدها كلمة "وخز" مضحكة للغاية. عندما كانت تقولها، كان للكلمة وقع يشبه صوت نخر أحد الخنازير. "وخز. وخز. وخز."

وقد حكت عن شجرة التفاح، التي كانت موجودة أمام منزلها في ألبانيا. لم تكن على يقين، هل تستطيع أن تتذكّرها أو أم أن وصف والدها للشجرة جعلها تعتقد أنها تعرف، كيف كانت تبدو.

أصدر المُجفّف صوتًا عاليًا حادًا. أصبح الغسيل مطويًا في بعضه البعض. حشرت السيدة الشابة الغسيل داخل الحقيبة وغادرت المغسلة.

توجهّت مريم إلى المُجفّف؛ ففي بعض الأحيان تظل المُجفّفات تدور قليلًا، حتى عندما لا يكون بداخلها غسيل. لم يعد المُجفّف دائرًا لكن مريم اكتشفت على الغطاء وجود شريحة معدنية نسيتها السيدة الشابة. ألقت مريم بالشريحة المعدنية، فتحرّك المُجفّف من جديد. فتحت مريم باب المُجفِف، فهبّ هواء دافئ باتجاهها. غير أن المُجفِّف ظل متعطلًا على نحوٍ تدريجي. أغلقت الباب ثانيًة. دارت البكرة. تفتح الباب فيهب هواء دافئ ويتعطّل المُجفّف. تُغلِق الباب. شيئًا فشيئًا صارت تشعر بالدفء.

رأت من زاوية عينها كيف دخل إلى المغسلة رجل ذو شعرٍ متوسط الطول، يجمع لونه بين البني والرمادي. ليس معه في غضون ذلك ثمّة غسيل. معه فقط حقيبة كتف فوق سترةٍ بها كاروهات كبيرة الحجم سوداء وبيضاء اللون وحزمة مفاتيح كبيرة. ابتسم لها. بدت كلتا سنتاه الأماميتان الكبيرتان مثل سنتا الأرنب روجر. اختفى عبر ورق الحائط المصور في غرفة جانبية.

وبحذرٍ، لكي لا تتسبّب في أي ضجة، فتحت مريم باب المُجفّف وجعلت الهواء الدافئ يلتف حولها.

"ماذا تفعلين هنا وحدكِ تمامًا؟ ألا يجب عليكِ الذهاب إلى المنزل؟" علقت في الهواء رائحة الكولونيا. إنها كولونيا مشابهة كثيرًا لتلك التي كان والدها يستخدمها.

لابد وأن النوم قد غشيها للحظة؛ فلم تلاحظ أن هذا الشخص قد خرج ثانيّة من الغرفة. جلس بجوارها ومدّ قدمه نحو باب المُجفّف وفتحه. على الرغم من أن الهواء الدافئ خرج من المُجفّف فإنه كان يتنحّى جانبًا. أغلق الرجل الباب.

"ألا يوجد هنا أحد ينتظرك؟"

لم يكن لصوته وقع يوحي بأنه يريد أن يطردها. فتح الباب مرّة أخرى، فمرَّ بها الهواء الدافئ مداعبًا.

"هل أنتِ جائعة؟"

نهض الرجل وتوجّه إلى إحدى الماكينات الآلية المُعلّقة على الحائط وألقى بها عملة معدنية لكن الماكينة لم تعمل.

"هل أحضر لنا بيتزا؟"

بيتزا دافئة. تصاعدت إلى أنفها رائحة عجين الخميرة وما عليها من طماطم وجبن.

" يمكنكِ أن تستريحي هنا قليلًا إذا شئتي ذلك." أشار إلى الباب المفتوح والمزين بورق الحائط المنقوش به نخيل.

تردّدت مريم. خلف الباب ظهرت للعيان أريكة حمراء، بدت وثيرة جدًا. لم تكن مثل الدكة الخشبية الموجودة في غرفة تغيير الملابس.

***

جلست دانا على كرسي في المطبخ وعبثت بالشوكة في البطاطس المهروسة، التي أعدها دافئة. لم تكن في الحقيقة جائعة حقًا على الإطلاق.

ما زالت صورة جيريمي عالقة برأسها وكيف انحنى انحناءة صغيرة، عندما أمسك لها الباب.

رنّ جرس التليفون.

مدّت يدها إلى السمّاعة. ظهر على الشاشة اسم دانا. استلزم الأمر منها دقيقة لتدرك، لماذا يوجد اسم دانا هنا.

ضغطت على الزر الأخضر. "مريم؟"

صوت خشخشة في الاتصال الهاتفي. "مريم؟ مريم، ماذا هنالك؟"

ما من إجابة. صوت خشخشة فقط. "مريم، قولي شيئًا! هل حدث شيء؟"

صوت خشخشة من جديد. لكن تبعه بعد ذلك صوت بعيد جدًا. "دانا؟"

"ماذا يحدث يا مريم؟ أين أنتِ؟"

صوت خشخشة ومقاطع من كلمات قيلت بانفعال. الشئ الوحيد الذي فهمته كان: "غسل شيئًا ما ..." ومرة أخرى "غسل ..."

"مريم؟ قولي شيئًا!"

صوت خشخشة.

ضغطت على الزر الأحمر. حاولت الاتصال بهاتفها، لكنها لم تتلقَ ردًا سوى من المجيب الآلي.

***

في الوقت ذاته تقريبًا دفع لينوس دراجته في ردهة المنزل.

في هذه اللحظة كان من الممكن أن تثور ثائرة السيدة مايروكر بشدة بالغة. فلينوس لم يكن يترك دراجته بالخارجِ عند سقوط المطر.

أُصيب لينوس بالبلل نوعًا ما على الرغم من ارتدائه لسترة المطر. بحث عن مريم في غرفة تغيير الملابس لكنها لم تكن هناك.

ترامى إلى مسامعه من أعلى صوت رنين جرس الهاتف. لعلّها والدته. الساعة تخطت الثامنة بالفعل. كان من الأفضل أن يتواجد بالمنزل عندما تجري والدته اتصالًا هاتفيًا به. صعد السلالم في ثلاث قفزات.

" نحن لا نسكن لدي الهوتينتوت!" كانت السيدة مايروكر تقف مرّة أخرى خلف الباب.

فتح لينوس الباب بالمفتاح وأسرع الخُطى نحو الهاتف وانتزع السمّاعة من حامل السماعة العتيق البالي.

"دانا!" دقّ قلبه دقًا خفيفًا. لم يسبق لدانا أبدًا أن اتصلت به هاتفيًا.

كان صوت دانا رنّانًا من فرط شعورها بالاضطراب. "هناك شئ ألمّ بمريم! لقد اتصلت بي هاتفيًا لكنني لم أفهم شيئًا سوى غسل... غسلي غسل... علينا أن نذهب إلى غرفة تغيير الملابس ونتحقّق من الأمر!"

تنفّس بعمق شهيقًا وزفيرًا. اختفت دقات قلبه.

"إنها ليست هناك! لقد عدت لتويّ من هناك!"

"تُرَى ماذا نفعل الآن إذًا؟"

أمعن لينوس التفكير. "ألم تقل شيئًا آخر؟ هل قالت فقط "غسل..."؟

"لقد قالت شيئًا آخر لكنني لم أفهم الباقي."

"غسل...؟ ماذا يمكن أن يعني هذا؟"

"لابد وأنه قد وقع لها شئ سيئ حسبما بدا من وقع صوتها."

غمغم لينوس قائلًا: "غسل... غسل... غسل..."

"هل ينبغي علينا أن نخبر الشرطة بذلك؟"

هزّ لينوس رأسه نافيًا ذلك.

"لديّ فكرة عما كانت مريم تقصده. سنلتقي في ساحة السوق أمام الكنيسة مباشرةً."

لم تُبدِ دانا ثمة رد فعل."هل سمعتِ ما قلته؟"

"دراجتي بها إطار فارغ من الهواء."

"حسنًا. سوف أمر عليكِ وأصطحبك."

***

ضغطت مريم على مقبض الباب المُغطى بورق الحائط لعشرات المرات. لم تتمكن عندئذ أيضًا من فتح الباب. جلست القرفصاء من جديد على الأريكة الحمراء، التي لم تكن وثيرّة على الإطلاق واسترقت السمع إلى الخارج. ساد صمت تام. لم يكن ينبعث بين الحين والآخر سوى صوت سيارة. حاولت مريم أن تتصل هاتفيًا بدانا مرّة أخرى.

رنّ جرس الهاتف ورنّ إلا أن دانا لم تتلقّى الاتصال الهاتفي.

شعرت بالرغبة في حك لسانها.

إن النحيب لا يُجدي.

انفتح باب المغسلة من جديد بالخارج.

خطوات. دار المفتاح في الباب المُغطى بورق الحائط. اعتدلت مريم في جلستها على الأريكة.

اهتزّت الأريكة. عليها أن تُركّز انتباهها في حفظ توازنها.

انفتح الباب. ألقت مريم بنفسها من الأريكة إلى أسفل. أنشبت أناملها في السترة ذات الكاروهات البيضاء والسوداء.

أطلق الرجل اللعنات.

ماذا ظن إذًا؟ هل ظنّ أنها ستترك الباب ينغلق عليها هنا ببساطة؟

حاول أن يمسك بها من السترة. بلغت الباب بخمس خطوات. صاح الرجل فيها بشئ ما من خلفها. لم تسمع شيئًا. أصبحت بالفعل بالخارج.

سقطت في بِركَة ماء. إن الماء بارد كالثلج. لا يُهم. المهم أن تبتعد عن هنا، تبتعد فقط!

***

جلست دانا في حامل الحقائب في دراجة لينوس.

"وماذا إن لم تكن في هذه المغسلة؟"

"اتصلي بها هاتفيًا!"

"غير ممكن. إن هاتفي المحمول معها!" انعطف لينوس في شارع جانبي وتوقّف. أشار إلى واجهتي عرض عريضتين تلقيان بضوءٍ ضعيف على رصيف المشاة.

"ها هي!"

نزل كلاهما من الدراجة واقتربا من المحل. كان هناك رجل يجلس على أحد المقاعد أمام ورق الحائط المُصَور والمنقوش به نخيل. وكان يرتدي سترة بها كاروهات بيضاء وسوداء ويمضغ قطعة من البيتزا.

همست دانا قائلة: "هل ينبغي أن نسأله عن مريم؟"

هزّ لينوس كتفيه.

وجّهت دانا نظرها إلى داخل المحل.

"انظر هناك!" كادت أن تركل لينوس بأقدامها. كان هناك على الأرض أمام ورق الحائط المُصَوّر حزام. إنه حزام دانا. الحزام الذي أحضرته معها لمريم.

رفع الرجل – الذي كان يرتدي السترة ذات الكاروهات البيضاء والسوداء – نظره.

"اغربا عن وجهي!" دمدم بها من بين أسنانه الطويلة.

"نحن نبحث عن صديقتنا التي لابد أن تكون متواجدة هنا!" شعرت دانا نفسها بالدهشة، من أنها قالت هذا ببساطة هكذا وأنها تحدثت علاوةً على ذلك بصوتٍ عالٍ جدًا.

زمجر الرجل قائلًا: "ما من أحد هنا. أنتما تريان هذا بالطبع!"

حملق الرجل في الحزام ثم حملق صوب لينوس.

خطى لينوس خطوة إلى داخل المحل. "الحزام هناك. إنه يخصها."

"إن لم تقل لنا أين هي، فسوف نستدعي الشرطة!" ما زالت دانا واقفة بباب المغسلة. لم تود أن تقترب أكثر مما ينبغي من الشخص، الذي كان يرتدي السترة ذات الكاروهات البيضاء والسوداء.

"لم تعد هنا. لقد انصرفت."

طأطأ الرجل رأسه. "كنت أريد فقط أن أحضر لها بعض الطعام. لعلَّها قد فهمت هذا على نحوٍ خاطئ ..."

نظر إلى دانا. علقت ابتسامة حزينة مُضلّلة فوق أسنانه الكبيرة.

"هل تظن أنه يقول الحقيقة؟"

جمع لينوس حزام مريم.

"هلا أقرضتنا هاتفك المحمول قليلًا!"

***

جرّت مريم ساقيها بامتداد الطريق الزراعي متجهَة إلى غرف تغيير الملابس. إن قدميها باردتان جدًا لدرجة أنها كانت تشعر بالكاد بهما. لفّت سترة التزلج حول جسدها مرتين وأمسكت بها بيديها بإحكام لكي تشعر بالدفء على نحوٍ أفضل وجذبت القلنسوة نحو وجهها بعمق. لم ترى مريم السيارة الرياضية متعددة الأغراض زرقاء اللون إلا عند بلوغها السياج المقابل لملاعب التنس.

انبعث من الشارع صوت ضجيج سيارة، تنعطف في الطريق الزراعي. لم تستطع أن تعود. كان عليها أن تجتاز الطريق حتى تصل إلى حائط التدريب قبل أن تمر السيارة في المنعطف. انطلقت مريم راكضَة. اقترب صوت الضجيج من خلفها أكثر. لاح أمامها الحائط الأخضر. أصدرت السيارة صوت طقطقة بسبب مرورها على مطب. تراقص المخروط الضوئي المنبعث من كشّاف السيارة الأيمن بجوارها. قفزت مريم بقوة جانبًا. خفّفت السترة المُلتّفة على نحوٍ مزدوج من وقع هبوط مريم. تدحرجت مريم فوق الحشائش المُبتّلة. ضغط الهاتف المحمول الموجود في الحقيبة على جانبها. عساه لم يُصب بعطل.

سطع ضوء كشّاف السيارة لوهلة فوق غرف تغيير الملابس. تعرّفت مريم على ملامح سيارة السيد كارله، التي كانت من طراز كومبي. هل اكتشف السيد كارله وجودها؟ انطفأت كشّافات السيارة. جذبت مريم القلنسوة على نحوٍ محبوك تمامًا حول رأسها وصمّت أذنيها. أصدر نفسها صوت صلصلة.

في لحظةٍ ما أطلقت لإحدى أذنيها العنان.

لم تسمع صوت خطوات، تتجه نحوها وإنما أصوات أخرى. أصوات السيارات الواقفة عند غرفة تغيير الملابس. أقدمت مريم على إلقاء نظرة مرورًا بالحائط. كان السيد كارله والشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة يُحمّلان عُلب كرتونية في المقعد الخلفي للسيارة الرياضية متعددة الأغراض.

أجرى الشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة اتصالًا هاتفيًا. بخصوص شيءٍ ما عن كلبٍ قد نسيه.

توجّه السيد كارله بعربة النقل اليدوية ذات الأكياس إلى غرفة تغيير الملابس.

سيارة كاملة تمتلئ بالأحذية. لعلّها كانت تحتاج لزوجٍ واحد فقط وعندئذ قد تصبح قدماها أخيرًا دافئتين مرّة أخرى.

صاح الرجل ذو الشعر المصفف بالفرشاة قائلًا: "هل ستأتي ثانيةً؟!"

لم يُبدِ السيد كارله ثمة رد فعل.

تسلّق الرجل ذو الشعر المصفف بالفرشاة على الممر الخشبي واختفى في غرفة تغيير الملابس.

دفعت مريم بجسدها إلى الأمام مرورًا بحائط التدريب.

ساد صمت تام. لم ينبعث من الشارع سوى أصوات الضجيج الناتجة عن السيارات المارة به.

واصلت مريم التسلّل.

لمعت عُلب الكرتون بيضاء اللون في حقيبة السيارة. كانت مريم تحتاج لحذاء مقاس 38 أو الأفضل مقاس 39 ومن ثمّ تستطيع أن ترتدي زوج من الجوارب.

خطوتان أخرتان. مدّت مريم يدها إلى عُلبة من الكرتون ودفعت غطائها إلى أسفل – حذاء رجالي. راقي للغاية. من جلدٍ لامع بني اللون.

"متى ستحصل على حمولة السيارة القادمة؟" إنه الرجل ذو الشعر المصفف بالفرشاة. لكنها أدركت صوته فقط.

تناولت عُلبة الكرتون التالية – حذاء نسائي ذو كعب يبلغ ارتفاعه عشرة سنتيمترات.

أصدر الممر الخشبي صوت طقطقة.

خرج كلاهما مُجدّدًا!

استدارت مريم. بعيدًا جدًا جدًا حتى حائط التدريب!

قفز الرجل ذو الشعر المصفف بالفرشاة من الممر الخشبي. وعلى الجانب الآخر انزلق السيد كارله على الممر الخشبي المبتل واستطاع أن يحفظ توازنه. أطلق اللعنات.

ليس أمامها سوى إمكانية واحدة لكي لا يكتشف أحد وجودها: دفعت مريم العُلب الكرتونية جانبًا وتسلّقت إلى حقيبة السيارة وأعادت دفع العُلب الكرتونية إلى موضعها ثانيّة. كان هناك في الركن غطاء قديم جذبته مريم فوق رأسها. فاحت من الغطاء رائحة نتنة مصدرها أحد الكلاب.

غالبت مريم السُعال.

قال الرجل ذو الشعر المصفف بالفرشاة شيئًا لكن مريم لم تسمع ثمّة شيء. ليس في أذنها سوى صوت خشخشة.

انغلق باب حقيبة السيارة بعنف ودار المُحرّك. دارت السيارة الرياضية متعددة الأغراض و اهتزّت في الطريق الزراعي محدثّة صوت طقطقة وصاعدّة نحو الشارع.

ولم تتوّقف السيارة مرّة أخرى إلا بعد أمدٍ طويل. نزل الرجل ذو الشعر المصفف بالفرشاة من السيارة . انزوت مريم في آخر الركن الذي كان يقع في أقصى مؤخرة حقيبة السيارة خلف العُلب الكرتونية وسمعت صوت الخطوات المتباعدة.

***

وقف لينوس في المغسلة حاملًا في يده الهاتف المحمول الخاص بالرجل ذي السترة الكاروهات البيضاء والسوداء.

شعرت مريم باهتزاز في جيب سترة التزلج زرقاء اللون، التي كانت ترتديها. ضغطت على الزر الأخضر.

همست مريم قائلَة: "نعم"

"مريم، أين أنتِ؟"

"في إحدى السيارات."

"في أي سيارةٍ إذًا؟"

"في سيارة الرجل ذي الشعر المصفف بالفرشاة."

سمعت مريم صوت خطوات تقترب منها من جديد وصوت نباح أحد الكلاب.

"كيف دخلتِ إذًا إلى السيارة؟"

همست مريم قائلَة: "يجب على أن أتوّقف عن الكلام." وأضافت: "لقد جاء ثانيَة."

أصدر قفل السيارة صوت طقطقة. انفتحت حقيبة السيارة مفرودة إلى أعلى.

"هوب يا ياكو!" إنه صوت الرجل ذي الشعر المصفف بالفرشاة.

دفع الرجل بعضًا من العُلب الكرتونية جانبًا. اهتزَّت السيارة قليلًا. صوت كلب يلهث. تشمَّم العُلب الكرتونية. دار مُحرِّك السيارة بصعوبة. تحرَّكت السيارة.

سمعت مريم صوت زمجرة بجوارها. تكوَّرت ليصبح حجم جسدها صغيرًا للغاية قدر استطاعتها؛ فأصبحت ركبتاها ملاصقتين لذقنها. وضعت ذراعيها فوق رأسها لتحمي نفسها.

غير أن صوت الزمجرة لم يتوقَّف.

"ماذا بك يا ياكو؟" قالها الرجل ذي الشعر المصفف بالفرشاة.

اندست أنف ياكو عبر فتحة بين كومتين من العُلب الكرتونية ونبح في تردد.

إن النباح أفضل من الزمجرة.

مدَّت مريم يدها من أسفل الغطاء في حذر نحو الخارج.

توَّقف ياكو عن النباح. جذبت مريم الغطاء لمسافةٍ بسيطة للغاية جانبًا. كانت العلب الكرتونية أكثر بكثير مما يجعلها تستطيع أن ترى شيئًا.

ياكو كلب راعي كبير الحجم.

تأمل ياكو يدها في ارتياب.

ظلَّت مريم جالسة بلا حراك.

غمغمت في صوتٍ منخفض: "ياكو لطيف."

أرهف ياكو أذنيه. اقترب فم ياكو من يد مريم.

لم تتقهقر مريم.

تشمَّم ياكو يدها.

انثنت أذنه اليمنى نحو الأمام.

***

"إنه لأمر رائع أيضًا مع ذلك!" هوى لينوس بجسده على الدكة بجوار الرجل ذي السترة الكاروهات البيضاء والسوداء.

"كيف أصبحت الآن في هذه السيارة؟"

رفع الرجل كلتا يديه لأعلى. "لا أدري." قالها مؤكدًا وأضاف: "ليس لديَّ سيارة على الإطلاق."

ناول هاتفه المحمول للينوس.

"يمكنك أن تحاول مرة أخرى أن تتصل بها هاتفيًا."

هزَّ لينوس رأسه بالنفي. "لو اتصلنا بها هاتفيًا فربما يفضح رنين الهاتف وجودها. علينا أن ننتظر أن تتصل هي بنا."

غير أن مريم لم تعاود الاتصال.

"يجب أن نذهب إلى الشرطة!" قالها لينوس ونهض.

"يمكننا الاتصال هاتفيًا بالشرطة، إن أردتما ذلك!"

تناول لينوس الهاتف المحمول.

"الشرطة. هل رقم الشرطة 110 أم 112؟"

صوت صفارة الإنذار ذات الطراز القديم المنبعث من سيارة شرطة إطفاء. كاد لينوس أن يترك الهاتف المحمول يسقط. غير أن هذا لم يكن سوى نغمة الرنين.

"هذا أنا!" أتى صوت مريم مكتومًا.

"أين أنتِ؟"

"في مكانٍ ما في أحد مواقف السيارات"

"هل ما زلتِ في السيارة؟"

"أجل."

انبعث في الخلفية صوت غناء أطفال.

"هل يمكنك أن تعرفي أي شئ يميز المكان بالخارج؟"

"هناك أشجار كثيرة جدًا من حولي."

جلست دانا بجوار لينوس على الدكة ودفعت جسدها بصعوبة مقتربةً منه لتصبح ملاصقةً له لكي تستطيع أن تشاركه الاستماع إلى المكالمة.

"فلتدققي النظر! فربما يكن هناك شئ نفهم منه، أي موقف سيارات هذا."

"اعتقد أننا في مكانٍ ما في الغابة بسبب وجود الكلب."

"كلب؟؟؟"

"إن الرجل ذو الشعر المصفف بالفرشاة لديه كلب وقد جاء برفقته إلى هنا."

دنا عندئذ صوت الغناء منها جدًا بحيث أمكن سماع ما يغنيه الأطفال. "فانوس، فانوس، شمس، قمر ونجوم ..."

"إنه موكب الاحتفال بعيد القديس مارتن!" انتفضت دانا واثبة.

"هيا يا لينوس. تعالَ!"

***

داس لينوس بقوة على البدّال. جلست دانا من جديد في حامل الحقائب في دراجة لينوس ولكم ودّت ان تركض مع ذلك بساقيها لكي يصبحا أسرع. "وماذا إن لم تكن في الموقف وكان هناك اليوم أيضًا موكب آخر للاحتفال بعيد القديس مارتن؟"

انعطف لينوس في طريق مواقف السيارات المرصوف وتوّقف. أخذا يسترقان السمع في الظلام. لم ينبعث أي صوت لموكب الاحتفال بعيد القديس مارتن.

قال لينوس: "سنذهب للتو إلى موقف السيارات."

"هل تعرف أين يقع؟"

كانت هناك في بداية الطريق لوحة إرشادية. كان في اللافتة تصميم الموقف بأكمله. هناك موقفان؛ عليهما التوجه يمينًا للذهاب إلى الموقف الأول والتوجه يسارًا للذهاب إلى الموقف الآخر.

تساءلت دانا: "إلى أين سنذهب الآن؟"

نظر لينوس في حيرة نحو الطريق بالأسفل. اكتشف وجود ضوء مهتز في الطريق من الخلف تمامًا. اقترب منهما أب وابنه وكان الفتى يحمل في يده فانوسًا.

"إذًا علينا أن نمضي نحو الأمام!" قفز لينوس على دراجته وقفزت دانا بأقصى سرعة في حامل الحقائب بالدراجة.

***

صار يتوّجه قبالتهما على نحوٍ متزايد أناس يحملون فوانيس. كان يجب عليهما في لحظةٍ ما أن يترلا عن الدراجة؛ فقد مرَّ بهما على الأقل مئة طفل محتشدين بصحبة آبائهم وأمهاتهم.

استغرق الأمر أمدًا طويلًا حتى وصلا إلى موقف السيارات. وفي الختام لم تعد دانا تطيق البقاء في حامل الحقائب بالدراجة. قفزت مغادرةً الدراجة وركضت إلى جانبها.

كانت توجد في الموقف ثلاث سيارات، واحدة منها فقط سيارة رياضية متعددة الأغراض.

طرق لينوس على باب حقيبة السيارة.

"مريم؟"

في التو واللحظة ظهر رأس مريم في النافذة.

ضغط لينوس على زر الباب. كان مغلق بالمفتاح بالطبع.

دارا حول السيارة ورجّا الأبواب الأخرى بأيديهما. كانت جميعها مغلقة.

صاح لينوس عبر زجاج السيارة: "هل يعلم هذا الشخص أنكِ هنا بالداخل؟ هل يحبسكِ هنا؟"

هزّت مريم رأسها بالنفي.

"لكن كيف دخلتِ إذًا إلى هنا بالداخل؟"

أشارت مريم إلى العُلب الكرتونية المصنوعة من الورق المقوى.

"بسبب الأحذية."

التفتت دانا إلى لينوس: "هل حكيت لها عن هذا الأمر؟"

هزّ لينوس رأسه باستنكار.

غمغمت مريم قائلَة: "لم أكن أريد سوى أن أحصل ثانيَة على حذاءٍ مناسب." كان من الصعب أن يسمع أحد ما تقوله عبر زجاج السيارة.

خطوات سريعة خفيفة قادمة من طريق الغابة. انبعث صوت خشخشة ناتج من حركة عُصيٍّ التزلج عبر الأوراق المتساقطة من الشجر. عُصيٌّ تزلج بدون أشخاص متزلجين على الجليد. كانت إحدى السيدات تدفع

عُصيِّ التزلج في الأرض بالتناوب على نحوٍ مستمر. أخذت تدنو بسرعة البرق. بدت السيدة مثل الجدة روزل الموجودة في كتاب تعليم القراءة بالعام المدرسي الأول. كان شعرها رمادي اللون، مربوط على هيئة كعكة كثيفة ووجهها تنثني فيه التجعيدة تلو الأخرى.

أرادت دانا أن تتخذ ساترًا تحتمي به. أمسك بها لينوس بإحكام من ساعدها. "لا يمكن لأحد أن يمنعنا من التواجد في موقف سيارات."

فتحت الجدة حقيبة شاحنتها الصغيرة المنبعجة والتي تحمل إعلانًا ما أزرق اللون وحشرت فيها عُصيّ التزلج الخاصة بها وأخرجت منشفة وجفّفت بها وجهها.

همست دانا في يأس قائلَة: "يجب أن نُخرِج مريم من هنا قبل أن يأتي هذا الشخص مرّة أخرى."

نظرت الجدة باتجاههما في هذا الجانب وسألتهما: "هل تنتظران أحدًا أم أنكما قد ضللتما الطريق؟"

هزّ لينوس ودانا رأسيهما بالنفي دون أن يتفوها بكلمة.

صاحت الجدة روزل فيهما: "لقد سألتكما سؤالًا يتعيّن الإجابة عليه باختيار أمر من أمرين، أي لا يمكنما الإجابة ببساطة بأن تهزا رأسيكما بالنفي فقط." انتهت الجدة روزل من تجفيف نفسها وألقت بالمنشفة في حقيبة السيارة.

ليس لدى لينوس ودانا الآن وقت للتسامر مع إمرأة طاعنة في السن وذلك بخلاف كونها بدت ليست على عجلة من أمرها.

"هل ينبغي أن أصحبكما معي في السيارة لمسافةٍ قليلة؟"

لا. اللعنة مرّة أخرى!

طخ.

لمع الضوء الوامض لمصابيح السيارة الرياضية متعددة الأغراض.

عبر الشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة والذي يرتدي النظارة ذات الإطار الأحمر موقف السيارات برفقة كلبٍ يجره بحبل.

استدار لينوس ودانا على نحوٍ لا يفلت الأنظار قدر استطاعتهما. لقد فات أوان أن يختبئا.

فكّ الشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة الكلب من الحبل وفتح حقيبة السيارة.

"بسرعة يا ياكو!"

لم يود ياكو الصعود إلى حقيبة السيارة. اضطر الشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة إلى مساعدته في الصعود بيديه وركبتيه.

وجّه الشخص تحيّة للجدة روزل قبل أن يستقل السيارة ويرجع إلى الوراء بالسيارة ويختفي باتجاه الشارع.

رفع لينوس دراجته. غير أنه لم يركبها على الإطلاق؛ فمن غير المجدي أن يطارد سيارة رياضية متعددة الأغراض بدراجة.

التفتت دانا إلى الجدة روزل. توّسلت إليها قائلَة: "أرجوكِ" وأضافت: " أرجوكِ، هل يمكنكِ أن تقودي سيارتك مُتعقّبَة السيارة هناك؟"

"مطاردة؟" لمعت عيناها الزرقاوان القابعتان خلف النظارة السميكة المستديرة.

كان لينوس متردِّدًا؛ فمن الغير الممكن مطاردة أي شخص بسيارةٍ عتيقةٍ كهذه السيارة تقودها إمرأة طاعنة في السن!

فتحت الجدة للينوس باب شاحنتها الصغيرة وأمسكت به. "أجل. ماذا تنتظران إذًا؟ إن لم تسرعا فسوف يرحل الرجل بعيدًا!"

***

دفعت ناقل سرعات السيارة على الدرجة الرابعة لدرجة أن السيارة أصدرت صوت فرقعة. مرّت السيارة الرياضية متعددة الأغراض أمامهم في إحدى إشارات المرور. كانوا مضطرين للمضى خلف السيارة الرياضية على كل حال عندما تضئ إشارة المرور باللون الأصفر. جلست دانا في المقعد المجاور لقائد السيارة، بينما جلس لينوس بصحبة دراجته بالخلف في الصندوق.

تغيّر لون إشارة المرور إلى اللون الأصفر.

ضغطت الجدة روزل على البنزين.

مرّوا بالسيارة عندما أصبح لون الإشارة بين الأصفر والأحمر.

ضربت الجدة روزل بقبضة يدها المتكوّرة في رضا على عجلة توجيه السيارة.

حادت السيارة الرياضية متعددة الأغراض جهة اليمين وانزلقت الشاحنة الصغيرة خلفها. اصطدمت الدراجة بجانب جسد لينوس. تأوه لينوس بصوتٍ منخفض.

قال لينوس مُحذّرًا: "لا تصبحي ملاصقة له أكثر مما ينبغي." وأردف: "بحيث لا يلاحظ، أننا نطارده."

سارت السيارة الرياضية متعددة الأغراض بامتداد النهر. وبقيت الشاحنة الصغيرة على مسافة بينها وبين السيارة. استقرت أمامها سيارة "فان". حاولت الجدة روزل أن تتجاوزها بسيارتها لكن السيارات أخذت تأتي قبالتها مرارًا وتكرارًا.

أعطت الجدة روزل إشارة ضوئية بكشافات سيارتها للسيارة "الفان" لكن السيارة "الفان" أخذت تبطئ من سرعتها بدلًا من أن تسير على نحوٍ أسرع.

كان هناك طريق لمرور الدراجات على مسافة تنخفض بمقدار نصف متر بجوار الشارع.

قالت الجدة روزل بلهجة آمرة: "أمسكا بإحكام!"

حادت الشاحنة الصغيرة جهة اليمين ودوّت بصوتٍ كقصف الرعد عند هبوطها في المنحدر ومرورها بشدة بشجرة حور. التصق جسد دانا بالباب. اصطدمت الدراجة بركبة لينوس.

"أمسكا بإحكام مرّة أخرى!"

هدر مُحرّك السيارة. لم يكن ناقل سرعات السيارة في حالةٍ جيدة. أصدر دبرياج السيارة صوت ضجيج شديد. ضغطت الجدة روزل على البنزين لتسير السيارة بأقصى سرعة. انطلقت الشاحنة الصغيرة كالقذيفة بسرعة نحو الأمام. كان لينوس متأهبًا في هذه المرة فأمسك الدراجة بإحكام.

قادت الجدة روزل شاحنتها في المُنحدر على نحوٍ منحرف جدًا. جنحت الشاحنة الصغيرة جانبًا بصورةٍ خطيرة؛ غير أن الدراجة كانت ثابتة بإحكام بشكلٍ ما فأصبحت تشكل مع لينوس ثقلًا موازنًا. لامسوا الشارع مرّة أخرى بثلاث عجلاتٍ. أطلقت السيارة الفان صوت نفير من خلفهم في غيظ.

أطلقت الجدة روزل السباب قائلّة: "أبله!"

داست الجدة روزل على البنزين. كادت السيارة الرياضية متعددة الأغراض تختفي عن الأنظار.

توقفت سيارة صغيرة أمامهم على نحوٍ مزعج ملتزمّة بحدود سرعة ثلاثين كيلو متر. أطلقت لها الجدة روزل نفير السيارة من الجانب.

وتحاشت أحد المارة في اللحظة الأخيرة. لقد غفلت عن رؤية الخطوط البيضاء والسوداء المخصصة لعبور المارة في الشارع. سارت السيارة الصغيرة من جديد على نحوٍ أسرع. كادت الجدة روزل أن تحتك بها من الجانب. اعترفت قائلَة: "كانت المساحة غير كافية بعض الشيء."

اقتربوا من السيارة الرياضية متعددة الأغراض لمسافة تصل إلى ثلاثمائة متر. انعطفت السيارة الرياضية في اتجاه المدينة القديمة. تبعتها الشاحنة الصغيرة على نحوٍ مهذب.

وبسرعة الخطوات بحثت السيارة الرياضية عن موضع تقف فيه ولم تعثر على مكان وتوّقفت في الصف الثاني.

وقفت الجدة روزل في مجال رؤية السيارة الرياضية.

التفتت دانا إلى لينوس متسائلَة: "هل ما زلت على قيد الحياة؟"

أومأ لينوس برأسه بالإيجاب على نحوٍ متكلُف.

قفز الكلب ياكو من حقيبة السيارة أمامهم على بعد مسافة خمسين مترًا واختفي مع سيده الصغير في مدخل أحد المنازل.

عند نزول دانا من السيارة، كانت ركبتها رخوة. دفع لينوس دراجته من السيارة مطلقًا اللعنات بصوتٍ منخفض. اضطر فيما بعد لأن ينشغل بما أصابه من كدمات زرقاء، فالشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة يمكن أن يأتي مرّة أخرى في أي لحظة.

ركضا نحو السيارة الرياضية متعددة الأغراض.

"مريم؟"

"مريم. هل كل شيءٍ على ما يرام؟"

ظهر رأس مريم. نظرت للينوس ودانا في ذهول. عندما اكتشفت وجود الجدة روزل، اتخذت مرّة أخرى على الفور ساترًا تحتمي به. شرعت دانا في إيضاح الأمر. استحثها لينوس على الإسراع ونظر من حوله باحثًا عن شيءٍ، يمكن تهشيم زجاج السيارة به. غير أن رصيف المشاة لم يكن به ولا حتى عُلبة من عُلب المشروبات الغازية.

توجّه لينوس نحو الجدة روزل متسائلًا: "لعلّكِ لديك رافعة سيارة أو مفتاح العجلة؟"

"فيما تحتاج مثل هذا الأشياء إذًا؟"

أشار إلى مريم. "علينا أن نخرجها من هنا بأي شكل."

"حسنًا، فلتسمع" نظرت الجدة روزل للينوس باستنكار وقالت: "هذا يعد إتلاف للممتلكات. إن تكلفة زجاج سيارة مثل هذه السيارة تبلغ بالتأكيد ألف يورو." يبدو أنها نسيت أنها كادت تتسبّب في وقوع حادثة، كان سيؤدي إلى حدوث تلفيات تزيد تكلفتها بالتأكيد عن ألف يورو.

"أنتما لا تعرفان الكثير عن السيارات."

وضعت الجدة روزل يدها أعلى عينها ونظرت في داخل السيارة الرياضية متعددة الأغراض.

صاحت في مريم متجهَة داخل السيارة بصوتٍ كالزئير وبدرجة صوت كما لو أن زجاج السيارة مُصفّح مزدوج قائلة: "هل بإمكانك أن تتسلقي إلى الأمام؟"

نظرت دانا ولينوس حولهما في فزع. نظر نحوهم بفضول رجل وامرأة، كانا يتنزهان أسفل مظلة مطر كبيرة حمراء اللون. استفسر الرجل قائلًا: "هل أنتم بحاجة إلى مساعدة؟"

قال لينوس في أدب: "لا. شكرًا جزيلًا." وأضاف: "سندبر أمرنا."

ظل كلاهما واقفين على الرغم من ذلك.

لم تستطع مريم أن تتسلق نحو الأمام؛ فهناك شبكة مشدودة بين حقيبة السيارة والجزء الأمامي للسيارة الرياضية متعددة الأغراض.

نصحتها الجدة روزل قائلَة: "فلتخلعيها ببساطة!"

ضغطت مريم على العمود. ضغطت في الواقع بخفةٍ تامة. انزلقت الشبكة على عُلب الكرتون. "والآن تسلّقي نحو الأمام. لابد أن هناك زر في مكانٍ ما في باب قائد السيارة."

تحرّكت مريم فوق المسند الخلفي نحو الأمام ناقلَة يد تلو الأخرى ولم تستطع أن تمنع انسحاق بعض عُلب الكرتون.

كان في الباب الجانبي خمسة أزرار على الأقل. على أي زر ينبغي أن تضغط؟

"لا يهم. جربيهم جميعًا."

ضغطت مريم على الزر الأكبر. هناك مفتاح فوقه. تك.

اصطدم لينوس ودانا ببعضهما البعض، لأنهما جذبا مقبض الباب في الوقت ذاته. انفتح. كان الأمر بسيط هكذا. دون الاستعانة برافعة سيارة.

سقطت مريم باتجاههما. تلّقفها لينوس ودانا.

تساءل الرجل، الذي كان معه مظلة المطر، متشككًا: "هل تفعلون شيئًا محظورًا هنا؟"

تلتفت إليه الجدة روزل وقالت له في جدية بالغة: "كلا". وأضافت: "أنا أعلّم الأولاد، كيف يُكسِّرون السيارات!" تقبت في جيب معطفها وناولت الرجل الكارت، الذي يحمل اسمها وبياناتها. "يسرني أن أقدم لك المشورة، حال رغبتك في تجربة هذا."

ألقى الرجل نظراته باستياء فيما بين الكارت والجدة روزل والسيارة الرياضية متعددة الأغراض المفتوحة.

زمجرت زوجته قائلة: "إنها تستخف بك. هذه العجوز."

ناولت الجدة روزل مريم ولينوس ودانا أيضًا الكارت الخاص بها.

مارجو كلو دي سابو
لجميع الخدمات
رقم الهاتف: 07956/6339

ابتسمت الجدة روزل - والتي لم يكن اسمها الجدة روزل على الإطلاق - للثلاثة، حتى بدا الأمر كما لو أن التجاعيد المحيطة بعينيها كانت ترقص راب.

"في حالة أن تحتاجوني مرّة أخرى."

تلفتت وركضت بخطواتٍ نشيطة إلى سيارتها، كما لو أنها ما زالت تنطلق مندفعَة بعُصي التزلج.

سارت بسيارتها مرورًا بالثلاثة ولوَّحت لهم بيديها. رفع لينوس دراجته. "هيا بنا ننصرف من هنا قبل أن يأتي هذا الشخص مجددًا."

انبعثت من برج الكنيسة المطل على ساحة السوق دقات الساعة. "إنها التاسعة والنصف." قالتها دانا في فزع و أضافت: "أووه. يجب أن اتصل هاتفيًا بوالدي."

توّقف لينوس. أعطت مريم لدانا هاتفها المحمول.

قال لها لينوس مُحذّرًا: "اضغطي على الزر الذي يكتم الصوت".

لم تفهم دانا مقصده من أول وهلة. "أم أنكِ تريدين، أن تحكي لوالدك أنكِ قد عثرتِ الآن على هاتفكِ المحمول عن طريق الصدفة؟"

نظرت دانا للينوس، كأنها لم يتضح لها إلا عندئذ أنها وجدت أمامها الشخص، الذي يدبّر بعض الأمور بشكلٍ جيد إلى حدٍ ما.

كان جرس الهاتف قد رنّ للمرة الأولى حينما رفع نيكلاس سماعة الهاتف.

"يا بابا هذه أنا!"

"دانا! ماذا حدث؟ أين أنتِ؟"

"لا شئ يا بابا. لا تنفعل. أنا في ساحة السوق."

"ألا ينبغي عليَّ أن أنفعل وأنتِ تهيمين وحدكِ في الشارع في الساعة التاسعة والنصف ليلًا؟" بدا صوته كأنه سيقفز خارجًا من الهاتف.

"لست وحدي. لينوس معي!"

"لا تتحركان من مكانكما. سأصل إليكما في غضون خمس دقائق!"

"بابا نحن ..."

"هل سمعتِ ما قلته؟"

تنهّدت دانا. "أجل يا بابا!"

نزل لينوس عن دراجته. "ستقتلني والدتي، لو كانت عادت إلى المنزل بالفعل."

***

وصلوا إلى التمثال البرونزي القاتم لأحد الجنود، الذي يتواجد في ساحة السوق بوصفه نصبًا تذكاريًا.

هل ينبغي أن تعود مريم الآن وحدها تمامًا إلى غرفة تغيير الملابس ؟

ظل السؤال عالقًا في صمت في نسمات نوفمبر الباردة.

سألتها دانا: "ما رأيك أن تأتي معنا إلى منزلنا؟ هل لي أن أقول لوالدي كل شيءٍ ببساطة؟"

فكّرت مريم في والدها وفي الشرر، الذي يتطاير من عينيه، عندما يكون غاضبًا وفي عينيه، اللتان تشتعلان كالنار عندما تتوجهان صوب أحد.

لقد دوّى صوت والد دانا من الهاتف مثل شرارات نار.

هزّت مريم رأسها بالنفي.

أوضحت مريم لدانا مقصدها قائلًة: "يجب أن أعطي لهانيبال بعض الطعام."

احتضنتها دانا. "نلتقي غدًا. لكن الويل لكِ إن فعلتِ مثل هذا العبث مرّة أخرى وصعدتِ في أي سيارة يمتلكها شخص غريب!"

هزّت مريم رأسها بالنفي. إنها خائرة القوى جدًا لدرجة لا تبيح لها أن تبتسم. إنها لم تمضِ حتى في وهن. تلفتت وانطلقت ماشيًة وسط بِرْكَة ماء، لم تلاحظ وجودها. ترجرج الماء عاليًا حتى ركبتيها . أصبحت تسعل.

وعدتها دانا قائلًة: "غدًا سأحْضِر معي غلّاية كهربائية. ومن ثمّ نعمل حمام بخار بالأعشاب."

"نلتقي غدًا." صاح بها لينوس من خلفها. "من المؤكد أن السيد كارله لن يأتي اليوم ثانيًة إلى غرفة تغيير الملابس." قالها محاولًا أن يهدئ من روعه.

اقتربت من مسافةٍ بعيدة كشافات إحدى السيارات. اختفت مريم سريعًا خلف تمثال الجندي.

أطلقت السيارة صوت نفير وانبعثت منها إشارة ضوئية.

قفز والد دانا من السيارة.

خطر ببال كليهما في تلك الساعة – دون أن يقولا ذلك – عما إذا كانا يستطيعان تخيل، ما نوع المخاوف التي شعر بها؟ لا يجوز لدانا أبدًا، أبدًا أن تفعل ذلك ثانيَة. وكذلك لينوس أيضًا. هل أدركا ذلك؟

رفع نيكلاس دراجة لينوس في حقيبة السيارة. تبقت العجلة الأمامية للدراجة والجادون عالقين خارج حقيبة السيارة. لم يبالِ بذلك. مستحيل أن يذهب لينوس وحده إلى المنزل. على الرغم من أنه كان سيقطع بالدراجة مسافةً أقصر من المسافة، التي سيقطعها بالسيارة.

***

10

كان لينوس مستيقظًا بالفعل عندما دق جرس المنبه. كان قد استيقظ في الليل بضعة مرات، لأنه كان يفكر في مارجو كلو دي سابو وفي الشخص ذي الشعر المصفف بالفرشاة والسيد كارله. إن الوضع في غرفة تغيير الملابس خطير جدًا. يجب أن ترحل مريم عنها.

"هل تريد شريحة توست أيضًا؟" جلست كاترين في المطبخ مرتديّة روب الحمام وأخذت تدهن الشطائر، التي يتناولها لينوس في فترات الراحة المدرسية دون أن تضع فيها سجق أو لحم خنزير. لم تطرح عليه مساء أمس الكثير جدًا من الأسئلة، لكنهما اتفقا على أن يعود إلى المنزل في موعد أقصاه الثامنة مساءًا.

"فلتخبرني. كنت أريد أن أسألك، هل ...

" أزاحت كاترين الشطائر نحوه.

غير أنها لم توجه إليه أية سؤال بعد ذلك وإنما لفّت خصلة من خصلات شعرها الأشقر حول إصبعها وابتسمت شاردة الذهن. قد يكون من الأفضل لو أنها زجرته بحكمة.

رشفت كاترين من قهوتها.

"إنه لأمر لطيف من والد دانا أن يحضرك إلى المنزل."

لوى لينوس وجهه. كان سيصل بشكلٍ أسرع لو كان قد ذهب بدراجته.

لكنه قد يكون أمر غير جيد أن يخالفها في رأيها الآن. حاول لينوس أن يعصر مخه ليتذّكر أي شئ عن والد دانا. فمن الأفضل أن يتحدثا عن والد دانا بدلًا من الحديث عما حدث مساء أمس.

"لقد أوصل دانا بسيارته صباحًا إلى المدرسة." لا يعرف لينوس شيئًا أكثر من ذلك عن والد دانا. ابتسمت كاترين مرّة أخرى في شرود ولم تقل شيئًا آخر. لماذا كانت تبتسم عندئذ بشكلٍ غريب هكذا؟ في عصبية التوى لينوس في كرسيه. هل يستطيع ببساطة أن يمضي؟ نهض في حذر.

شرعت والدته في الحديث قائلةً: "لقد قالت لنا السيدة فيشر ..."

عاد لينوس وهبط سريعًا في كرسيه؛ فبالأمس أقيمت أمسية اجتماع الآباء والأمهات ولم يخطر هذا الأمر ببال لينوس على الإطلاق. لقد قالت السيدة فيشر لوالدته بالطبع أنه لم يذهب إلى المدرسة بالأمس.

أفرغت كاترين اللبن في قهوتها وأنهت جملتها المبتورة قائلةً: " لقد قالت لنا السيدة فيشر أنه من المحتمل أن تكن الفتاة، التي تدرس في فصلك الدراسي والتي رحلوها، لا تزال متواجدة هنا. لقد هربت في الليل، عندما أتت الشرطة. هل كنت تعرف هذا؟"

نظر لينوس إلى والدته بطرف عينه. هل كان هذا سؤالًا حقيقيًا، أم أنها تعرف شيئًا ما؟ أخذ لينوس يرتِّب الشطائر في حقيبته المدرسية، لكي لا يضطر للإجابة على الفور.

"أجل" قالها لها ثم أضاف: "أجل. كنا جميعًا نعرف هذا. لقد علّق حارس مبني المدرسة منشوراتٍ إعلانية بشأنها في كل مكان."

نظرت إليه كاترين نظرةً متجهمة.

"يا لها من حقارة! جاءوا في جوف الليل! إنهم يفعلون هذا عمدًا من أجل ألا يرى أحد هذا!"

***

جلست دانا أيضًا منهكة أمام الشطائر الصغيرة المُخصّصة للإفطار. لم تنم دانا أيضًا نومًا جيدًا. لقد تصوّرت وضعها لو كانت مضطرة للبقاء بمفردها في غرفة تغيير الملابس. فبالإضافة لبرودة الجو والسيد كارله أصبح هناك أيضًا الشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة.

دهن نيكلاس شطائر فترة الراحة المدرسية. لقد اعتاد – مثل كاترين بالضبط – على أن يكن عدد تلك الشطائر خمسة على الأقل وأنه لا يجوز له أن يضع علي الشرائح سجق أو لحم خنزير.

صبّت دانا لنفسها جرعة صغيرة من القهوة وأفرغت فوقها لبنًا ساخنًا. لم تمس دانا شطيرتها الصغيرة.

سألها نيكلاس: "ألستِ جائعة؟"

هزّت دانا رأسها بالنفي.

"فلتقولي لي، هل بإمكانكِ أن تتخيلي ..." توقّف نيكلاس عن دهن الشطائر ونظر إليها في جدية. ثارت أعصاب دانا. عندما ينظر إليها والدها على هذا النحو فغالبًا ما يكن هناك شئ لا يسير على ما يرام. هل ما زال غاضبًا بسبب مساء أمس؟ انتظرت أن يكمل جملته حتى نهايتها. غير أنه أخذ يُقلّب في قهوته، على الرغم من أنه لم يكن هناك ما يقلبه على الإطلاق، لأنه دائمًا ما يحتسي القهوة دون إضافة لبن.

سألته بعد فترة: "ما الذي يمكنني أن أتخيل؟"

"هل بإمكانكِ أن تتخيلي أن ..." توقّف نيكلاس عن التقليب وقال: "إذًا، أن هـــ... هنا ... لدينا ... إذًا أنه ربما أننا ...؟"

لا، إن ما حدث مساء أمس ليس ما جعله يتلعثم هكذا.

"... إذًا، أنه ربما لدينا هنا ... إذًا ... أننا لم نعد وحدنا هنا؟"

زال التعب عن دانا دفعةً واحدة. ونظرت لوالدها في ذعر.

"كيف؟ لم نعد وحدنا؟" هل عرف شيئًا عن مريم؟

لاحظ نيكلاس نظرتها المذعورة وقال: "ألا تجدين أننا أحيانًا ما يصبح لدينا فراغ بعض الشئ هنا؟"

أصدر هاتفه المحمول صوت صفير. إنها الثامنة إلا ربع. لقد تأخرا مجددًا أكثر مما ينبغي.

عندما جلسا في السيارة غمغم نيكلاس قائلًا: "حسنًا. ربما يكن الوقت ما زال مبكرًا جدًا أيضًا." نظرت إليه دانا بطرف عينها. لا يمكن فهمه اليوم حقًا.

***

وقفت مريم أسفل الدُش. زال اللون الأخضر من شعرها مع تدفق الماء. جعلت مريم الهواء المنبعث من مجفف الأيدي يجفف شعرها. على كل حال كانت هناك ميزة؛ حيث كان تجفيف الشعر القصير يسير على نحوٍ سريع جدًا. تأملت مريم وجهها في قطعة زجاج مكسورة من المرآة. حتى بدون اللون الأخضر في شعرها، ما زالت مريم تبدو مختلفة تمامًا، عن الشكل المنطبع في ذاكرتها.

أخذ هانيبال يتمسَّح بها ويصدر صوت مواء. كان جائعًا، مثلها بالضبط. عندما أغلقت عينيها، رأت أمامها جبلًا من البطاطس المقلية. كان بإمكانها حتى أن تشم رائحتها. كانت والدتها تعدها بنفسها حيث كانت لديها مقلاة. لكن ربما أخذ العاملون بالمطعم المقلاة أيضًا معهم. كادت أن تُصاب بالغثيان بسبب شعورها بالجوع. ما زالت هناك بالتأكيد أربع ساعات متبقية حتى ينتهي اليوم الدراسي.

أغلقت مريم باب غرفة تغيير الملابس بالمفتاح وعلَّقت المفتاح في غرفة التخزين. انبعث من المدرسة صوت كورس عاليًا. أيتها الفرحة، يا شرارةَ الآلهة البديعة13. دندنت معهم مريم بصوتٍ خفيض. لقد تعلمتها مريم أيضًا. لقد تدَّربوا عليها في الفصل استعدادًا لذكرى يوم الوحدة الألمانية.

---

[13] هذه الجملة تمثل مستهل قصيدة "إلى السعادة" أو بالألمانية "An die Freude„ التي ألفها فريدريش فون شيلر عام 1785. (المترجمة)

مرّت مريم على منزلها وأرادت ببساطة أن تواصل المسير سريعًا مثلما فعلت بالضبط مساء أمس. إلا أن ساقيها أصبحتا ثقيلتين كالرصاص. شعور بأن حتى الجوع قد أزيح. مثلما يحدث عندما يريد شخص أن يسبح، لكن هناك أحجار ثقيلة مربوطة في قدميه. كان عليها أن تأمر ساقيها عند اتخاذ كل خطوة مفردة.

أغلقت عينيها.

انفتح باب المنزل. كانت والدتها تقف هناك. "أين كنتِ موجودة لوقتٍ طويل هكذا يا مريم؟ لقد انتابنا قلق بالغ." مدت والدتها ذراعها نحوها.

فتحت مريم عينيها مرّة أخرى. لكن والدتها لم تكن من تقف بالباب. كان يقف به الجار، الذي يسكن في الطابق العلوي. اسمه السيد كونجشتاين أو شئ من هذا القبيل. لقد نظر نحوها.

"هل تبحثين عن شخص ما؟"

حملقت فيه في صمت.

سألها قائلًا: "هل أنتِ صديقة الفتاة الصغيرة، التي كانت تسكن هنا؟"

تمكنت مريم عندئذ من أن تتحرك حركةً واحدة. هزّت رأسها نفيًا وأومأت بها بالإيجاب في الوقت ذاته.

هبط السيد كونجشتاين درجات السلم الثلاثة بخطواتٍ رياضية واثبة. وتحكّم في سيارته بواسطة المفتاح الموجود في يده الممتدة نحو الأمام.

"إنها لم تعد تسكن هنا. لقد ألقوا القبض عليها قبل بضعة أيام."

أصدر قفل السيارة بجوارها صوت طقطقة. دخل إلى سيارته. وجعل زجاج النافذة الجانبية ينخفض إلى أسفل، بينما مرَّ بمريم.

"لقد عادت إلى ألبانيا. صدقيني فيما أقول!" قالها لمريم صائحًا نحو الخارج وجعل زجاج النافذة يرتفع إلى أعلى مرّة أخرى.

أصابها سعال وخرج من رئتها مخاط لزج أخضر اللون. سارت السيارة في الشارع نحو أسفل. أصاب السعال مريم مرّة أخرى بينما كانت السيارة قد اختفت عن الأنظار منذ وقتٍ طويل.

توَجهت مريم في السوبر ماركت نحو ركن عرض السجق والجبن. كانت البائعة الودودة تزن لحم الخنزير والسلامي لزبونة وتفتح بالسكين علاوَة على ذلك شريحة خبز صغيرة، بدا أنها كانت موجودة أمامها عن طريق الصدفة ووضعت قطعة كبيرة من سجق اللحم بين شطري الخبز وناولت مريم الشطيرة الصغيرة من فوق النضد.

تردَّدت مريم في أخذها. فسجق اللحم مُعَّد من لحم الخنزير ولحم الخنزير حرام. لكنها لم تتناول منذ مساء أمس أية طعام. قضمت الشطيرة. كان المذاق المملح البارد لسجق اللحم الطازج ممتزجًا مع الشطيرة. انزلق سجق اللحم والشطيرة في معدتها وانتشر الدفء في بطنها.

تفحَّصت البائعة شعر مريم. وتعرَّفت عليها من جديد بعد أن زال اللون الأخضر من شعرها. "إنها لخسارة أنك قصصتِ شعركِ."

ناولت البائعة الكيس للزبونة وقالت: "هل هناك شئ لا يسير على ما يرام لديكم في المنزل؟ لم أعد أرى والدتكِ منذ وقت طويل."

"إنها ... إنها ..." قالتها مريم بصوتٍ يشبه نعيق الغراب. فنوبة السعال السابقة كانت قد جعلت صوتها مجروحًا. "إنها في المستشفى!"

نظرت إليها البائعة في شفقة. "هل تريدين شطيرة صغيرة أخرى؟"

أومأت مريم برأسها بالإيجاب في صمت.

"أضع لكِ فيها سجق مرّة أخرى أم تفضلين طعامًا آخر؟"

غمغمت مريم قائلَة: "جبن" وذلك على الرغم من أن مذاق سجق اللحم قد أعجبها جدًا في حقيقة الأمر.

غادرت مريم السوبرماركت وخرجت إلى موقف السيارات ومرّت في مسار متعرج عبر السيارات متوجهة إلى حاويات القمامة. فلعلها تجد هناك طعامًا آخر لهانيبال. فتحت الغطاء بالقوة وكتمت أنفاسها. انبعثت رائحة كريهة بصورةٍ مثيرة للتقزز وذلك على الرغم من أن الحاوية كانت شبه خاوية. لم تبلغ مريم الأشياء الموجودة في قاع الحاوية، فقد كانت ذراعاها قصيرتين للغاية. حاولت مريم أن تنظر في الحاوية المجاورة، لكنها لم يكن بها سوى عُلب كرتونية مطوية ومصنوعة من الورق المقوى. لعل لينوس يُحضِر لبنًا معه.

***

عندما أخذ لينوس يفك قفل دراجته بعد الحصة كانت ليوني تقف بجواره. "لقد وقعت دانا في غرام جيريمي!" أعلنتها له ليوني بصوتٍ مشوب بالشماتة.

اعتدل لينوس وقال لها: "هل سألكِ أحد عن هذا؟"

"ألا تصدقني؟" أمسكت ليوني أمام أنفه بالصورة، التي يفتح فيها جيريمي الباب لدانا ويمسكه. كان الجزء العلوي من الصورة شبه مقطوع كما كانت الصورة مهزوزة.

"اه، لكن هذا ليس بدليل."

مسحت ليوني بيدها على شاشة الهاتف المحمول، فظهرت الصورة التالية. كان بها قلب صغير للغاية. جعلت ليوني القلب الصغير يبدو أكبر حجمًا. كان مكتوبًا على أحد جانبي القلب الصغير "جيريمي" وعلى الجانب الآخر "دانا". ابتسمت ليوني للينوس ابتسامةً عريضة في انتصار وقالت: "لقد رَسَمت هذا بالأمس في كراستها."

سحب لينوس دراجته من مكان توقفها وأدار الجزء الأمامي منها بعنف. كان على ليوني أن تقفز جانبًا، وإلا كان لينوس سيصطدم بجانب جسدها. قفز لينوس منتفضًا ووضع قدميه على دواسات الدراجة مغتاظًا.

صاحت ليوني من خلفه في شكوى قائلًة: "أيها الهمجي الأحمق."

سار لينوس بالدراجة مرورًا بالطريق الزراعي، الذي ينعطف مؤديًا إلى غرف تغيير الملابس. شدَّ لينوس جادون الدراجة بحنق ونقل ثقل وزنه إلى

الخلف دون أن ينتبه إلى ذلك بشكلٍ صحيح؛ فارتفعت العجلة الأمامية عاليًا ولكنه لم يستطع أن يحافظ على توازنه. انزلقت العجلة الخلفية أسفل منه. مدَّ لينوس ساقيه وأطلق جادون الدراجة. اصطدمت دواسة الدراجة بعنف في ساقه. تعثَّر لينوس في خطاه وتكوَّم جسده على الأسفلت. أصدر خلفه أحد الفرامل صوت صرير.

سمعت مريم صوت الصرير. انحرفت سيارة حمراء اللون وواصلت السير مُطلِقَة صوت نفيرها. رأت مريم لينوس راقدًا في الشارع والدراجة مزلقة على بعد خمسة أمتار.

انطلقت مريم راكضَة وشعرت بوخز في صدرها.

لم تبطئ مريم من سرعتها، إلا عندما رأت لينوس ينهض معتدلًا.

جلس لينوس على رصيف المشاة. رفعت مريم الدراجة وسندتها على إحدى الأشجار وجلست القرفصاء بجواره.

"كيف أتيت إذًا إلى هنا؟"

سؤال سخيف.

تحسَّس لينوس ساقه المتألمة. ظلا جالسين بجوار بعضهما البعض على رصيف المشاة لفترة من الزمن. دلَّك لينوس سمانة ساقه وحملق شارد الذهن.

"هل شَعَرتُ بالألم؟"

سؤال سخيف أيضًا إلا أن لينوس أجابها عليه.

" قليلًا." نهض لينوس واقفًا وجرب أن يحرك الساق، التي ارتطمت بها دواسة الدراجة. لا بأس. بإمكانه أن يقف عليها. وأن يركض أيضًا.

"تعالي. لندخل. إنه موعد تناول الغذاء."

وقفت دانا أمام غرفة تغيير الملابس وهي تمسك بزجاجة لبن من أجل هانيبال. فتحت مريم غرفة تغيير الملابس. دخل لينوس متجاهلًا دانا وقذف بقدمه بضعة قطع زجاج مكسورة من المرآة جانبًا.

أرسلت مريم لدانا نظرة متسائلة. هزّت دانا كتفيها.

جلسوا على الدكك في الغرفة الكبيرة. أخرج لينوس ودانا شطائرهم ووضعت مريم شطيرتها إلي شطائرهم. لم يتفوه أحد منهم بكلمة. أصدر هانيبال وحده صوت مواء. صبّت دانا له بعض اللبن في الحذاء الرياضي.

أخذ لينوس يتأمل الكدمة، التي أصيب بها في ساقه اليمنى.

صمت.

أخرج لينوس أحد الشطائر ورمق في غضون ذلك دانا بنظرةٍ متجهمة للغاية لدرجة أن مريم تمكنت بالكاد من مواصلة مضغ الطعام وفقَدت دانا شهيتها وذلك قبل أن تبدأ في الحقيقة في تناول أي طعام.

قفز هانيبال على حِجْر مريم. زادت نظرات لينوس والصمت السائد من البرودة الرطبة في غرفة تغيير الملابس. لم يكن أحد منهم في حالته المعهودة سوى هانيبال. دفنت مريم يديها في فرائه.

"ماذا جرى إذًا؟" تساءلت دانا، لكن لينوس اكتفى بأن يلهث بازدراء ومضغ شطيرته بعنفٍ شديد كما لو أن الشطيرة كانت السبب في شعوره بالخنق.

ساد السكون التام في غرفة تبديل الملابس لدرجة أنه كان من الممكن سماع صوت مضغ الطعام.

حاولت مريم أن تكتم السعال لكي يظل هانيبال جالسًا على حجرها. لكنها لم تحتمل صمت لينوس حتى مع جلوس هانيبال على حجرها.

غمغمت مريم قائلَة: "أنتما لستما مضطرين للبقاء هنا، إن كنتما لا تريدان ذلك!" ولم يعد بإمكانها من ثمّ أن توقف السعال. كان السعال قويًا لدرجة أنها اضطرت للذهاب إلى حوض الغسيل وأن تبصق كل ما خرج من فمها. فرَّ هانيبال إلى رف حفظ الحقائب.

عندما عادت مريم، كانت هناك دموع في عينيها. ليس لأنها كانت تبكي ولكن بسبب السعال.

حاولت دانا أن تهدئ مريم قائلَة: "نريد بالطبع أن نبقى هنا." وذلك على الرغم من أن البقاء هنا في غرفة تغيير الملابس الباردة وتحمُّل لينوس لم يكونا بأمرين يسببان السعادة على الإطلاق في تلك اللحظة.

حشر لينوس ما تبقى من شطيرته في فمه ونهض واقفًا. "لكنني لا أريد ذلك. ليست لديّ رغبة في البقاء هنا. هيا بنا نذهب إلى المدينة."

***

11

راوغت شمس شهر نوفمبر بضعة سحب وانعكست في بِرَكْ الماء الموجودة على رصيف المشاة.

ظلت مريم واقفة أمام واجهة العرض، التي تحتوي على الحذاء أخضر اللون. ما زال الحذاء معروضًا هناك وقد انخفض ثمنه فأصبح خمسة وأربعين يورو فقط.

ومن خلفها بدأ لينوس ودانا في الحديث من جديد. كان يتشاجران بسبب العشرة يورو، التي لم يُسدِّدها لينوس بعد، ثم تشاجرا بسبب فتى اسمه جيريمي. كانت مريم تعرفه فقد كان ملتحقًا بالصف الثامن ودائمًا ما تقف بضعة فتيات حوله محيطات به. لقد بدا لها، كما لو أنها لم تذهب إلى المدرسة منذ أبدٍ طويل. أصبح صوتا لينوس ودانا أكثر ارتفاعًا. التفتت مريم إلى كليهما. قالت لهما راجيًة: "توقفا. توقفا من فضلكما عن الشجار." غير أن كليهما لم يتوقفا. كما أنها لم تقل لهما هذا إلا بصوتٍ خفيض جدا. نزلت مريم إلى الشارع ببطء. وأخذت تتأمل قضبان ماسورةَ الصرف في حافة الطريق. لم يكن هناك بين قضبان الماسورة ثمة شئ سوى

اللون الأسود. لقد جذبها اللون الأسود كأنه مغناطيس ضخم. لو لم تكن هناك تلك القضبان لكانت مريم قد اختفت إلى أسفل في الحفرة السوداء ولو كانت ترتدي الحذاء الأخضر لما تبقى منها سواه.

"يا مريم، إلى أين تريدين أن تذهبي؟" وضعت دانا يدها على كتف مريم.

رفعت مريم بصرها. بدا لها وجه دانا للحظة غريبًا. كما لو أنه لم يكن وجه دانا على الإطلاق، بل كان مجرد صورة.

"أتعرفين، سوف نُحضِر لكِ الحذاء الأخضر." كان هذا صوت لينوس.

نزعت دانا يدها عن كتف مريم. "لقد قلت لتوّك أنك ليس معك مال."

"لست بحاجة إلى مال. لقد تناولنا طعام الإفطار بالأمس أيضًا دون الحاجة إلى مال. أليس كذلك يا مريم؟"

احتاجت مريم للحظة لكي تظهر من الحفرة السوداء مرّة أخرى.

ابتسم لها لينوس ابتسامة عريضة: "هل تودين الحذاء؟"

"كيف إذًا؟"

"سوف نستولي على الحذاء."

نستولي عليه؟ ما معني هذا؟ نظرت مريم نحو دانا.

أشارت دانا للينوس إشارة مفادها أن عقله ليس سليمًا. "هل جُننت؟ هذا أمر بالغ الخطورة!"

"مريم تحتاج الحذاء!" أشار لينوس إلى الحذاء المنزلي البلاستيكي المبتل بالماء وقال: "لن يعد بوسعها أن تسير مرتديَة هذا – وإلا ستموت جراء الإصابة بالتهاب رئوي."

تأملت مريم الحذاء المنزلي. لن يستطيع أحدٌ أن يُميِّز لونه إلّا بصعوبةٍ. وازداد اتساع ما به من شق.

أوضحت دانا قائلَة: "لن أشارك في هذا!"

نظر إليها لينوس في احتقار تام. "إذا فلتذهبي وتعزفي بيانو مع جيريمي "صديقك"!"

تناول لينوس يد مريم. كانت مريم مترددة لكنها تركته بعد ذلك يجذبها معه. ظلت دانا واقفة للحظة.

غمغمت دانا قائلَة: "يا له من أبله." لكنها ركضت من ثمّ خلف الاثنين. لا يمكنها أن تترك مريم وحدها مع شخص أحمق كهذا.

***

انتظروا عند قاعدة السلالم المتحركة حتى يصعد زبائن آخرون إلى قسم المستلزمات الرياضية. كانت هناك أم مكتنزة الجسد وقصيرة القامة ومعها كيكات تفاح أحمر اللون وبصحبتها ابنتها مكتنزة الجسد وقصيرة القامة ومعها مثل تلك الكيكات بالضبط. كانتا تجلسان على كراسي وثيرة

صغيرة ومنخفضة. أسرعت إحدى البائعات متوجهة نحوهما بينما كانت الأخرى منشغلة مع فتى ذي شعر مصبوغ باللون الأشقر.

كانت مريم ودانا تقلبان بصريهما في السترات الصوفية. وواصلت دانا مسيرها نحو بدلات أداء التمارين الرياضية. مرّت على السلالم المتحركة، التي تؤدي من جديد إلى أسفل. هل ينبغي عليها ببساطة أن تهبط إلى أسفل وأن تتجه ببساطة إلى المنزل وأن تنسى ببساطة ما يريد لينوس أن يفعله هنا؟

راقبت مريم لينوس من خلال الرف، الذي يضم السترات الصوفية. كان مستقرًا كذلك في أحد الكراسي الوثيرة الصغيرة.

"أود أن أجرب الحذاء الأخضر المعروض في واجهة العرض!" تمتمت مريم بالجملة بينها وبين نفسها لكي لا تتلعثم على الفور عندما تنطقها.

انتظر لينوس في صبر حتى انتبهت إحدى البائعتين المنطلقتين سريعًا هنا وهناك إلى وجوده. "هل من الممكن من فضلك أن أجرب حذاء كرة السلة أبيض اللون. مقاس 40 أو 41."

اختفت البائعة في المخزن.

أشار لينوس إلى مريم إشارة ما. ما زالت دانا واقفة إلى حامل الملابس بجوار السلالم المتحركة. فرصتها الأخيرة أن تهبط ببساطة إلى أسفل وتختفي. سمعت صوت سعال مريم خلف الرف.

أحضرت البائعة للينوس حذاء كرة السلة مقاس 40.

فمقاس 41 لم يكن متوافرًا في ذلك الوقت.

استجمعت دانا كل شجاعتها وتركت ما وفرّه لها الاحتماء ببدلات أداء التمارين الرياضية وجلست بعيدًا عن لينوس.

توجهت البائعة الأخرى نحوها. ماذا عليها أن تقول الآن؟ إنها لم تفكر على الإطلاق في أي حذاء تود أن تجرب. ومن خلفها كان هناك ذلك الشعور المزعج بأن هناك من يراقبها فيما كانت تفعل لتوها.

ابتسمت لها البائعة بشكلٍ محترف.

"هل بإمكاني مساعدتك؟"

أومأت دانا برأسها بالإيجاب. ونظرت للينوس في ارتباك.

كان لينوس منشغلًا بفتل رباط الحذاء في الحذاء الطويل.

كان الأمر أسوأ بكثير مما يحدث عندما يتم نداء اسم التلميذ في المدرسة ولا يكن على دراية بأي شئ. كان فمها جافًا تمامًا. وفي الوقت ذاته ارتفعت حرارة وجهها على الرغم من أن أصابع يدها كانت باردة كالثلج.

"أيتها الآنسة الصغيرة. ليس لديّ متسع من الوقت للأبد. أنت ترين ماذا يدور هنا!"

آنسة صغيرة؟؟؟ نظرت للبائعة في غيظ.

"الحذاء الرياضي!" قالتها لاهثة في حنق.

"عفوا. ماذا تريدين؟" انحنت البائعة بأذنها إلى الأسفل نحو دانا.

هل هي ثقيلة السمع؟

كررت دانا قولها: "حذاء رياضي!"

"أي مقاس تريدين؟"

"37 أو 38"

"واللون؟"

"لا أدري. أريد أن أجرب هذا الآن."

تنهدت البائعة في رقة.

"هل هناك ربما لون ما تفضلينه؟ وردي أو أزرق فاتح أو شئ من هذا القبيل. وإلا سنجلس هنا حتى الصباح الباكر حتى تنتهين من تجربة كل الألوان."

هزت دانا رأسها بالنفي متجردةً من أي رحمة.

تنهدت البائعة بعمق وهرولت إلى المخزن.

تسللت مريم مرورًا بالرف وجلست بعيدة قدر الإمكان عن لينوس ودانا. هرولت البائعة المصاحبة لدانا ومرّت بمريم. نظرت مريم إلى لينوس بطرف عينها، لكنه كان يتعمد النظر إلى إتجاه آخر. غمغمت مريم قائلَة: " أيها الأصدقاء، يا شرارةَ الآلهة البديعة". لم يكن صوتها عاليًا لحسن الحظ. كيف اعترضت تلك الأغنية السخيفة سبيلها آنذاك.

"أود أن أجرب الحذاء الأخضر المعروض في واجهة العرض!"

قالت الجملة بصوتٍ عالٍ وواضح ولم يصبها السعال منذ عشر دقائق على الأقل.

"أي مقاس؟" استفسرت البائعة الأولى موجهة سؤالها باتجاه مريم ووضعت عُلبتين من الكرتون أمام دانا. دعت البائعة دانا قائلةً: "فلتجربي الآن. هل تحتاجين المقاس 37 أم 38؟"

أبدت مريم ملاحظةً بقولها: "لديَّ مقاس 39."

حاول لينوس أن يحشر قدميه في حذاء كرة السلة.

عبثت دانا بالورق الموجود داخل حذائها وأخرجته. وضعت إحدى البائعات عُلبة كرتونية أمام مريم.

طلب لينوس لبيسة تساعده على ارتداء الحذاء.

رفعت مريم الغطاء بحذر وأزاحت الورق جانبًا. كان الحذاء موجودًا هناك وكان يبدو بالضبط تمامًا مثل الحذاء ، الذي رأته في حلمها.

أخذت دانا تتحرك جيئة وذهابًا أمام المرآة بزوج حذاءٍ رياضي لونه وردي غامق. تابعتها نظرة الفتاة مكتنزة القوام في إعجاب.

سألتها البائعة: "هل المقاس مناسب؟"

أومأت دانا برأسها بالإيجاب، إلا أن اللون لم يكن يروق لها. "هل هذا الحذاء متاح أيضًا باللون الأصفر؟"

وذت مريم أن تدخل قدمها في الحذاء الأخضر واصطدمت أصابع قدميها في الورق الموجود في تجويف الحذاء. أخرجت مريم الورق سريعًا من الحذاء وسحبت رباط الحذاء عبر الثقوب المخصصة له.

حشر لينوس قدمه في حذاء كرة السلة. كان الحذاء ضيقًا للغاية بكل تأكيد.

نصحته البائعة المصاحبة له قائلًة: "فلتأخذ حذاءًا من علامة تجارية أخرى. هناك مقاس 41 من هذا الحذاء المعروض هناك."

بدا لينوس متدبرًا الأمر. حاولت البائعة إقناعه بقولها: "التجربة لن تكلفك شيئًا."

"حسنًا." أومأ لينوس برأسه بالإيجاب.

ارتدت مريم الحذاء في خفة وسهولة. كان الحذاء كبيرًا بعض الشئ لكنه كان مناسبًا بالضبط لارتداء زوجين من الجوارب معًا عند ارتدائه.

نهضت مريم. نظرت نظرة سريعة للينوس.

"انصرفي!!!" كان من الممكن قراءة تلك الكلمة في عينيه.

اتجهت مريم ببطء نحو السلالم المتحركة. لقد شدّد عليها لينوس بهذا من قبل.

لا ينبغي عليها بأي حال من الأحوال أن تركض.

بلغت مريم السلالم المتحركة.

فتحت دانا العُلبة الكرتونية، التي أحضرتها لها البائعة المصاحبة لها. اختفت مريم في الطابق السفلي.

"لون هذا الحذاء ليس أصفر، بل أمغر14." قالتها دانا متبيّنة الأمر. كان صوتها مهتزًا بعض الشيء.

قالت البائعة مدعيّة: "اللون الأمغر هو الموضة الآن."

"اللون الأمغر واللون البني المائل للحمرة واللون الأخضر. هذه هي ألوان الموضة في العام القادم." وفي أثناء ذلك أخذت البائعة تجول ببصرها في الغرفة نحو الكرسي الوثير الصغير، الذي كانت تجلس مريم عليه فيما قبل.

أرادت دانا أن تقول شيئًا ما غير أن فمها أصبح عندئذ جافًا مرة أخرى وأصبحت يداها باردتين كالثلج.

أخرج لينوس من العُلبة الكرتونية الحذاء الذي أحضرته له البائعة. "مقاس هذا الحذاء كبير للغاية!" قالها لينوس محاولًا أن يوجّه الانتباه إليه.

لاحظت البائعة أن هناك شئ ما غير مضبوط. إلا أن عقلها لم يدرك بعد، ما هو.

انتقلت البائعة ببصرها من لينوس إلى مقعد مريم الخاوي وإلى العُلبة الكرتونية الفارغة، التي كان يوجد بجوارها زوج من حذاء الكروكس

---

[14] اللون الأمغر لون يجمع بين اللون الأصفر واللون البني. (المترجمة)

متسخ ولونه ليلكي. قلّبت بصرها باحثة في اتجاه المرآة المتواجدة وحدها على الأرض المُرصّعة رمادية اللون. تنسّمت البائعة الهواء. بدا شعرها القصير منتصبًا في وضع رأسي مثل أشواك قنفذ. وأطلقت بعدها صيحة حادة. وفي فزع تركت البائعة الأخرى الحذاء يسقط، والذي أرادت لتوها أن تناوله للفتاة مكتنزة القوام. نجت الفتاة بنفسها متوارية خلف ظهر والدتها.

خلعت دانا بعجلة الحذاء الرياضي ذا اللون الوردي الغامق وارتدت حذائها مرّة أخرى. فلتركض بأسرع ما تستطيع. لم تفلح في الالتزام بأمر لينوس لها بألا تنطلق راكضة بأي حالٍ من الأحوال. انتفضت دانا واثبة. نشبت إحدي البائعات أظافر يدها في ذراع دانا. حاولت دانا أن تتحرر منها. أمسكت بها البائعة بإحكام.

ظل لينوس جالسًا على مقعده الوثير الصغير كما لو أن الأمر برمته لا يخصه.

***

وصلت مريم إلى بوابة الخروج. تردّد بقوة في ذهنها أن عليها السير ببطء وألا تلتفت إلى الخلف. جذبت الباب لتفتحه. هبَّ قبالتها بقوة الهواء الخريفي البارد. عليها أن تتنفس بعمق شهيقًا وزفيرًا وتسير ببطء وألا تلتفت إلى الخلف. الباب من خلفها. عليها أن تسير ببطء وألا تلتفت إلى الخلف. حتى وإن كانت بالخارج. اجتازت عشر خطواتٍ أخرى ومن ثمّ انطلقت راكضة. وبارتدائها لهذا الحذاء لم تعد مضطرة لأنْ تنتبه في كل خطوة حتى لا تفقده. انتابها شعور كأنها تطير مُحلّقة.

وقف رئيس قسم المستلزمات الرياضية أمام لينوس ودانا. كان رجلًا ذا شعرٍ مصفف بالفرشاة ويرتدي نظارة ذات إطار أحمر اللون. نظرت دانا إلى لينوس بطرف عينها. لم تكن على يقين تام. تنفَّس لينوس بعمق شهيقًا وزفيرًا.

روت إحدى البائعات قائلَة: "لقد دخل فتى إلى هنا."

اعترضت البائعة الأخرى حديثها قائلَة: "لا، لقد كانت فتاة." وأضافت: "وهذه الفتاة دخلت مع هذين البلطجيين." وأشارت بإصبع السبَّابة الممتد إلى دانا ولينوس.

"لا، هذا غير صحيح!" جرؤت الفتاة مكتنزة القوام على الظهور مرَّة أخرى من خلف والدها. أشارت إلى دانا وقالت: "لقد جاءت وحدها تمامًا. مضبوط يا ماما. أليس كذلك؟" أومأت والدتها برأسها بالإيجاب وصدَّقت على حديث الفتاة قائلَة: "لقد تعجبت من أن الأطفال جميعًا جاءوا إلى هنا بمفردهم تمامًا لكي يشتروا أحذية."

أقرت البائعة قائلَة: "ربما يكونوا قد دخلوا كل منهم على حدة. لكن الفتاة، التي سرقت الحذاء، تآمرت معهم هنا. أنا متأكدة من هذا!"

تداخلت البائعة الأخرى في الحديث قائلَة: "لقد كان فتى. كان شعره قصيرًا للغاية."

خاطبت البائعة ذات الشعر القصير زميلتها بصوت كالنباح قائلَة: "الفتيات أيضًا في أيامنا هذه يكن شعرهن قصيرًا."

دافعت البائعة الأخرى عن رأيها قائلَة: "لكن ليس قصيرًا جدًا هكذا!"

مريم

نهض لينوس واقفًا.

قال له رئيس القسم بصوتٍ آمرٍ عالٍ: "اجلس!"

ظل لينوس واقفًا.

اتجه رئيس القسم نحو دانا.

"هل تعرفي الفتى أو الفتاة، التي سرقت الحذاء؟"

هزت دانا رأسها بالنفي في صمت.

استفسر رئيس القسم من لينوس: "وأنتَ؟"

هزّ لينوس كتفيه. "أي فتاة؟"

وقف رئيس القسم أمام لينوس مباعدًا بين ساقيه. "لا تكن غبيًا هكذا!"

طوّق لينوس ذراعيه أمام صدره. "أنا لم أرتكب خطأً. لقد قمت بقياس حذاءٍ فقط! وأريد الآن أن أذهب إلى المنزل!"

توجّه رئيس القسم بحديثه إلى دانا قائلًا علي سبيل التحقق: "و بالطبع أنتِ أيضًا لم تفعلي سوي قياس حذاء فقط!" أومأت دانا برأسها بالإيجاب. جاءت إيماءة رأسها جيدة جدًا مرّة أخرى.

استعصى عليها فهم كيف تمكن لينوس من أن يتلفظ بكلام.

"حسنًا، إذًا سنحتاج أن نخبر آبائكم بذلك!"

***

جلست دانا ولينوس في مكتب رئيس القسم. وأمامه جلس نيكلاس بينما كان معطف كاترين الليلكي موضوعًا على كرسي ثاني.

وضع نيكلاس هاتفًا محمولًا على قرص المكتب اللامع وفتح خاصية التسجيل. وتساءل في أدب: "أيجوز لي ...؟"

أومأ رئيس القسم برأسه في سماحة وقال: "تفضل تفضل!"

دخلت كاترين مسرعَة وهي تلهث بعض الشئ. ابتسمت إلى رئيس القسم ابتسامة اعتذار. ردَّ لها رئيس القسم الابتسامة رغم جدية الموقف. ثم جعل فيديو كاميرات المراقبة يدور.

ظهرت في بادئ الأمر الأم مكتنزة القوام وابنتها مكتنزة القوام ثم ظهر لينوس جالسًا ولاحقًا ظهرت دانا. ثم عبرت سترة تزلج ثقيلة زرقاء اللون الغرفة.

كتم لينوس أنفاسه وأغمضت دانا عينيها.

كان رأس مريم مختفيًا في سترة التزلج. جلست سترة التزلج إلا أن الكرسي الوثير الصغير كان خارج إطار الصورة. لم يظهر في الصورة سوى جزء من السترة ورجلا البنطلون. كان أحد رجلي البنطلون به شقّ أعلى الركبة. كما ظهر الحذاء المنزلي البلاستيكي المتسخ ليلكي اللون. وبعد ذلك بوقتٍ قليل ظهرت السترة من الخلف وفي قدم من يرتديها حذاء وأخذ يسير في اتجاه السلالم المتحركة.

أوضح رئيس القسم الأمر لنيكلاس وكاترين قائلًا: "من المؤسف أن هذه ليست بالجريمة البسيطة. إنه حذاء من علامة تجارية مسجلة، تبلغ تكلفته عند الشراء قرابة أربعين يورو."

تساءل لينوس في رزانة: "هل تعلم أن ما لا يقل عن عشرين بالمئة من جميع السلع ذات العلامات التجارية المسجلة يتم تزييفها؟"

استدار رئيس القسم نحوه بعنف شديد لدرجة أن نظارته، التي كان يرتديها، سقطت إلى أسفل أمام قدمي لينوس مباشرةً. التقطها لينوس وأعادها في أدب لرئيس القسم. وأضاف لينوس: "النظارات ... البنطلونات الجينز ... والأحذية أيضًا. وفي بعض الأحيان أيضًا يتم حتى بيعها بعد ذلك في المتاجر الكبرى. وعليها شعار علامة تجارية يكاد يكون أصلي."

تنحنح رئيس القسم كما لو أنه يود أن يرد بشيء ما. إلا أنه ظل صامتًا.

نظرت كاترين ونيكلاس إلى لينوس في اضطراب.

قال نيكلاس ختامًا: "إذًا، فلنوجز الأمر مرّة أخرى." وأضاف: "أولًا: لقد سرق فتى أو فتاة حذاء أخضر اللون. ثانيًا: ابنتي وابنك." قالها وأشار باتجاه كاترين وأردف: "بقيا في الوقت ذاته عن طريق الصدفة في الغرفة ذاتها، التي تمت سرقة الحذاء فيها. وثالثًا: فإنك قد استنتجت من هذا التشابه الزماني والمكاني، الذي وقع عن طريق الصدفة، أن أبنائنا مشاركان في سرقة الحذاء. هل ما فهمته صحيح؟"

أومأ رئيس القسم برأسه في عصبية.

سألته كاترين: "هل لديك إذًا أي دليل على هذا؟"

هزَّ رئيس القسم كتفيه في حيرة قائلًا: "اممم، إذًا ربما ..."

قال نيكلاس متحققًا: "أي أنه ليس لديك دليل!"

غمغم رئيس القسم قائلًا: "ربما أكن قد تسرعت قليلًا في الشك في أبنائكما. هذا يؤسفني حقًا."

نهض نيكلاس واقفًا وقال: "أجل. فلتسمح لنا إذًا أن ننصرف."

نهضت كاترين كذلك واقفةً وتبعهما لينوس ودانا.

عندما مرَّ لينوس على رئيس القسم، نظر إليه سريعًا مرّة أخرى. هكذا، كأنه كان يريد أن يضيف شيئًا آخر هامًا، لكنه ترك الأمور تسير كما هي. أومأ رئيس القسم برأسه بالإيجاب في ودٍ بارد.

عندما أصبحوا بالخارج، أراد نيكلاس أن يعرف كيف خطر ببال دانا أن تشتري حذاءًا بمفردها ومن أين لها المال اللازم لذلك.

أرادت كاترين أيضًا أن تعرف الأمر ذاته من لينوس.

فكَّر لينوس لوهلة في أن يوضح لوالدته أمر الحذاء المُزيَّف. ولكن عندئذ سيكون مضطرًا لأن يخون مريم. لقد أصبح الأمر آنذاك في غاية التعقيد.

"كنت أريد فقط أن أقيس الحذاء. فعلى كل حال أنا بحاجة في القريب العاجل إلى حذاء جديد."

لحقت دانا بلينوس بسرعة وقالت: "وأنا ذهبت معه."

جلسوا جميعًا في سيارة نيكلاس. أراد نيكلاس أن يوصل كاترين إلى الحانة الصغيرة. فقد كان لزامًا عليها أن تبدأ عملها قبل ساعة بالفعل.

"لكن ألا تعرفان حقًا الفتى أو الفتاة، التي سرقت الحذاء؟"

هزّ لينوس رأسه بالنفي وكذلك دانا.

استعلم نيكلاس: "هل لديه أو لديها من قبيل الصدفة خصلة شعر خضراء اللون؟"

قال لينوس: "لا أدري. لم أدقق في النظر على هذا النحو."

أبدت كاترين ملاحظَة بقولها: "لقد قالت السيدة فيشر بالأمس في اجتماع الآباء أنه لا يوجد لديكم في الفصل فتى اسمه ريكي."

توقّف نيكلاس أمام إشارة المرور حمراء اللون.

اجتاز أمامهم عاشقان يتعانقان بشدة الخطوط البيضاء والسوداء المخصصة لعبور المارة في الشارع.

"إنه ليس في فصلنا، بل في فصلٍ آخر بنفس الصف الدراسي." سبق وأن قال هذا لوالدته بالأمس أيضًا.

زمجر نيكلاس قائلًا: "فصل آخر بنفس الصف الدراسي!"

صوَّب لينوس بصره نحو دانا.

ربما كان بإمكانها عندئذ أن تتولى الدفاع. كان لزامًا عليهما أن يبديان أي تفسير للأمر.

لم تستطع. إنها لم تسمع على الإطلاق ما قاله نيكلاس. فقد كانت تُحدّق في العشيقين، اللذان يعبران الشارع بصعوبة من فرط العناق والتقبيل.

إنه جيريمي!

جيريمي والفتاة الشقراء كبيرة السن، التي تدرس في الصف السابع. أرادت دانا أن تصرف نظرها بعيدًا، لكن هذا كان غير ممكن. كان عليها أن ترى كيف كاد الاثنان أن يتسللان إلى داخل بعضهما البعض. تحوّل لون إشارة المرور إلى اللون الأخضر. لم يصل كلا العاشقين بعد إلى رصيف المشاة. كبح نيكلاس جماح السيارة في هوادة. رفع جيريمي بصره وابتسم لنيكلاس معتذرًا وجذب المرأة الشقراء إلى حافة الطريق من أجل فقط أن يستغرق معها في العناق والتقبيل من جديد.

نظرت كاترين إلى الهاتف المحمول بطرف عينها في عصبية.

أطلقت السيارات من خلفهم صوت نفير. انطلق نيكلاس بالسيارة.

"كاترين، فلتقولي شيئًا!"

كاترين؟ هل يتحادثان بصيغة غير رسمية؟ إذًا فهو لم يخطئ السمع مؤخرًا. أراد لينوس أن يتحقق من دانا، هل فطنت إلى ذلك الأمر أيضًا. إلا أن دانا كانت تحدق بالخارج، كما لو أنها كانت ترى لورد فولدمورت[15] يمر هناك. كان وجهها شاحبًا للغاية.

---

[15] لورد فولدمورت: شخصية خيالية من شخصيات سلسلة هاري بوتر الشهيرة. (المترجمة)

مريم

توّقف نيكلاس أمام "إيشت تسايت".

نزلت كاترين من السيارة. وقالت على سبيل الاقتراح: "دعنا غدًا نناقش هذا الأمر جميعًا. بعد ظهر الغد لديّ إجازة من العمل."

وقبل أن تترك باب السيارة ينغلق، رجت نيكلاس قائلَة: "هل من الممكن أن توصل لينوس إلى شقيقي؟"

تأوه لينوس استنكارًا. "لكنني ليس معي على الإطلاق الأغراض الخاصة بالمدرسة."

"سوف ندبر هذا الأمر بشكلٍ أو آخر غدًا في الصباح الباكر. لكنني لا أود بأي حال من الأحوال أن تبقى بمفردك مساء اليوم."

"أين يسكن إذًا شقيقك؟"

"في رقم 17 شارع أكاتسين." لاحظ لينوس كيف ابتسمت والدته لوالد دانا. كانت ابتسامتها له مختلفَة تمامًا عن ابتسامتها لرئيس القسم منذ قليل.

"شكرًا." انغلق باب السيارة. أسرعت كاترين منصرفة.

التفت نيكلاس نحو لينوس ودانا. "فلتنتبها. كلاكما! أود أن اتعرّف غدًا على ريكي هذا." جلست دانا هناك كأنها تمثال. ركلها لينوس بحذائه. كان بإمكانها عندئذ أن تقول أخيرًا شيئًا ما؛ ففي ختام الأمر هذا والدها.

زمجر نيكلاس قائلًا: "فصل آخر بنفس الصف الدراسي. يا للألم غدًا سوف يحكي أحدهم لي قصة سخيفة مثل هذه."

***

12

"عليكِ الآن أن تثبتي رأسكِ على الفور في هذا الاتجاه وأن تستنشقي الهواء. هواءًا ساخنًا قدر استطاعتك."

انحنت مريم فوق الدلو بإذعان. تصاعد البخار الساخن من القِدر ونشر الرائحة الطيبة للزعتر والكافور والنعناع.

وضعت دانا على رأس مريم الملاءة المطوية من المنتصف.

قال لينوس هامسًا: "هل يجب أن ترحل مريم عن هنا بأسرع ما يمكن؟"

انحنت دانا إلى مريم نحو الأسفل وأوضحت الأمر لمريم قائلةً: "والدي يريد أن يتعرّف عليكِ. يريد أن يدعونا جميعًا لتناول الطعام." وأضافت: "ينبغي أن نذهب في الساعة الرابعة إلى مطعم، يسمى سكاي كالايا."

ارتفعت الملاءة ذات اللون الأزرق الفاتح عاليًا. استطاعت دانا أن تحمي رأسها.

"إلى سكاي كالايا ...؟"

اختنق صوت مريم بسبب نوبة سعال.

"إنه مطعم تركي أو شئ من هذا القبيل. في الساعة الرابعة أيضًا سوف ..." استرقت دانا السمع نحو الخارج. هل كان هناك صوت ضجيج؟ وأتمت دانا جملتها بقولها: "... نتناول طعامًا دافئًا، حسبما قال والدي."

لقد كان هذا صوت ضجيج! صوت خطوات، مثل صوت شخص ما يتسلل فوق منصة خشبية.

السيد كارله! لقد كان لينوس محقًا.

كانت دانا تعرف أن هذا أمر غبي، لكنها لم تكن تستطيع فعل شئ آخر. كانت ساقاها تتحركان من تلقاء نفسيهما. ركضت دانا نحو المرحاض وأغلقت المزلاج.

أسرع لينوس الخُطى نحو الباب. كان المفتاح موضوعًا في الباب من الداخل.

أصبح المفتاح بين أصابعه. انفتح الباب سريعًا. ذهب لينوس للاحتماء. دقّ صوت الخطوات عبر الدهليز الصغير. ليس هذا السيد كارله. اندفعت ثلاث فتيات راكضات نحو غرف تغيير الملابس.

"دانا وجيريمي! دانا وجيريمي!" كان صوت يشبه عواء مئة من عشاق كرة القدم في ستاد ساوث بانك.

تأوهت دانا استنكارًا. ليوني!! فتحت في حنق مزلاج الباب مرّة أخرى ورأت كيف اختفت ليوني في غرفة تغيير الملابس. وتبعتها التوأمتان هيلينا وإيلينا.

"دانا وجيريمي! دانا وجيريمي!"

كانت ليوني تقف بالفعل أمام الملاءة ذات اللون الأزرق السماوي. انتزعت ليوني الملاءة بإحدى يديها والتقطت باليد الأخرى صورة بهاتفها المحمول.

اعتدلت مريم ووجهها مبتل بالعرق ولونه أحمر صارخ. أغلقت ليوني فمها وحدّقت فيها مذهولَة.

"ما هذا إذًا؟"

حتى هيلينا عجزت عن الكلام. صدر عن إيلينا وحدها كلمة "... جيريمي ..." بصوتٍ خفيض.

دفعت دانا بجسدها أمام مريم لكي لا يعد بمقدور ليوني أن تلتقط أي صور لها. أخذت ليوني ترقص من حولهما وحاولت أن تتخذ موضع التقاط الصور من جديد بالهاتف المحمول، الذي حملته في يدها الممتدة. مدّت دانا يدها نحو ذراع ليوني في غضب. دفعتها ليوني جانبًا وغرست إصبع السبّابَة في عين دانا. هوت دانا على الأرض واصطدمت رأسها بإحدى الدكك الخشبية. لم يعد هناك ما يعيق النظر نحو مريم. تك، تك، تك. التقطت لها ليوني مجموعة كاملة من الصور المتتابعة.

وقفت إيلينا وهيلينا على يمين مريم ويسارها. صوبتا أعينهما خضراء اللون كأنها أربعة كشافات موضعية صغيرة علي مريم.

قالت إيلينا مكتشفةً: "إنها مريم!"

خالفتها هيلينا في الرأي: "ليست هي! لقد كان شعر مريم طويلًا!"

جذبت مريم الملاءة فوق رأسها.

قامت دانا وألقت بنفسها على ليوني؛ فانزلق الهاتف المحمول على الأرض أسفل إحدى الخزانات. صاحت ليوني: "لو انكسر الهاتف المحمول فعليكِ أن تدفعي ثمنه لي." ومن الفزع انطلقت دانا بعيدًا . إن ثمنه أكثر من خمسمائة يورو! زحفت ليوني أسفل الدولاب المعدني إلا أن لينوس سبقها في ذلك والتقط الهاتف المحمول على نحوٍ خاطف. لم ينكسر الهاتف المحمول.

كانت الصورة الأخيرة ساطعة على شاشة الهاتف المحمول. فرَّ لينوس من ليوني على الدكة الخشبية. حاولت ليوني أن تصل لهاتفها المحمول، فأمسكت بها دانا بإحكام. حرّك لينوس إصبع السبَّابة على شاشة الهاتف المحمول، التي تعمل باللمس. أخذ صوت خفيض مثل زقزقة العصافير ينبعث من الهاتف المحمول على فتراتٍ زمنية قصيرة.

قالت ليوني ثائرَة بصوتٍ كالفحيح: "سأقول هذا لوالديّ.". لم يسمح لها لينوس بتشويش انتباهه.

رجته دانا قائلةً: "هل من الممكن أن تمحو صورة القلب وجيريمي؟"

أعاد لينوس التصفح في الهاتف المحمول بإصبعه. وبضغطةٍ قصيرة محى صورة القلب.

حاولت إيلينا أن تجذب الملاءة من فوق رأس مريم. تشبثت بها مريم. أصرَّت إيلينا على قولها: إنها هي. لكنها قصت شعرها فقط!"

أصيبت مريم بالسعال. لم يكن العلاج بالاستنشاق مجديًا. كان صدرها يؤلمها أم أن ما يؤلمها قلبها؟ شعرت فجأة بإنهاك على نحوٍ مخيف. إنهاك لدرجة أنها أصبحت أضعف من أن تتشبث بالملاءة. ربما لأنها لم تكد تنم ليلًا. فكانت تظن عند سماع أي صوت جلبة أن الشخص الموجود في المغسلة أو الشخص ذو الشعر المصفف بالفرشاة أو السيد كارله أو الشرطة قد عثروا عليها هنا في غرفة تغيير الملابس.

"ولماذا قصت شعرها؟"

"حسنًا لماذا؟" شخص لينوس ببصره نحو هيلينا في احتقار.

همهمت هيلينا: "لكنها تبدو سخيفة."

نهضت مريم واقفةً وغادرت الغرفة وهي تسعل. قفز هانيبال، الذي ظل مقرفصًا طوال الوقت بالأعلى في رف حفظ الحقائب، إلى أسفل، واختفيا سويًا في المرحاض. دفعت مريم المزلاج أمام الباب. قفز هانيبال على حجرها. دفنت مريم يدها في فرائه. أصدر هانيبال صوت قرقرة.

سارت دانا خلف مريم.

"يا مريم، لا تغضبي منهما. أنتِ تعرفين أن التوأمتين غبيتان."

غمغمت مريم لهانيبال نحو أسفل: "أود أن أنام مئة عام."

***

راجع لينوس مرّة أخرى، هل محى جميع صور مريم وأعاد التصفح في معرض الصور بالهاتف المحمول قليلًا.

"رائع، ما هذا إذًا؟"

أوضحت له ليوني بأسلوبٍ جاف: "علبة كرتونية تحمل شعارات شركة أديداس."

استمر لينوس في إعادة التصفح في معرض الصور. حقيبة إحدى السيارات. في حقيبة السيارة توجد عُلبة كرتونية من الورق المقوى وقد انزلق غطائها جانبًا. كانت العُلبة الكرتونية ممتلئة بملصقات شركات "نايكي" و"بوما" و"أديداس" من مختلف المقاسات والأشكال. تعجب لينوس من الأمر.

"ياللهول. ويحك. يا له من جنون!" واصل لينوس تصفح الصور. ظهرت على الشاشة بالفعل صور للسيد كارله، بينما كان يتناول بعض العُلب الكرتونية من سيارته التي كانت من طراز كومبي ويحملها إلى غرفة تغيير الملابس.

"ومتى التقطتِ هذه الصور؟"

هزّت ليوني كتفيها. "بالأمس، عندما لم تكونوا هنا. هنا أمام غرفة تغيير الملابس."

"هل رآكِ؟"

لا يمكن أن تكن هناك نظرة أكثر احتقارًا من نظرة ليوني له عندئذ. تجمّعت دانا وإيلينا وهيلينا حول لينوس.

"ما حاجة كارله هذا إلى مثل تلك الملصقات؟"

"وإلى ملصقات كثيرة هكذا؟"

نظر لينوس إلى ليوني في ابتهاج.

"إنها أفضل صور التقطتيها."

لم تستطع ليوني أن تشارك لينوس الشعور بالحماس وكذلك هيلينا وإيلينا بكل تأكيد.

"ما رأيكم إذًا؟ ماذا يفعل السيد كارله بهذه الملصقات؟" بدا لينوس مثل السيدة فيشر عندما تستعلم عن الواجبات المنزلية.

"لا أدري!"

"فيما يحتاج الناس شعارات العلامات التجارية؟"

أخيرًا اتضح الأمر لليوني.

"من أجل السلع ذات العلامات التجارية المسجلة."

"لكن يمكن لصق تلك الشعارات أيضًا على السلع، التي لا تنتمي لعلامات تجارية مسجلة على الإطلاق! وهو ما يفعله السيد كارله. هنا بالجوار في غرفة تغيير الملابس. إنه يشتري من مكان ما أحذية رخيصة مصنوعة في الصين أو ما شابه ويلصق عليها من ثمَّ شعارات العلامات التجارية وتصبح بعد ذلك بمثابة أحذية ذات علامات تجارية مسجلة."

نقرت ليوني على جبهتها. "مفهوم، وربما تكن قد سطوت صباح اليوم على أحد البنوك من جديد."

صدَّقت دانا على هذا القول: "فعلا حقيقة. ما يقوله لينوس صحيح."

"نحن نعرف الشخص الذي يأخذها منه."

أعطي لينوس لليوني هاتفها المحمول مرّة أخرى.

"لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تمسحي الصورة فعن طريقها سنلقي القبض على كارله هذا."

"لن يقول المدعو كارله هذا مرّة أخرى أبدًا أن مريم أجنبية مجرمة."

طرقت دانا على باب المرحاض. يجب عليهم أن ينصرفوا.

همست مريم قائلَة: "أنا منهكة جدًا. أريد الذهاب إلى المنزل."

استفسرت ليوني: "ماذا قالت؟"

"إنها منهكة وتريد الذهاب إلى المنزل."

استعلمت إيلينا قائلةً: "المترل. هل تقصد هنا أم المكان الذي يطلق عليه تروبوشيًا ما؟"

***

وصل لينوس ودانا إلى مطعم "سكاي كالايا" لاهثين بشدة.

بالطبع كانت كاترين ونيكلاس متواجدين بالفعل هناك وكانا يجلسان خلف زجاجات المياه المعدنية الخاصة بهما وترتسم على وجوههم ملامح عتاب.

في الجناح الجانبي الضيق من المطعم كانت هناك من جديد مجموعة من الأشخاص المحتفلين والجالسين إلى المائدة الطويلة. كانوا هذه المرة مشيعون جاءوا في تلك الأثناء لتناول الحلوى. تدافع النادلون مرورًا بالكراسي وحاملين طبقين ممتلئين بالقطائف الحلوة.

أشار نيكلاس بإصبع السبّابة إلى ساعته. لقد جاءوا متأخرين ربع ساعة.

تساءلت كاترين: "أين ريكي؟"

احتاجت دانا بعض الوقت لكي تلتقط أنفاسها من جديد. سيجد والدها حلًا. ربما أيضًا حلًا لأمر السيد كارله.

انتظر نيكلاس وكاترين بفارغ الصبر حتى استطاعت دانا أخيرًا أن تتحدث.

"حسنًا ريكي .. إنه حسنًا.. إنه لا يستطيع أن يأتي."

توقّفت دانا عن الكلام.

أخذت أصابع نيكلاس تنقر في غضب على المائدة.

تلمّست كاترين نظرة لينوس لكنه كان منشغلًا في التحديق بشرود في مفرش المائدة أبيض اللون.

"ولِمَ لا؟" اكتسب صوت نيكلاس مسحة من الحدة الزائدة.

اقترب منهم صاحب المطعم ليسألهم عن ما سيطلبونه من طعامٍ وشراب.

قال نيكلاس بصوتٍ عالٍ: "أود الآن على الفور تفسيرًا لذلك!"

"طبق كبير من المُقبّلات وزجاجتي مياه معدنية أخرتين!" طلبها نيكلاس دون أن يغير نبرة صوته.

صمتت دانا مرعوبَة. إذا كان والدها غاضبًا فمن المستحيل أن تتمكن من أن تروي له أمر مريم.

"لا يحبذ والدا ريكي أن يدعوه أناس لا يعرفهم!" دمدم لينوس بها في تذمر دون أن يشيح ببصره عن مفرش المائدة.

استنشق نيكلاس الهواء بشدة وقال: "إن لم تظهر الحقيقة الآن وأثناء جلوسنا إلى هذه المائدة، فإذًا ... إذًا ...!"

توّجه صوب كاترين قائلًا: "لا يمكن أن يحكي لنا باستمرار هذه الأكاذيب!"

جذبت مريم باب المطعم لتفتحه. لم تكن تريد أن تجلس ثانيّة في غرفة تغيير الملابس وأن تكن خائفة من السيد كارله أو من الشخص الموجود في المغسلة أو من الشرطة. هذا أمر غير مجدي بالضبط تمامًا مثل النحيب. جرفت هبة ريح باردة أوراق الأشجار المتساقطة في الخريف معها إلى داخل المطعم. مرّ صاحب المطعم متقاطعًا مع مريم وحاملًا طبق المُقبّلات. صاح فيها غاضبًا بصوتٍ كالنباح.

تفادته مريم.

"مساء الخير. أنا مريم." صافحت مريم كاترين ونيكلاس في أدب.

لقد تدربت في طريقها إلى هناك على تلك الجملة مثلما تدربت من قبل على الجملة الخاصة بالحذاء.

اجترعت كاترين في ذعر المياه المعدنية التي كانت تحتسيها واتخذ وجه نيكلاس شكل علامة استفهام وحيدة.

وضع صاحب المطعم بوجهٍ متجهم طبق المُقبّلات على المائدة ودفع مريم بكتفيه عمدًا أثناء ذلك. قال لها صاحب المطعم بصوتٍ كالفحيح: "فلتغربي عن هنا! هنا ليس مكانًا للتسول!"

ظلت مريم واقفة كأنه غير موجود على الإطلاق.

قال نيكلاس متحققًا: " ليست ريكي إذًا!"

همست كاترين: "كنت أشعر بذلك!"

"كنتِ تشعرين بذلك ولم تتفوهي بكلمة؟!"

جذبت دانا مريم نحوها على الكرسي وملأت الطبق عن آخره ودفعته نحو مريم.

لم يلاحظ أحد منهم أن صاحب المطعم مد يده إلى الهاتف.

أصاب السعال مريم. وضعت كاترين يدها على جبهة مريم.

قالت كاترين متحققة: "أظن أن لديها حُمَّى." ثارت دهشة مريم فقد كان لصوت كاترين وقع مهموم كأنها والدتها فعلًا.

قالت مريم بمشقة وبصوتٍ مثل نعيق الغراب تخلل ما أصابها من سعال: "أريد أن أذهب إلى المنزل."

وضعت كاترين يدها على يد مريم: "إلى والديكِ في ألبانيا؟"

قالت دانا: "لكنها هنا في بيتها ووطنها!" وجدت دانا مشقة في أن تظل جالسة على كرسيها. "إنها لم تعد تعرف ألبانيا على الإطلاق ولا تجيد لغة أهلها أيضًا على نحوٍ صحيح!"

غمغمت مريم: "لكنهم لا يريدونني هنا!" ساد صمت بين الجالسين إلى المائدة.

ومن خلفهم كانت المجموعة المحتفلة تغني أغنية تأبين ألبانية قديمة. أخذت النغمات الثقيلة الكئيبة تحوم في الغرفة كأنها ملائكة سوداء غير مرئية، تشهد بأن لا أحد يدخل طي النسيان.

استجمعت مريم كل ما أوتيت من قوة، ما زالت متبقية فيها. "أريد أن أسألكما، هل من الممكن أن تقرضاني أجرة السفر؟" نظرت أولًا لنيكلاس ثم كاترين وبعد ذلك ألقت نظرة سريعًا جدًا على الطبق بما فيه من كوسة وزيتون وجبن أبيض من لبن الماعز وكل ما ودت أن تأكله وما لن تتناول منه آنذاك قضمة واحدة.

أشاح لينوس ببصره عن مفرش المائدة ولم يتمكّن من التحديق بشرود. "لكنكِ تودين أن تصبحي طبيبة وقلتي أن هذا غير ممكن في تروبويه!"

هزّت مريم كتفيها: "أنا لا استطيع هنا أن أذهب حتى إلى المدرسة!"

فجأة ظهر ضوء أزرق يتخذ شكلًا دائريًا عبر النوافذ.

نظرت مريم فيما حولها في رعب.

ماذا يريد هؤلاء هنا؟

أرادت مريم حقًا أن تمضي!

أن تعود إلى تروبويه حتى وإن لم تكن تعرف أحدًا هناك ولن تستطيع أن تصبح طبيبة هناك. لكنها لم تكن تريد أن تلقي الشرطة القبض عليها!

انتفضت واثبة وركضت عبر الغرفة. كانت المراحيض تقع بجوار المطبخ. ربما استطاعت أن تخرج من هناك عبر النافذة. سدّ صاحب المطعم

عليها الطريق. امتدت يده الضخمة المغطاة بشعرٍ أسود اللون نحوها ونجحت في الإمساك بسترة التزلج. لوت مريم جسدها وانتزعت نفسها من السترة. سقط هاتف دانا المحمول منها. ظهر شرطيان بباب المطعم. وقد سدَّ صاحب المطعم الطريق إلى المرحاض. لم يكن هناك سوى من مخرج واحد. تحرّكت مريم سريعًا نحو نزلاء المطعم المحتفلين بالتأبين في الجناح الجانبي من المطعم.

كان الكرسي الموجود على رأس المائدة خاويًا. هل ينبغي عليها أن تتسلل أسفل المائدة؟ فيكون عليها من ثَمَّ أن تهدئ سرعتها. لقد قررت أن تفعل العكس وزادت من سرعتها ووثبت. بدا أنها تستطيع الطيران بهذا الحذاء الأخضر. استقرت الفردة اليمنى من الحذاء على الكرسي واليسرى على المائدة خلف كوب من الشاي.

صاح نزلاء المطعم صيحات عالية وقصيرة في فزع. انتفض نيكلاس وكاترين ولينوس ودانا واثبين.

اهتز كوب الشاي وانسكب قليل من الشاي إلا أن الكوب لم ينقلب. خطت مريم خطوة واسعة.

صرخت دانا: "انتبهي. الكيك!"

اندفع الشرطيان راكضين مرورًا بنيكلاس وكاترين ودانا ولينوس. انحنى أحدهم نحو الأمام وتحرّكت ذراعاه الطويلتان حركةً قوية وامتدت يده نحو ساق مريم. وبدلًا من أن ينجح في الإمساك بساق مريم اصطدمت

يده بأحد أكواب الشاي محدثًة صوتًا رنانًا. فانقلب الكوب وانسكب سائل بني اللون على مفرش المائدة الأبيض.

حاول الشرطي الآخر أن يدفع جسده خلف الكراسي مرورًا بالحائط، لكن إما أن نزلاء المطعم كانوا قد واصلوا زحزحة كراسيهم إلى الخلف أو أن الشرطي كان أكثر بدانة من النادلين.

لم يمر.

صاح الشرطي بصوتٍ كالرعد: "قفي مكانكِ يا فتاة! لن يفعل أحد بكِ مكروهًا!"

لم تستطع مريم أن تظل واقفة.

الضوء الأزرق.

الزي العسكري الأزرق

الطرق العنيف على الباب في جوف الليل.

.Kukuth na ka goditur

أبدًا لن تنسى صوت والدها.

وجدت مريم صعوبة في الاحتفاظ بتوازنها. ستنتهي خطوتها التالية إلى منتصف طبق الكيك الثاني. توجهت بدعاءٍ سريعٍ إلى السماء؛ فلا يجوز أن يدوس أحد على الطعام بقدمه. غير أن هذه كانت حالة ضرورة.

جذبت يد ذات رد فعل سريع وبأحد أصابعها خاتم ذهبي سميك الكيك إلى الجانب. ابتسمت لمريم سيدة عجوز، كانت تُزيِّن وجهها بعناية. استقر الحذاء الأخضر بجوار الطبق بدقة تُحسَب بالملليمتر. وصلت مريم إلى النافذة وأدارت المقبض. ضغطت الريح على النافذة لتفتحها. وثبة. أصبحت مريم واقفة بالخارج.

صفق الأطفال المتواجدون ضمن مجموعة النزلاء المحتفلين بالتأبين بحماس تعبيرًا عن الاستحسان. في غيظ تأمل الفتية الشرطي، الذي اعتدل واقفًا من جديد ومسح الكيك من على سترته العسكرية بمنشفة.

استدار الشرطيان على عقبيهما وهما يطلقان اللعنات وأسرعا إلى المدخل. كان عليهما أن يخفضا من سرعتهما لكي لا يدوسا لينوس ودانا. تولّى أحد الشرطيين أمر المطاردة وظل الآخر واقفًا بالقرب من لينوس ودانا.

قال الشرطي للينوس ودانا مزمجرًا: "أين والديكما؟" كانت كاترين ونيكلاس قد قفزا واثبين كذلك. وقفت كاترين خلف لينوس لتوفر له الحماية. نهرت كاترين رجل الشرطة قائلةً: "هل أنت على وعي بأنك تتعقب طفلة عمرها أحد عشر عامًا وأنت ترتدي زيًا عسكريًا وبسيارة شرطة ينبعث منها ضوء أزرق! كم يمكن أن يفتقر الإنسان للإحساس!" وأضافت: "لكن ربما لا يكن لديك أطفال. لا يمكنك مطلقًا أن تتخيل ماذا يدور بداخل طفلةٍ مثلها عندما تأتيَ إلى هنا مقتحمًا!"

حاول نيكلاس أن يسكن ثائرة كاترين وقال لها: "الرجل لا يؤدي سوى واجبه. إن الفتاة مطلوبة للشرطة."

"لكن لا يمكن تعقب طفلة كأنه مجرمة خطيرة! من الواضح أنها انصرفت عن هنا!"

تنهّد نيكلاس وغمغم قائلًا: "لا يمكنكِ أن تتشاجري مع موظف، غمس لتوه زيه العسكري في كيك العسل! لا يمكنكِ عندئذ أن تغيري ثمّة شيء!"

طالب الشرطي نيكلاس وكاترين بنظرةٍ عابسة بتقديم إثبات هويتهما.

إلا أن كاترين لم تكبح جماح نفسها. "إن كانت الشرطة تتعقب طفلًا لم يقترف شرًا وتبحث عنه فإنه لا يمكن فقط تغيير ثمّة شيء، بل يجب تغيير شيءٍ ما!"

عاد الشرطي الآخر مصحوبًا بكومة من أوراق الأشجار المتساقطة في الخريف وريح باردة. كانت هناك نظرة متسائلة من زميله.

هزّ رأسه بالنفي. "اختفت بلا أثر. الفأرة الصغيرة!"

***

وقف الأربعة في مكتب ذي جدران زجاجية وبه حوائط ممتلئة بخزانات ملفات ولوحة إعلانات، كان مُعلّق عليها أيضًا صورة للبحث عن المطلوبين للشرطة، تظهر بها مريم. وفي اضطراب أخذت كاترين تجري اتصالات هاتفية. حاولت أولًا الاتصال بشقيقها، الذي كان في مهمة

عمل، ثم برئيستها في العمل باربارا، التي عانت كثيرًا بسبب الموظفين العاملين معها من مشاكل مع مصلحة إدارة شؤون الأجانب وتعرف بالتأكيد محاميًا ماهرًا.

كان الرقم مشغولًا باستمرار.

"أين يمكن لمريم أن تظل مختبئة؟!" لقد طرح الموظف ذلك السؤال عشر مرات بالتأكيد.

أبقت دانا سترة التزلج زرقاء اللون والخاصة بمريم على حِجرها. كانت دانا قد أخذت السترة من صاحب مطعم "سكاي كالايا". كما جمعت دانا أيضًا أجزاء هاتفها المحمول من جديد. أخذ لينوس يهز قدميه داخل حذائه – الحافة الخارجية والحافة الداخلية.

لم يقل الطفلان شيئًا . لم يكونا بحاجة لأن يؤكدا لنفسيهما ولا حتى بالنظرات أنه لا يجوز أن يعثر رجال الشرطة، لا سيما هذان الشرطيان، على مريم.

وصلت الأخصائية النفسية المتخصصة في علم نفس المراهقين. كانت سيدة شقراء، لا تفوق دانا ولينوس من حيث الطول سوى بمقدار قدم. صافحت الجميع وقدَّمت نفسها لهم. اسمها زيبيله فون دير هايدن. كانت مبتسمة طوال الوقت كما لو أن الابتسام كان منطبعًا في وجهها.

"يجب عليكما أن تقولا، أين يمكن أن تكون مريم متواجدة الآن. أنتما لا تسديان معروفًا لصديقتكما بامتناعكما عن الكلام."

تبادل لينوس ودانا النظرات الخاطفة وهزّت دانا رأسها بالنفي على نحوٍ غير ملحوظ.

"لكننا لا نريد أن نتسبب في أي ضرر لمريم. على العكس. نحن نريد أن يصبح حالها أفضل."

صمت لينوس ودانا.

رنّ هاتف كاترين المحمول.

إنها رئيستها في العمل باربارا.

ابتسمت زيبيله فون دير هايدن وقالت: "لن تدخل مريم السجن بكل تأكيد."

أصبح من الصعب تحمل الابتسامة المنطبعة في وجهها.

"ربما تسبّب كلا الشرطيان في شعوركما بالخوف. لكن إن قلتما أين مريم، فسوف أساندها."

توجّهت زيبيله فون دير هايدن نحو نيكلاس حيث أن كاترين ما زالت تتحدث في الهاتف. "إن الطفل يتبع والديه. وبالتأكيد أنك ترى ذلك أيضًا."

هزّ نيكلاس كتفيه في عجز وقال مؤكدًا: "لقد قالت أنها تريد الذهاب إلى وطنها."

"أجل، ولكنها هنا في وطنها. هنا لدينا في ألمانيا!" نظرت له دانا نظرةً ساخطة وغالبت دموعها لكي لا تنزل.

رجتهما الأخصائية النفسية قائلةً: "فلتخرجا معي لحظة من فضلكما إلى الخارج."

رأت دانا كيف أشارت الأخصائية النفسية لنيكلاس بألا يأتي معهما وابتسمت من ثمّ مرّة أخرى.

وقفوا على السلالم أمام باب قسم الشرطة. أصدرت الريح صوت صفير. ولدغت البرودة وجوههم. ومرّ بهم رجل مكبلًا بالأصفاد يقتاده شرطيان. جذبت الأخصائية النفسية سحاب سترتها ورفعت الياقة إلى أعلى ودست يديها في جيوب السترة.

سحب لينوس قبضتي يده إلى أكمام سترته. أخذت دانا تقفز من قدم لأخرى لكي تبقى دافئة قليلًا.

غمغمت الأخصائية النفسية: "إن لم تقولا أين مريم، فربما تجلب لنفسها الهلاك." لم تعد الأخصائية النفسية عندئذ تبتسم.

***

كان الظلام قد حلّ بالفعل عندما كان نيكلاس متوقفًا أمام سياج ملاعب التنس. عادت الأخصائية النفسية لتنحني بجسدها داخلةً إلى السيارة. رجت نيكلاس وكاترين: "فلتبقيا هنا." كانت هناك سيارة مدنية تابعة للشرطة تتوقّف خلفهم على بعد مسافةٍ قصيرة.

انعطفت سيارة السيد كارله، التي كانت من طراز كومبي، في الطريق الزراعي واهتزت محدثًة صوت طقطقة أثناء مرورها بسيارة الشرطة وسيارة نيكلاس، التي كانت من طراز "أودي"، دون أن تكترث ببِرَك الماء والمطبات وجاءت لتقف أمام الممر الخشبي مباشرًة بعد أن بعثرت بعض الطين الموحل.

صرخ السيد كارله في وجه لينوس قبل حتى أن يهبط من سيارته قائلًا: "ماذا تفعل هنا ثانيًة!"

طالبته الأخصائية النفسية التابعة للشرطة قائلًة: "هل لك من فضلك أن تفتح لنا باب غرفة تغيير الملابس؟"

نظر لها حارس مبنى المدرسة البالغ طوله مئة وتسعين سنتيمترًا بترددٍ نحو أسفل.

استعلم متسائلًا: "وماذا عن الأطفال المزعجين. ماذا يفعل هؤلاء هنا؟"

أمسكت الأخصائية النفسية إثبات هويتها، الذي يثبت انتمائها للشرطة، وعرضته له بشكلٍ ساخر. وفي أثناء ذلك سقط منها على الأرض الكارت، الذي يحمل اسمها وبياناتها. التقطته دانا.

زجرت الأخصائية النفسية التابعة للشرطة السيد كارله بقولها: "إن لم تسارع الآن بفتح الباب في أقرب وقت ممكن فإنه يتعيَّن عليَّ أن اعتبر هذا مقاومة للسلطات."

جرَّ السيد كارل ساقيه على كرهٍ منه متوجهًا إلى غرفة التخزين وأحضر المفتاح.

همس لينوس لدانا قائلًا: "اتصلي هاتفيًا بليوني. يجب عليها أن تأتي إلى هنا على الفور ومعها الصورة التي التقطتها."

فتح السيد كارله غرفة تغيير الملابس وأضاء النور في الغرفة الرئيسة. حملق في ملابس مريم باندهاش. نفخ في فزع قائلًا: "لا أصدق هذا. يبدو الحال كما لو أن أحدًا يسكن هنا!"

طرقت الأخصائية النفسية على باب المرحاض.

"يا مريم، هل أنتِ هنا بالداخل؟"

"هل يبحثون عنها؟ أكانت هذه الحقيرة الصغيرة مختبئة هنا طوال الوقت؟"

فتح السيد كارله الباب على مصراعيه قبل أن يتمكن أحد من منعه من ذلك.

لم يكن هناك أحد في المرحاض.

"هل يمكن أن تكن قد خرجت عبر النافذة؟"

جذبت السيدة فون دير هايدن مقبض النافذة. كانت النافذة مغلقة.

"لا يمكن أن تكن قد أغلقت النافذة من الخارج!"

مريم ليست في غرفة تغيير الملابس. زحف السيد كارله كذلك أيضًا إلى المخزن نيابةً عن الأخصائية النفسية وألقى نظرة خلف المقشة متحققًا.

"إذًا، أتمنى لكم مساءً جميلًا وحظًا سعيدًا في البحث." كان السيد كارله متعجلًا إلى حدٍ ما في العودة لسيارته.

استفسر لينوس من دانا: "هل ستأتي ليوني؟"

هزّت دانا رأسها بالنفي. "لديها درس خصوصي في مادة الرياضيات."

أطلق لينوس اللعنات قائلًا: " تبًا!"

"قلت لها أنه ينبغي عليها إرسال الصور"

"لكنكِ ليس لديكِ اتصال بشبكة الانترنت مطلقًا."

أخذت دانا تحرك الكارت الشخصي الخاص بالأخصائية النفسية يمينًا ويسارًا وإصبعا الإبهام يدوران فوق لوحة أزرار هاتفها المحمول.

أشار لينوس إلى غرفة تغيير الملابس الخاصة بالرجال.

"ربما تكن مريم مختبئة هنا."

تظاهر السيد كارله بأنه لم يسمع هذا وصعد إلى سيارته.

عادت الأخصائية النفسية التابعة للشرطة تخاطبه بلهجةٍ آمرة بقولها: "هل من الممكن أن تتفضل بفتح الغرفة الأخرى أيضًا لنا؟"

تلعثم السيد كارله: "لا ... هذا ... هذا لا يمكن أن يكون. هناك يوجد قفل مختلف تمامًا ... أي قفل أمان آخر ..."

"أليس لديك مفتاحه؟"

"آه، لا ... نعم إذًا ، كيف يمكن أن تدخل الفتاة إذًا إلى الداخل؟ لا يمكن لأحد أن يفتح القفل بسهولةٍ هكذا."

اتصلت الأخصائية النفسية عبر هاتفها المحمول بزملائها بحثًا عن مساعدة.

ظل السيد كارله واقفًا ملامسًا لسيارته لكنه لم يجرؤ على أن يستقلها.

"هلا أصبحت من فضلك لطيفًا وفتحت لنا الباب!" كان لصوت الشرطي وقعٌ حاد لدرجة أن السيد كارله عاود تسلق الممر الخشبي متأوهًا. استغرق الأمر وقتًا طويلًا كأنه دهر حتى عثر السيد كارله على المفتاح الصحيح.

بينما كانت الأخصائية النفسية تفتش الغرف، ظل السيد كارله واقفًا ملامسًا للباب وأخذ ينقر بأصابعه على بطنه في عصبية بحركةٍ دائرية.

لم تكن مريم بالطبع في غرفة تغيير الملابس هذه أيضًا، لكن كانت هناك أكوام عديدة من العُلب الكرتونية على إحدى الدكك الخشبية.

فتحت الأخصائية النفسية التابعة للشرطة إحداها. كانت خاوية.

استفسرت من السيد كارله: "أي عُلب كرتونية هذه؟"

"آه" أصدر السيد كارله هذا الصوت وقال: "حسنًا ..."

قال الشرطي مقررًا: "تبدو مثل عُلب أحذية."

"حسنًا. أنا لا أعرف حقًا كيف أتت هذه العُلب الكرتونية إلى هنا."

زمجرت الأخصائية النفسية قائلةً: "بالنظر لكونك حارس للملاعب فأنت تعرف القليل جدًا في الحقيقة عما يجري هنا في الغرف الواقعة في نطاق عهدتك."

"عُلب أحذية؟" تناول السيد كارله واحدة من العُلب في يده. "يمكن أن تكون كل العُلب الكرتونية هكذا."

استفسر الشرطي: "من يمكنه إذًا الدخول إلى هذه الغرف سواك؟" وردت رسالة نصية إلى الهاتف المحمول الخاص بالأخصائية النفسية محدثة صوت مثل زقزقة العصافير ووردت بعد ذلك بقليل رسالة ثانية.

قال السيد كارله بصوتٍ مثل نخير الخنازير: "هل تبحثون الآن عن هذه الفتاة أم أنكم اعتقدتم فجأة أن بضعة عُلب كرتونية سخيفة من الورق المقوي أكثر أهمّيّة من هذا؟"

"ربما ترتبط العُلب الكرتونية بثمّة صلة بالفتاة."

قال السيد كارله لاهثًا في ارتياح: "قد يكون الأمر هكذا بالطبع. ربما يكن الأطفال أو أسرة تلك الأجنبية الصغيرة قد نقلوها إلى هنا."

خاطبت دانا السيد كارله بصوتٍ كالنباح قائلةً: "مريم ليست أجنبية!" أدركت دانا أكثر، لماذا كانت تشعر دائمًا بخوفٍ كبير جدًا منه.

استفسر الشرطي: "متى كنت هنا بالداخل لآخر مرة إذًا؟"

"هنا بالداخل" كرَّرها السيد كارله وتظاهر بأن عليه إمعان التفكير. "حسنًا كان ... كان هذا منذ وقتٍ قصير للغاية. الآن موسم الشتاء. لم يعد يحدث هنا أي نشاط."

رجا لينوس السيدة فون دير هايدن قائلًا: "هلا نظرتِ سريعًا لهاتفك المحمول!"

اغتنم السيد كارله الفرصة وتوجَّه باحتيال في اتجاه الخروج وقال: "حسنًا. إن لم تعودوا بحاجة لي فإن زوجتي تنتظرني لتناول وجبة العشاء معًا."

ألح عليها لينوس قائلًا: "لقد جاء إليكِ للتو صورتان مهمتان!"

ألقت الأخصائية النفسية نظرةً على الرسائل الواردة.

صورتان من رقم مجهول. فتحت الصورتين.

أشار لينوس إلى صورة السيد كارله عند وجوده أمام غرفة تغيير الملابس.

"كان هذا بالأمس في تمام الساعة الرابعة عصرًا وثلاث وثلاثين دقيقة."

أوضحت دانا: "والسيد كارله يعلم على نحوٍ دقيق تمامًا أيضًا من أين تأتي العُلب الكرتونية. لقد أحضرها بنفسه إلى هنا وكان بداخلها عندئذ أحذية."

نهرهما السيد كارله بقوله: "ما هذا الهراء الذي تقولانه إذًا!"

عرض لينوس للشرطي الصورة، التي التقطتها ليوني لشعارات العلامات التجارية. "إنه يشتري أحذية رخيصة ويضع عليها شعارات العلامات التجارية فتصبح من ثمّ أحذية ذات علامات تجارية مسجلة. لكنها مزيفة."

"أنت أيها المسخ الصغير، ألن تكف عن نشر مثل هذه الأكاذيب؟" احمّر وجه السيد كارله كأنه ثمرة طماطم. وانتفخ أعلى صدغيه وريدان زرقاوان بشكلٍ بارز.

واصل لينوس حديثه دون أن يتحرك له ساكن: "ومن ثمّ يبيعونها لدينا في المتجر الكبير."

أخذ السيد كارله يلتقط أنفاسه بصعوبة. كاد الأمر يبدو كما لو أنه كان سيصاب على الفور بنوبة قلبية.

أضافت دانا بلا رحمة: "بالاشتراك مع رئيس قسم المستلزمات الرياضية."

***

أخذ لينوس ودانا يراقبان من المقعد الخلفي للسيارة، التي كانت من طراز "أودي" كيف تم اقتياد السيد كارله إلى السيارة المدنية التابعة للشرطة. عندما مرِّ بالسيارة، التي كانت من طراز "أودي"، قال لهم بصوتٍ كالفحيح: "سوف تدفعان ثمن ما تفعلانه هذا. أقسم لكما بذلك."

انحنت الأخصائية النفسية بجسدها إلى نافذة السيارة نحو الداخل. أين يمكن أن تكون مريم متواجدة؟ كان هذا حينها أمر أهم بكثير من حارس مبنى المدرسة.

عاد البرنامج ليبدأ من جديد من أول الأمر. أنتما لا تسديان لصديقتكما معروفًا. البرودة والجوع إلى آخره. غير أن لينوس ودانا لم يكن لديهما حقًا أي فكرة، أين قد تكون مريم متواجدة عندئذ.

***

مضت سيارة نيكلاس ببطء في الشارع نحو أسفل. وعلى نحوٍ متكرر كانت السيارات المسرعة في ساعة الذروة تتجاوزه. توقّفت أمامهم السيارة المدنية التابعة للشرطة أمام المنزل، الذي كانت تسكن فيه مريم في السابق.

حاولت كاترين مجددًا أن تتصل بالمحامي، الذي أعطتها رئيستها في العمل رقمه في غضون ذلك. تلك المرة كان جهاز الرد على المكالمات الآلي دائرًا. طلبت منه كاترين بإلحاح في رسالةٍ مسجلة أن يعاود الاتصال بها.

تساءلت دانا: "هل من الممكن أن تعيش مريم لدينا إن عثرنا عليها؟" لفّت دانا نفسها في سترة مريم زرقاء اللون وأخذت تراقب كيف دخلت الأخصائية النفسية والشرطي إلى المنزل.

هزّ نيكلاس كتفيه في عجز. "توجد في كل بلد ديمقراطي قوانين، يجب مراعاتها حتى وإن ..."

قاطعته كاترين بقولها: "لا يمكنك أن تشرح للأطفال في لحظةٍ كهذه سخافات نظرية كهذه!"

استدار نيكلاس نحو لينوس ودانا وقال: "أولًا يجب معالجة الأمر بالترتيب. ثانيًا: الأهم الآن هو العثور على مريم!"

دمدم لينوس في تذمر من بين أسنانه: "ياله من رجل يقول هراء"

أشار لدانا بالنزول من السيارة.

صاح نيكلاس من خلف دانا ولينوس قائلًا: "ثالثًا: يجب أن نسأل الطفلة نفسها. ومن ثمّ يمكننا رابعًا أن نبحث هل توجد أي قاعدة قانونية، يمكن وفقًا لها أن تبقى الفتاة هنا إلى أين تريدان أن تذهبا الآن؟" صاح بها من خلف دانا ولينوس.

"فلننظر هل سيجدونها. لا يمكننا أن نترك مريم وحدها مع الشرطة!"

اشتعل الضوء في منزل مريم السابق. كان من الممكن رؤية خيال ظل الأخصائية النفسية في النافذة المعلق فيها لافتة "للإيجار".

تساءل لينوس: "هل تعتقدين أنها هنا؟"

أخذت دانا تراقب كيف ألحت كاترين بالقول على نيكلاس من خلف الزجاج الأمامي للسيارة في انفعال. "إنها لطيفة. والدتك."

"هل تعتقدين ذلك؟" هزّ لينوس كتفيه في حرج. ربما كان ينبغي عليه ألا يقول عن نيكلاس أنه رجل، يقول هراء. لعلّ دانا لم تسمع ذلك.

خرج الشرطي والأخصائية النفسية من المنزل مرّة أخرى. جذب لينوس دانا خلف إحدي السيارات المتوقفة و همس قائلًا: "لدىّ فكرة، أين قد تكون مريم متواجدة."

بعد ذلك بخمس دقائق أخذا يجوبان السوبر ماركت بلا هدفٍ محدد. سأل لينوس البائعة المتواجدة عند ركن عرض السجق. لا، اليوم لم تر البائعة الفتاة التي قصّت شعرها. دفعا بجسديهما إلى الخارج مرورًا بالصفوف المُنتظِرة أمام خزائن دفع الحساب. أين من الممكن أن تكون مريم متواجدة؟

وقفا أمام موقف السيارات الخاص بالسوبر ماركت. أراد لينوس أن يعود إلى سيارة نيكلاس. أمسكت به دانا. لقد سمعت صوت مواء قطة.

استرق لينوس السمع وهزّ رأسه بالنفي.

"بلى، إنه هانيبال! الصوت قادم من أقصي الخلف هناك!" أخذت دانا تركض على نحوٍ متعرج بين السيارات الملاصقة لبعضها البعض وكادت أن تصدمها سيارة، كانت تخرج من موقف السيارات متقهقرةً إلى الخلف.

كانت هناك حقًا فوق حاوية الورق بيضاء اللون قطة جالسة. قطة ذات وجه أسود اللون وعليها سدادة طبية بيضاء اللون – هانيبال. كان يحملق صوب دانا بعينيه الخضراوين. بدا كأنه يقول: أنتم هنا أخيرًا. لكنها كانت مسألة وقت.

"مريم؟"

ما من إجابة.

"مريم. أين أنتِ؟"

ألقى لينوس نظرة باحثًا خلف الحاويات وألقت دانا نظرة خلف السيارات المتوقفة على مقربة.

ما من شيء.

"فلتقل يا هانيبال أين هي؟"

اعتلى هانيبال مكانه على الحاوية البيضاء في وقار وأخذ ينظف نفسه.

اقتربت دانا من فتحة حاوية الورق. "مريم؟"

جاء صوت سعال جاف من الفتحة، التي كانت تبدو مثل فم حيوان حديدي واسع.

"ماذا تفعلي هنا بالداخل يا مريم؟ اخرجي!"

ضغطا سويًا على غطاء الحاوية إلى أعلى قليلًا.

كانت مريم جالسة على كوم من الورق المقوى في أحد الأركان وباسطة ساقيها وكانت تغطي نفسها بقليل من الورق المقوى. كانت عيناها داكنتا اللون مغلقتين. قالت بصوتٍ منخفض: "أنا متعبة. أريد أن أنام. الجو هنا دافئ. أرجوكما لاتقولا لأحد أين أنا!" كوَّرت جسدها وسعلت وهزَّت نفسها. كانت تتنفس بالكاد.

قالت دانا: "يجب علينا أن نذهب بها للطبيب."

***

كان هناك صوت طقطقة بشكلٍ مفزع. أحيانًا ما كان رأس مريم يرتطم بجدار العربة اليدوية الخاصة بملعب التنس. لكن هذا لم يكن يؤلمها. فلينوس ودانا كانا قد ملأ العربة بالورق المقوى. مالت العربة اليدوية وتوقّف الارتطام. أصدرت صفارة إنذار صوتًا صاخبًا . تقلّب ضوء أزرق من فوق مريم. أرادت مريم أن تعتدل. تناولت دانا يدها. "فلتظلي هادئة. إنها ليست الشرطة. إنها سيارة إسعاف!"

أعلى المدخل لمع صليب أحمر اللون ولافتة مكتوب بها

استقبال الطوارئ بمستشفى مارين

ابتعدت سيارة الإسعاف ذات الضوء الأزرق. هوت مريم مرّة أخرى داخل العربة اليدوية. وصلوا إلى البيت الزجاجي الصغير لحارس المستشفى. صاح فيهم الحارس بصوتٍ كالرعد: "توقفوا! إلى أين تريدون الذهاب بتلك العربة اليدوية القديمة؟" تأمل الحارس في استنكار آثار الرمال حمراء اللون، التي خلّفتها العربة اليدوية في المدخل. "لا يمكن أن يدخل أحد إلى مستشفى بعربة يدوية!"

جعلت دانا جسدها يبدو ضخمًا أمام الصندوق الزجاجي قدر استطاعتها.

"إن شقيقتي مصابة بارتفاع درجة الحرارة والسعال. إنها بحاجة لطبيب!"

انحنى الحارس بعيدًا عن جهاز الكمبيوتر نحو نافذة التحدث، لكي يرى ماذا يوجد بداخل العربة اليدوية. وفي أثناء ذلك كادت النظارة أن تسقط من أنفه.

نظرت إليه مريم بأعين جامدة وسعلت.

قطب الحارس جبينه واستفسر قائلًا: "أين والدكم ووالدتكم؟"

"بينهما خلافات زوجية."

شخص لينوس نحوه بنظرةٍ مستسلمة حزينة. "عندما يتشاجرا فإنهما لا يعبأن بنا مُطلقًا. ينتابنا الخوف من أن ينقضا على بعضهما البعض بالسكاكين."

أعاد الحارس زحزحة نظارته إلى أنفه مدهوشًا ومدَّ يده نحو سمَّاعة الهاتف وقال للينوس: "انتظروا هنا. سيأتي شخص حالًا ويأخذكم."

***

جلست مريم على سرير الفحص. وعلى الكرسي المجاور لها ملابسها، التي خلعتها.

"استنشقي الهواء واكتمي النفس!" ضغطت طبيبة شابة على صدرها بالسماعة الطبية الباردة. أخذت مريم شهيقًا وشعرت بألم حارق في أعلى صدرها تمامًا لكنه لم يعد بنفس السوء مثل ما حدث لها قبل ذلك عندما كانت تجلس وحيدة في حاوية الورق وكانت خائرة القوى لدرجة أنها لم تكن تريد سوى أن تنام حتى نهاية حياتها.

نظرت مريم للطبيبة وهي تغمض عينها نصف إغماضة وتكتم أنفاسها. لم تكن قد اعتادت بعد على الضوء الساطع. ردَّت لها الطبيبة الابتسامة.

"فلتخرجي نفسًا من صدرك. أنتِ تفعلين هذا على نحوٍ جيد جدًا!"

وضعت السماعة الطبية على ظهر مريم. شهيق. تكتم أنفاسها. زفير.

قال لينوس: "إنها تريد أيضًا أن تصبح طبيبة."

"حقًا؟ ممتاز." نزعت الطبيبة الشابة السماعة الطبية من أذنيها.

قالت لمريم: "قد نكون بحاجة لأشخاص شجعان مثلكِ."

جلست الطبيبة إلى المكتب و أخذت تكتب الروشتة.

استفسرت دانا: "ماذا بها؟"

"التهاب شعبي حاد لكنه لم يصبح بعد التهابًا رئويًا!"

نهضت الطبيبة واقفة وأخرجت لبوسًا من خزانة الأدوية.

"الآن سلتزمين الفراش بضعة أيام بعناية ومن ثمّ سوف تستعيدين عافيتك مرّة أخرى في لمح البصر. وعندما تصبحين أكبر قليلًا، يمكنكِ أن تأتي إلى هنا وتقومين بتدريبٍ عملي، إن شئتِ."

ناولت دانا عُلبة بها أقراص. "يجب أن تتناول قرصا منها كل صباح وكل مساء. لقد كتبت ذلك على العُلبة."

نظرت إليها دانا في يأسٍ كبير لدرجة أن الطبيبة سحبت يدها مرّة أخري، والتي كانت قد مدتها لتوديع دانا.

رجتها دانا قائلة: "هل من الممكن أن تلازم الفراش هنا قليلًا؟ أعني هنا بالداخل في المستشفى؟"

قطبت الطبيبة جبينها.

توجهت الطبيبة إلى مريم قائلة: "آلا ترغبين في الذهاب إلى المنزل؟"

غمغمت دانا: "لبضعة أيام على الأقل. على سبيل الوقاية. يمكن لوالدي أن يوقع بالموافقة على ذلك."

أومأت مريم برأسها بالإيجاب وسعلت بصوتٍ منخفض.

أضاف لينوس متعجلًا: "والدتي أيضًا ..."

أخذت الطبيبة تتحوّل ببصرها من أحدهما للآخر في دهشة.

"كيف؟ ألا تتبعان بعضكما البعض؟" أشارت لمريم وقالت: "وماذا عنها؟"

أدرك لينوس خطأه على الفور.

"حسنًا بالطبع نحن جميعًا نتبع بعضنا البعض." وأشار إلى مريم قائلًا: "وهي أيضًا. لابد وأن والدينا سيكونان هنا في أي لحظة."

مدت الطبيبة يدها نحو سماعة الهاتف لكي تجري اتصالًا تليفونيًا بقسم الأطفال.

قال لينوس لدانا هامسًا: "هلا انتظرنا الآن والدك ووالدتي هنا في المستشفى!"

رنّ جرس هاتف دانا المحمول. إنها ليوني. لقد انتهى الدرس الخصوصي، الذي كانت تتلقاه في مادة الرياضيات. وكانت تستفسر، هل وصلت صورها.

***

وقفت كاترين ونيكلاس أمام البيت الزجاجي الصغير لحارس المستشفى. كان الحارس قد اتكأ بظهره على كرسيه وشبك ذراعيه على صدره وأخذ يتفحّص نيكلاس من فوق نظارته من أعلى إلى أسفل.

تساءل نيكلاس مستعلمًا: "هل من الممكن أن تقل لي من فضلك، أين يمكن أن أجد ابنتي؟ اسمها دانا تيفينباخ. لقد تلقيت مكالمة هاتفية قبل عشر دقائق، تفيد بأنها هنا."

وبدلًا من أن يجيبه الحارس أخذ يحملق في كاترين.

تنحنح نيكلاس قائلًا: "إنها طفلة، بل فتاة عمرها أحد عشر عامًا ذات خصلات شعر لونها بني يميل إلى الإحمرار."

أومأ الحارس برأسه إيجابًا وهو مغموم .

قالت كاترين في غضب: "إلى ما تنظر هكذا؟"

قال الحارس: "أخ. كنت أريد فقط أن أنظر إلى الوالدين الجاحدين!"

انحنى للأمام نحو نافذة التحدث وكادت النظارة أن تسقط مرّة أخرى من أنفه. "لقد تشاجرت أيضًا مرارًا مع زوجتي. لكن أمام أبنائي؟! أبدًا! ولا أتشاجر على الإطلاق عندما يكونون مرضى على هذا النحو! لا

يمكنكما ببساطة أن تتركا الطفلة لأشقائها! إنكما تتحملان المسئولية بوصفكما أب وأم لهما!"

لم يفهم نيكلاس حقًا، عم كان الحارس يتحدث، لكنه مع ذلك شعر بالذنب بشكلٍ أو بآخر.

قالت كاترين مدافعَة: "نحن لسنا أب وأم لهما على الإطلاق! نحن والدان مستقلان وكل منا يتحمل مسئوليَّة خاصة به!"

ضرب الحارس بقبضة يده في استياء على المنضدة. انسكب كوب القهوة الخاص به الموضوع بجوار مكتبه. نهرها الحارس قائلًا: "هذا أمر أسوأ. لستما حتى متزوجين! ومن يعاني من هذا؟ الأبناء!"

قال نيكلاس راجيًا: "هلا قلت لنا من فضلك أين يتواجد أبنائنا."

دمدم الحارس في تذمر: "امضي في الممر المتجه نحو أسفل واتجه من ثمَّ يمينًا."

كانت هناك سيارة شرطة متوقفة في المدخل. قفز الخال جيرالد وزميل له خارجين منها. ضوء أزرق وهاج جعل نيكلاس وكاترين يظلان واقفين.

نهرت كاترين شقيقها قائلَة: "كيف لك أن تشارك في هذا؟ إنها فتاة عمرها أحد عشر عامًا في مثل عمر لينوس وأنتما قادمان بصحبة وحدة كاملة بها مئة شرطي!"

خالفها الخال جيرالد في الرأي ملقيًا نظرة لزميله: "لا مجال للحديث حقًا عن وحدة من مئة شرطي." حاول نيكلاس تهدئة كاترين إلا أن كاترين كانت مستثارة بالفعل.

"ماذا تظنون إذًا عما يدور بداخل طفلة كهذه عندما ..."

قاطعها شقيقها بقوله: "طبقًا للمادة 51 (أ) من القانون يمكن على الفور إيقاف تنفيذ عملية الترحيل!"

أرادت كاترين على الرغم من ذلك أن تواصل السباب لكن حينئذ لقى ما قاله شقيقها لتوه استحسانًا لديها.

"كيف، إيقاف؟"

"يمكن وقف ترحيل القاصر بشكلٍ مؤقت حتى صدور حكم المحكمة العليا."

تساءلت كاترين: "ولماذا لا تتركوها تبقى هنا؟"

"امم. لماذا؟" قالها الخال جيرالد ورفع جبهته إلى أعلى مثل بابا نويل، الذي سيخرج للتو أكبر هدية من جواله.

زمجرت كاترين قائلةً: "فلتقل!"

"لأن هذا لا يكون ممكنًا إلا إذا توافرت ظروف أسرية أفضل للقاصر من الترحيل إلى خارج البلاد أو من الإقامة في الوطن. وحتى الآن لم تتوافر لدينا هذه الظروف الأسرية. يجب العثور على أسرة. أسرة تتكفل برعايتها. وأن يكن بها قدر الإمكان أطفال."

هرعت من خلفهم ليوني وهيلينا وإيلينا مرورًا بالحارس إلى داخل المستشفى دون أن يلاحظهم أحد.

***

اندست مريم أسفل غطاء السرير ناصع البياض. ما زالت تشعر أنها متعبة غير أن الوضع يختلف بوجود لينوس ودانا بجوارها عن حالها في حاوية الورق. أخذت تحلم وهي تغمض عينها نصف إغماضة، كيف سيكون حالها لو أصبحت طبيبة.

علّقت دانا ملابس مريم في الدولاب وقالت: "أولًا: أنتِ هنا للمرة الأولى في أمان. وثانيًا: نحن معكِ الآن. وثالثًا ..." انفتح الباب على مصراعيه دون أن يطرقه أحد. ليوني وإيلينا وهيلينا. أخفضت ليوني هاتفها المحمول. "ما عساي أن أصور هنا؟ سرير في مستشفى؟ إنه لأمر ممل تمامًا!"

انبعث من الخارج صوت نيكلاس. "لقد قال شقيقكِ أن الأمور ستسير بخير، لو تواجد محيط أسري أفضل للطفلة من الترحيل إلى خارج البلاد أو من الإقامة في الوطن. أي على سبيل المثال لو توافرت أسرة تتكفل برعايتها لوقتٍ قصير ولديها محل إقامة دائم هنا في هذه البقعة ولديها دخل بانتظام وذات سُمعة طيبة ... إذًا فلنؤسس أسرة تتكفل برعايتها لوقتٍ قصير."

ثارت كاترين قائلَة: "نؤسس أسرة تتكفل بالرعاية لوقتٍ قصير! لا يتأتى ببساطة تأسيس أسرة تتكفل بالرعاية لوقتٍ قصير! لابد أن تكن هناك أسرة قائمة بالفعل!"

أشارت ممرضة كانت تمر مسرعةً إلى نيكلاس وكاترين إشارةً مفادها ألا يحدثًا صوتًا عاليًا هكذا. وصلا إلى باب غرفة مريم. أومأ نيكلاس برأسه موافقًا: "أجل. أنتِ محقة تمامًا. قد نتزوج أيضًا على الوجه الصحيح ووفقًا لكل ما يلزم ذلك ... ربما يكون هذا هو الحل!"

ظلت كاترين واقفةً كأنها مُثبَّتة بمسامير وأخذت تفتح فمها وتغلقه مرّة أخرى. أخذت أسنانها ترتطم ببعضها البعض محدثةً صوت طقطقة.

تناول نيكلاس يديها بين يديه ونظر إليها بقوة قائلًا: "أرى أن أسرة صالحة أفضل من أسرة تتكفل بالرعاية لوقتٍ قصير."

حدَّقت فيه كاترين.

"ك ... كيف ... أسرة صالحة؟"

"فعندئذ ستكون كل الأمور أيسر من الناحية القانونية و ..."

دفعت ليوني جسدها بجوار لينوس عند الباب وأمسكت هاتفها المحمول بعد ذلك ودمدمت في تذمر: "إن الكبار عندما يتشاجرون، يكن هناك سر ما." وقالت للتوأمتين: "هيا، قِفا منتبهتين!"

وقفت كلتاهما بشكلٍ ثابت يمينًا ويسارًا خلف السرير. جذبت مريم غطاء السرير إلى أعلى حتى طرف أنفها. دفعت دانا ولينوس نفسيهما بجوار مريم على السرير.

أوضح نيكلاس قائلًا: "هذا أمر منطقي. فربما لو كان هناك أطفال آخرين، تكون الفرص المتاحة لإيواء طفل أفضل. لقد قال شقيقكِ هذا.

أليس كذلك؟" وأضاف: "و ... ولو أصبحنا نعيش سويًا، سنوفر لمريم شقيقين آخرين."

نظرت كاترين لنيكلاس بقوة. لم تكن تدري: هل من المُفترض أن يكن هذا الاقتراح جادًا أم أنه مجرد ضرب من ضروب النِكات، التي تقال في المستشفى في وقتٍ مبكر من المساء؟

ابتسم نيكلاس باتجاه لينوس ومريم ودانا ابتسامَة عريضة. تتبَّعت ليوني نظرته بهاتفها المحمول: "كيف ترون هذا الأمر؟"

حيرة.

أخذت كاترين نفسًا عميقًا وقالت: "والآن يخطر الأمر ببالك على هذا النحو. في ردهة المستشفى وفي ظل الرائحة الكريهة لمنتجات التنظيف! وأين الشموع والشمبانيا؟ إن هذا لأمر من قبيل ... أي أن هذا ...!" لم تجد الكلمة المناسبة.

جذبها نيكلاس نحوه قائلًا: "ألا ترغبين في ذلك؟"

قالت كاترين لاهثَة: "لم أقل هذا."

تحركت ليوني مسرعَة حولهما في انفعال لكي تلتقط صورة جيدة. وصوَّرت كيف وضع نيكلاس ذراعه حول كتف كاترين. "يمكن أن نقدم الطلب الخاص بذلك على الفور عن طريق محامي جيد. لنقدمه بشكلٍ غير رسمي أولًا وبتطبيق فقرة تسوية الحالات الحرجة ونجعل كل الأمور مُثبتَة في وقتٍ لاحق."

همس في أذنها: "عندئذ سيصبح لدى مريم أولًا شقيقين. وثانيًا سيصبح لديها أم حنون تتكفل برعايتها و ..." وأشار إلى نفسه قائلًا: "وثالثًا أيضًا سمعة طيبة."

"سمعة؟" استفهم لينوس من دانا بريبة. "ما المقصود بهذا إذًا؟"

"ســـ – مـــ – عــــــ – هة؟" نطقت دانا الكلمة ممطوطة جدًا كما لو أنها ستستطيع إيجاد معناها في حروفها المفردة.

خمّن لينوس قائلًا: "ربما يكن معنى ســـ – مـــ – عــــــ – هة حيوان متوحش ... أو كلب حراسة..."

نقلت مريم، التي ما زالت تجذب الغطاء إلى أعلى حتى طرف أنفها، بصرها من دانا إلى لينوس. استفسرت قائلًة: "هل سأكون شقيقتكما عندئذ؟" وأومأت في غضون ذلك برأسها بشكلٍ يكاد يكون ملحوظًا كأنها لم تطرح سؤالًا، بل قالت إجابة.

تسلقت ليوني على أحد الكراسي ووجهتهم مثل قائد أوركسترا قائلًة: "حسنًا والآن أرجوكم جميعًا أن تقتربوا من بعضكم البعض." وقفت هيلينا وإيلينا خلف سرير مريم حاملتين لافتة ورقية

مكتوب بها

لابد أن تبقي مريم في ألمانيا!!!

قالت لهم ليوني بلهجةٍ آمرة: "ابتسموا!"

رسالة بريد إلكتروني من مريم لوالديها.

عزيزتي ماما.. عزيزي بابا

لم أنم طوال الليل لأنني أشعر بسعادة بالغة. كنت أظن أن الصباح لن يأتي أبدًا. سنصل إلى بريشتينا في تمام الساعة **12.10**. يتساءل نيكلاس وكاترين، ماذا يتعين علينا أن نحضر معنا. مسموح لكل منا أن يحمل عشرين كيلو جرامًا. هل ينبغي أن أنظر عما إذا كانت المقلاة ما زالت موجودة هناك؟ ومن ثمّ نجهز للجميع بطاطس مقلية. أليس كذلك يا ماما؟ كما كنتِ تجهزيها هنا دائمًا. لا يجيد أحد تجهيزها على نحوٍ طيب مثلكِ. لا تجيد كاترين على الإطلاق طهي أي طعام طيب بشكلٍ مميز. لعلّكِ تستطيعين تعليمي الطهي بأن أبدأ بتعلم طهي البطاطس المقلية.

لقد أسست السيدة فيشر جمعيّة لكي تساعدكما أن تتمكنا ربما من العودة إلى ألمانيا مرّة أخرى. تقول السيدة فيشر أن من يجيد الألمانية على نحوٍ جيد مثلكِ يا ماما ويثبت أن لديه عملًا مناسبًا، فإنه يستطيع عندئذ أن يقدم طلبًا. سوف أحكي لكما عندما أصبح عندكما ما نوع هذا الطلب.

والآن عليّ أن أختم رسالتي؛ فلينوس ودانا يتشاجران من جديد. أعتقد أنهما يتشاجران حول إعداد المائدة. مع أنهما ليسا بحاجة للشجار مطلقًا بهذا الشأن. فاليوم يحل دوري في إعدادها.

إلى اللقاء بعد غد.

ابنتكما المحبة مريم

ملحوظة: ربما يمر عليكما في القريب العاجل شخص يستقل شاحنة صغيرة قديمة. إنها مارجو كلو دي سابو. فهي تريد السفر إلى الجنوب متجهّة إلى اليونان ومعها أدوية من أجل اللاجئين. لقد أعطيتها عنوانكما لكي تستطيع أن تضع رحالها لديكما.

***

ال

سوزانه شميدت

تعيش منذ عام 1993 في إيطاليا. أتمت سوزانه شميدت دراسة علوم اللغة الألمانية وآدابها وعلم المسرح وحصلت على درجة الدكتوراة في مجال علوم الاتصال ثم عملت كاتبة سيناريو ومساعدة مخرج ومساعدة منتج في مشاريع سينمائية ومسرحية مختلفة في ألمانيا. وفي الوقت الحاضر تعمل سوزانه شميدت كاتبة ومترجمة وتساعد الأطفال الإيطاليين الملتحقين بالمدرسة الألمانية في روما في التغلب على صعوبات اللغة الألمانية.

سمر منير

د. سمر منير

مواليد 1985

مدرس بقسم اللغة الألمانية كلية الألسن جامعة عين شمس.

دكتوراة في الأدب الألماني.